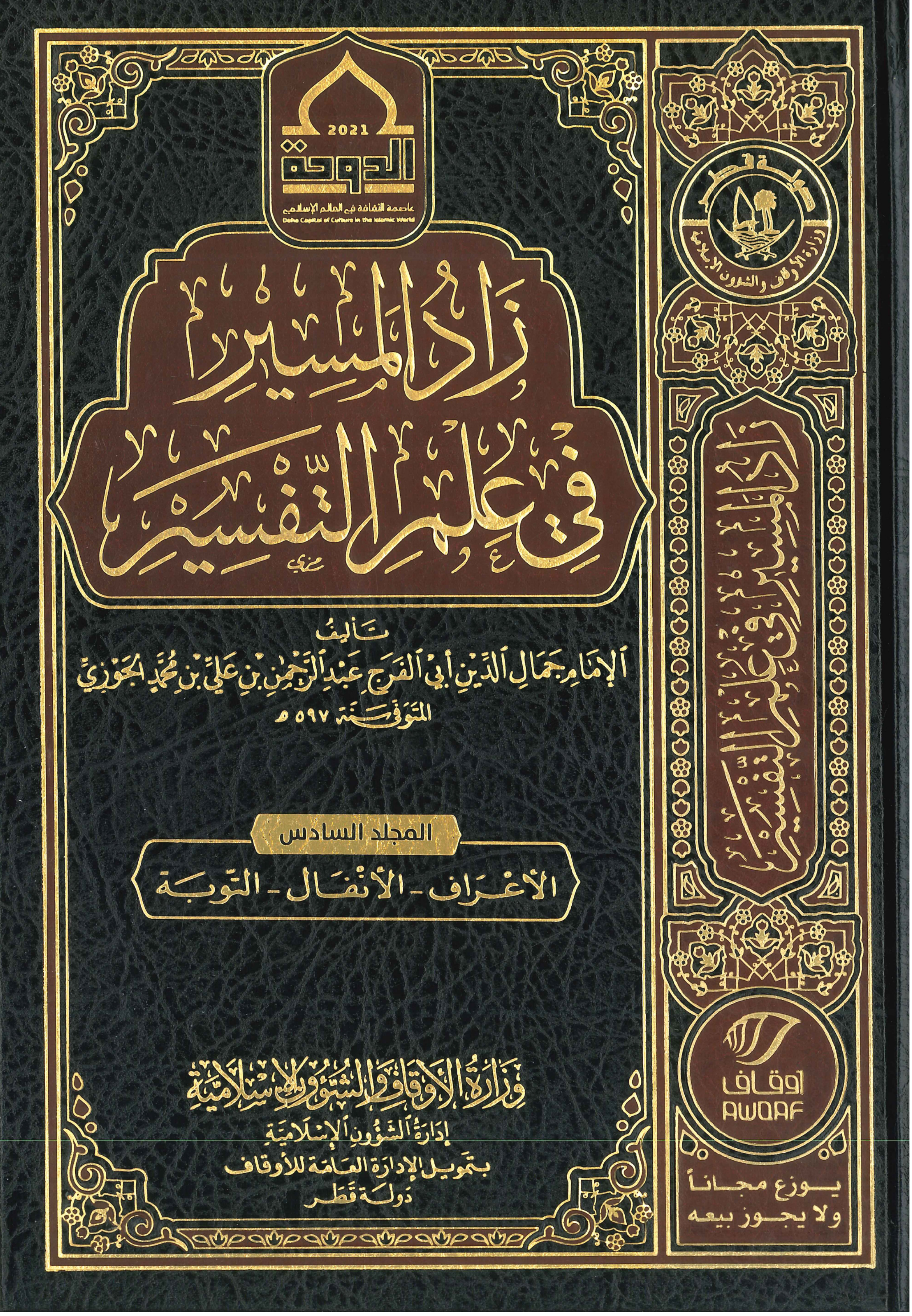

2021
الدوحة
عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي
Doha Capital of Culture in the Islamic World
زاد المسير
في علم التفسير
تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المتوفى سنة ٥٩٧ هـ
المجلد السادس
الأعراف - الأنفال - التوبة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر
أوقاف
AWQAF
يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زاد المسير

في علم التفسير

٦

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايميل: alshamiya.tr@gmail.com







زاد المسير

في علم التفسير

تأليف

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد السادس

الأعراف - التوبة ١٠٠

تحقيق وتعليق

مجموعة باحثين

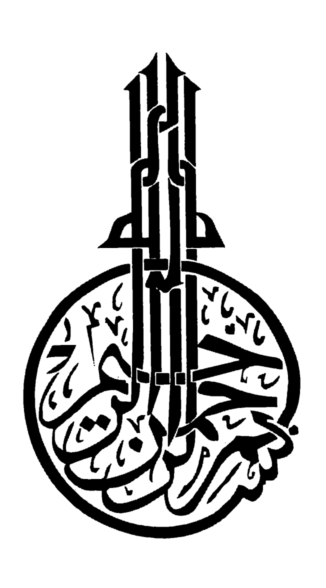
المكتب العلمي بالدار الشامية

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر


بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعراف

فصلٌ في نزولها

روى العَوْفي، وابن أبي طلحة، وأبو صالح عن ابن عبَّاسٍ، أن «سورة الأعراف» من المكِّيِّ. وهذا قول الحسن، و مُجَاهِد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد، وقتادة. [٢٦١/ب]

وروي عن ابن عبَّاسٍ، وقتادة أنها مكِّيَّة، إلَّا خمس آيات، أوَّلها قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ [الآية:١٦٣][1].

وقال مقاتل: كلُّها مكِّيَّة، إلَّا قوله: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الآية:١٧٢] فإنهنَّ مدنيَّات[2].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓصٓ ①﴾ [الأعراف: ١].

فأمَّا التَّفسير، فقوله: ﴿الٓمٓصٓ﴾ قد ذكرنا في أول «سورة البقرة» كلامًا مجملًا في الحروف المقطَّعة أوائلَ السُّور، فهو يعمُّ هذه أيضًا.

فأما ما يختصُّ بهذه، ففيه سبعة أقوال:

أحدها: أن معناه: أنا الله أعلم وأفضل، رواه أبو الضُّحى عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنه قَسَمٌ أقسم الله به، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) انظر: التَّحصيل (٣/ ١٥٣)، والمحرَّر الوجيز (٢/ ٣٧٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٢٧).



والثَّالث: أنها اسم من أسماء الله تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أن الألف مفتاح اسمه «الله»، واللام مفتاح اسمه «لطيف»، والميم مفتاح اسمه «مجيد»، قاله أبو العالية.

والخامس: أن «المص» اسم للسُّورة، قاله الحسن.

والسَّادس: أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة.

والسَّابع: أنها بعض كلمة.

ثم في تلك الكلمة قولان:

أحدهما: المصوِّر، قاله السُّدِّي.

والثَّاني: المصير إلى كتاب أنزل إليك، ذكره الماورديُّ[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢﴾ [الأعراف: ٢].

قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾.

قال الأخفش: رفع الكتاب بالابتداء[2].

ومذهب الفرَّاء أن الله تعالى اكتفى في مفتَتَح السُّور ببعض حروف المعجم عن جميعها، كما يقول القائل: «أ ب ت ث» ثمانية وعشرون حرفًا؛ فالمعنى: حروف المعجم: كتاب أنزلناه إليك[3].

قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يرتفع الكتاب بإضمار: هذا الكتاب.

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ١٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣١٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦٨).

وفي الحرج قولان:

أحدهما: أنه الشَّكُّ، قاله ابن عبَّاسٍ، ومُجَاهِد، وقتادة، والسُّدِّي، وابن قُتَيْبة[١].

والثَّاني: أنه الضِّيق، قاله الحسن، والزَّجَّاج[٢].

وفي هاء «منه» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب.

فعلى هذا، في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لا يضيقنَّ صدرك بالإبلاغ، ولا تخافنَّ، قاله الزَّجَّاج[٣].

والثَّاني: لا تشُكَّنَّ أنه من عند الله.

والقول الثَّاني: أنها ترجع إلى مضمر، وقد دلَّ عليه الإِنذار، وهو التَّكذيب، ذكره ابن الأنباريِّ.

قال الفرَّاء: فمعنى الآية: لا يضيقنَّ صدرك إن كذَّبوك.

قال الزَّجَّاج: وقوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ مقدَّم، والمعنى: أُنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾[٤].

﴿وَذِكۡرَىٰ﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وخفض، فأما النصب، فعلى قوله: ﴿أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾، ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي ولتذكِّرَ به ذكرى، لأن في الإنذار معنى التَّذكير.

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥).

[٢٦٢/أ] ويجوز الرفع على أن يكون: وهو ذكرى، لقولك[1]: وهو ذكرى للمؤمنين.

فأما الخفض، فعلى معنى: لتنذر، لأن معنى «لتنذر»: لأن تنذر، وهو في موضع خفض[2]، المعنى: للإنذار والذِّكرى للمؤمنين[3].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣].

قوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾.

إن قيل: كيف خاطبه بالإفراد في الآية الأولى، ثم جمع بقوله: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ[4]﴾؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه لما علم أن الخطاب له ولأمته، حسن الجمع لذلك المعنى.

والثَّاني: أن الخطاب الأوَّل خاصٌّ له، والثَّاني محمول على الإِنذار، والإِنذار في طريق القول، فكأنه قال: ليقول لهم منذرًا: ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

والثَّالث: أن الخطاب الثَّاني للمشركين، ذكره جماعة من المفسِّرين، قالوا: والذي أنزل إليهم القرآن.

---

(١) في (ف): (كقولك).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٠).

(٣) قوله: (المعنى: للإنذار والذِّكرى للمؤمنين)، ليس في (ف).

(٤) قوله: (ما أنزل إليكم من ربكم)، ليس في (ف).

وقال الزَّجَّاج: الذي أنزل: القرآن وما أتى عن النَّبيِّ ﷺ، لأنه مما أنزل عليه، لقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧][(١)].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: لا تتولَّوا مَنْ عدل عن دين الحقِّ، وكلُّ من ارتضى مذهبًا فهو وليُّ أهل المذهب.

وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

«ما»: زائدة مؤكِّدة، والمعنى: قليلًا يذَّكَّرون.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «تذَّكَّرون» مشددة الذال والكاف.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وحفص عن عاصم: «تذَكَّرون» خفيفة الذال مشددة الكاف.

قال أبو علي: من قرأ «تذَّكَّرون» بالتَّشديد، أراد «تتذكَّرون» فأدغم التاء في الذال، وإدغامها فيها حسن، لأن[(٢)] التاء مهموسة، والذال مجهورة، والمجهور أزيد صوتًا من المهموس وأقوى، فإدغام الأنقص في الأزيد حسن.

فأما[(٣)] حمزة ومن وافقه، فإنهم حذفوا التاء التي أدغمها هؤلاء، وذلك حسن لاجتماع ثلاثة أحرف متقاربة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٥ـ٣١٦).

(٢) في (ر): (قولان)! بدلاً من: (لأن).

(٣) في (ف): (وأما).



وقرأ ابن عامر: «يتذكَّرون» بياء وتاء[١]، على الخطاب للنَّبيِّ ﷺ[٢]، والمعنى: قليلًا ما يذَّكَّر هؤلاء الذين ذُكِّروا بهذا الخطاب[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝٤﴾ [الأعراف: ٤].

قوله: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾.

و«كم» تدلُّ على الكثرة، و«رُبَّ»: موضوعة للقلَّة.

قال الزَّجَّاج: المعنى: وكم من أهل قرية، فحذف الأهل، لأن في الكلام دليلًا عليه[٤].

وقوله: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا[٥]﴾ محمول على لفظ القرية، والمعنى: فجاءهم ﴿بَأْسُنَا﴾ غفلة وهم غير متوقِّعين له، إما ليلًا وهم نائمون، أو نهارًا وهم قائلون.

قال ابن قُتَيْبة: ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا، و﴿بَيَاتًا﴾: ليلًا. و﴿قَائِلُونَ﴾: من القائلة نصف النَّهار[٦].

---

(١) في (ر): (بتاء وياء).

(٢) قوله: (للنبي ﷺ)، ليس في (ف).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٨)، والحجَّة (٤/ ٥ ـ ٦)، والمبسوط (١/ ٢٠٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣١٧).

(٥) قوله: (بأسنا)، من (ر).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٥).

فإن قيل: إنما أتاها البأس قبل الإهلاك، فكيف يقدَّم الهلاك؟

فعنه ثلاثة أجوبة: [٢٦٢/ب]

أحدها: أن الهلاك والبأس يقعان معًا، كما تقول: أعطيتني فأحسنت، وليس الإحسان بعد الإعطاء ولا قبله، وإنما وقعا معًا، قاله الفرَّاء[١].

والثَّاني: أن الكون مضمر في الآية، تقديره: أهلكناها، وكان بأسنا قد جاءها، فأُضمر الكون، كما أُضمر في قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ [البقرة:١٠٢]، أي: ما كانت الشَّياطين تتلوه، وقوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ﴾ [يوسف:٧٧]، أي: إن يكن سرق.

والثَّالث: أن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: وكم من قرية جاءها بأسنا بياتًا[٢]، أو هم قائلون فأهلكناها، كقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥] أي: رافعك ومتوفِّيك، ذكرهما ابن الأنباريِّ.

قوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

قال الفرَّاء: فيه واو مضمرة، والمعنى: فجاءها بأسنا بياتًا، أو وهم قائلون، فاستثقلوا نسقًا على نسق[٣].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٥﴾ [الأعراف: ٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧١).

(٢) ليست في (ف).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٧٢).

قوله: ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾.

قال اللُّغويون: الدَّعوى هاهنا بمعنى الدُّعاء والقول.

والمعنى: ما كان قولهم وتداعيهم إذ جاءهم العذاب [إلا][1] الاعتراف بالظُّلم.

قال ابن الأنباريِّ: وللدَّعوى في الكلام موضعان:

أحدهما: الادِّعاء.

والثَّاني: القول والدُّعاء.

قال الشَّاعر[2][من الطويل]:

إذَا مَذِلَتْ رِجْلِي دَعَوْتُكِ أَشْتَفِي بدَعْواكِ مِنْ مَذْلٍ لها[3] فيَهُونُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧ ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

قوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾ يعني: الأمم يُسألون: هل بلَّغكم الرُّسُلُ وماذا أجبتم؟ ويسأل الرُّسل: هل بَلَّغتم، وماذا أُجبتم؟.

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم ﴾ أي: فلنُخبرنَّهم بما عملوا بعلم منا ﴿ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾ عن الرُّسل والأمم.

---

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) البيت بلا نسبة في لسان العرب (١١/ ٦٢٢)، والمخصص (٥/ ٨٤).

(٣) في (ر): (بها).

وقال ابن عبَّاسٍ: يوضع الكتاب، فيتكلَّم بما كانوا يعملون[١].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

قوله: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ أي: العدل. وإنما قال: ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ لأن «مَن» في معنى جميع، يدلُّ عليه قوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾.

وفي معنى ﴿يَظْلِمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: يجحدون.

والثَّاني: يكفرون.

قال الفرَّاء: والمراد بموازينه: وزنه. والعرب تقول: هل لك في درهم بميزان درهمك، ووزن درهمك، ويقولون: داري بميزان دارك، ووزن دارك، يريدون: حذاء دارك[٢].

قال الشَّاعر[٣][من الكامل]:

قَدْ كُنْتُ قَبْلَ لقائِكُمْ ذَا مِرَّةٍ ... عِنْدي لِكُلِّ مُخَاصِمٍ مِيزَانُهُ

يعني: مثل كلامه ولفظه.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (٨٢٢١) في تفسيرهما، من طريق العَوْفي، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن (٣/ ٢٨٧).

(٣) بلا نسبة في شرح القصائد السبع؛ لابن الأنباري (١/ ١٦٧)، والمحكم والمحيط (٩/ ١١٠)، ولسان العرب (١٣/ ٤٤٧).



فصلٌ

والقول بالميزان مشهور في الحديث، وظاهر القرآن ينطق به.

وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا: الأعمال أعراض، فكيف توزن؟

فالجواب: أن الوزن يرجع إلى الصَّحائف، بدليل حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ**[١] **مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي** [٢٦٣/أ] **الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَ[أَشْهَدُ]**[٢] **أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَتُوضَعُ لَهُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، يَعْنِي**[٣]**: وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ**» أخرجه أحمد في «مسنده»، والترمذي[٤].

وروى[٥] أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الطَّوِيلِ الْأَكُولِ الشَّرُوبِ، فَلَا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»[٦]، فعلى هذا يوزن الإنسان.

---

(١) ليست في (ر).

(٢) زيادة من (ف).

(٣) ليست في (ف).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢١٣)، وعبد بن حميد (٣٣٩)، والتِّرمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٦) من طريق أبي عبد الرحمن الحُبُلي، بنحوه. وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٥) في الأصل: (رواه)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) بهذا اللفظ رواه ابن جرير الطَّبري (١٥/ ٤٣٠)، وابن أبي حاتم (١٣٠٠٢)، وابن=

قال ابن عبَّاسٍ: توزن الحسنات والسَّيئات في ميزان، له لسان وكِفَّتان. فأما المؤمن، فيؤتى بعمله في أحسن صورة، فيوضع في كفة الميزان، فتثقل حسناته على سيئاته، وأمَّا الكافر فيُؤتى بعمله في أقبح صورة، فيوضع في كفة الميزان؛ فيخف وزنه[1].

وقال الحسن: للميزان لسان وكفتان[2].

وجاء في الحديث: «**أَنَّ دَاوُدَ** عليه السلام **سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الْمِيزَانَ فَأَرَاهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا إِلَهِي مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَهُ حَسَنَاتٍ؟ فَقَالَ: يَا دَاوُدُ إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَن عَبْدِي مَلَأْتُهَا بِتَمْرَةٍ**[3]»[4].

وقال حذيفة: جبريل صاحب الميزان يوم القيامة يقول له ربه: زِنْ بَيْنَهُمْ، ورُدَّ من بعضهم على بعض، فيردُّ على المظلوم من الظَّالم ما وجد له من حسنة. فإن لم تكن له حسنة، أخذ من سيئات المظلوم، فردَّ[5]

=عدي في الكامل (٧/ ٤٦٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٢٨٢) من طريق صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، به، بنحوه.

وهو في البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) بلفظ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**».

(١) أورده البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٧٧) من رواية الكلبي محمد بن السَّائب، به، بنحوه.

(٢) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢٢١٠) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان، به.

(٣) في (ر): (بشمرة).

(٤) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٢٧٧)، والبغوي في تفسيره (٣/ ٢٩٣) بلا سند.

(٥) في (ر): (فيرد).

على سيئات الظَّالم، فيرجع وعليه مثل الجبل[(١)][(٢)].

فإن قيل: أليس الله ﷻ يعلم مقادير الأعمال، فما الحكمة في وزنها؟

فالجواب: أن فيه خمس حكم:

إِحداها: امتحان الخلق بالإِيمان بذلك في الدُّنيا.

والثَّانية: إظهار علامة السَّعادة والشَّقاوة في الأخرى.

والثَّالثة: تعريف العباد ما لهم من خير وشر.

والرَّابعة: إقامة الحجَّة عليهم.

والخامسة: الإعلام بأن الله تعالى عادل لا يظلم.

ونظير هذا أنه أثبت الأعمال في كتاب، واستنسخها من غير جواز النِّسيان عليه.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ١٠﴾ [الأعراف: ١٠].

قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ملَّكناكم إياها.

والثَّاني: سهَّلنا عليكم التَّصرف فيها.

---

(١) في (ف): (الجبال).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٦٩) من طريق بلال بن يحيى، به، بنحوه.

وفي المعايش قولان:

أحدهما: ما يعيشون به من المطاعم والمشارب.

والثَّاني: ما يتوصَّلون به إلى المعايش، من زراعة، وعمل، وكسب.

وأكثر القرَّاء على ترك الهمز في «معايش».

وقد رواها خارجة عن نافع مهموزة(١).

قال الزَّجَّاج: وجميع النَّحويِّين البصريِّين يزعمون أن همزها خطأ، [٢٦٣/ب] لأن الهمز إنما يكون في الياء الزائدة، نحو صحيفة وصحائف، فصحيفة من الصُّحف، والياء زائدة، فأما معايش، فمن العيش، فالياء أصلية(٢).

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ أي: شكركم قليل.

وقال ابن عبَّاسٍ: يريد أنكم غير شاكرين(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ١١].

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾.

فيه ثمانية أقوال:

أحدها: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ في ظهر آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ في الأرحام، رواه عبدالله بن الحارث عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ في أصلاب الرِّجال، وصوَّرناكم في أرحام النِّساء، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عكرمة.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٨)، والحجَّة (٤/ ٦ ـ ٧)، والمبسوط (١/ ٢٠٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٥٢).

والثَّالث: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يعني ذرِّيَّته من بعده، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني آدم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ في ظهره، قاله مُجاهِد.

والخامس: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ نطفًا في أصلاب الرجال، وترائب النِّساء، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ عند اجتماع النُّطف في الأرحام، قاله ابن السَّائب.

والسَّادس: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ في بطون أُمَّهاتكم، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ فيما بعد الخلق بشقِّ السَّمع والبصر، قاله معمر.

والسَّابع: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني آدم خلقناه من تراب، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾، أي: صوَّرناه، قاله الزَّجَّاج[١]، وابن قُتَيْبة[٢].

قال ابن قُتَيْبة: فجعل الخلق لهم إذ كانوا منه، فمن قال: عنى بقوله: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ آدم، فمعناه: خلقنا أصلكم، ومن قال: صوَّرنا ذرِّيَّته في ظهره، أراد إخراجهم يوم الميثاق كهيئة الذَّرِّ.

والثامن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ يعني الأرواح، ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ يعني الأجساد، حكاه القاضي أبو يعلى في «المعتمد»[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢١).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ٩٨).

(٣) وهو الإمام العلَّامة شيخ الحنابلة القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي، ابن الفرَّاء، صاحب التعليقة الكبرى، والتصانيف المفيدة في المذهب، ولد أول سنة ثمانين وثلاثمائة، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، وكتابه المعتمد هذا شبه مفقود. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩)، وطبقات الحنابلة (٢/ ١٦٦-١٦٧).

وفي «ثم» المذكورة مرتين قولان:

أحدهما: أنها بمعنى الواو، قاله الأخفش[(١)].

والثَّاني: أنها للتَّرتيب، قاله الزَّجَّاج[(٢)].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾.

«ما» استفهام، ومعناها الإنكار.

قال الكِسَائِي: «لا» هاهنا زائدة. والمعنى: ما منعك أن تسجد؟.

وقال الزَّجَّاج: موضع «ما» رفع. والمعنى: أيُّ شيء منعك من السُّجود؟ و«لا» زائدة مؤكدة، ومثله: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد: ٢٩][(٣)].

قال ابن قُتَيْبة: وقد تزاد «لا» في الكلام. والمعنى: طرحُها لإباءٍ في الكلام، أو جحد، كهذه الآية. وإنما زاد «لا» لأنه لم يسجد. ومثله: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩] على قراءة من فتح «أنها»، فزاد «لا» لأنهم لم يؤمنوا، ومثله: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٩٥][(٤)].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٣).

(٤) انظر: تأويل مشكل القرآن (١/ ١٥٤).



وقال الفرَّاء: «لا» هاهنا جحد محض، وليست بزائدة، والمنع راجع إلى تأويل القول، والتَّأويل: من قال لك: لا تسجد؟، فأحلَّ المنع محلَّ القول، ودخلت بعده «أن» ليدلَّ على تأويل القول الذي لم يتصرَّح لفظه[1].

[٢٦٤/أ] وقال ابن جرير: في الكلام محذوف، تقديره: ما منعك من السُّجود، فأحوجك أن لا تسجد؟[2].

قال الزَّجَّاج: وسؤال الله تعالى لإبليس «ما منعك» توبيخ له، وليُظهر أنه معاند، ولذلك لم يتب، وأتى بشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأن قوله: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ هو جواب: أيكما خير؟ ولكن المعنى: منعني من السُّجود فضلي عليه. ومثله قولك للرَّجل: كيف كنت؟ فيقول: أنا صالح، وإنما الجواب: كنت صالحًا، فيجيب بما يُحتاج إليه وزيادة[3].

قال العلماء: وقع الخطأ من إبليس حيث قاس مع وجود النَّص، وخفي عليه فضل الطِّين على النَّار، وفضله من وجوه:

أحدها: أن من طبع النَّار الطَّيش والالتهاب والعجلة، ومن طبع الطِّين الهدوء والرَّزانة.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٤).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٨٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٣).

والثَّاني: أن الطِّين سبب الإنبات والإيجاد، والنَّار سبب الإعدام والإهلاك.

والثَّالث: أن الطِّين سبب جمع الأشياء، والنَّار سبب تفريقها.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣].

قوله: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾.

في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى السَّماء، لأنه كان فيها، قاله الحسن.

والثَّاني: إلى الجنَّة، قاله السُّدِّي.

قوله: ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾.

إن قيل: فهل لأحد أن يتكبَّر في غيرها؟

فالجواب: أن المعنى: ما للمتكبِّر أن يكون فيها، وإنما المتكبِّر في غيرها.

وأما الصَّاغر، فهو الذَّليل. والصَّغار: الذُّلُّ.

قال الزَّجَّاج: استكبر إبليس بإبائه السُّجود، فأعلمه الله ﷻ أنه صاغر بذلك[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤، ١٥].

قوله: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي﴾ أي أمهلني وأخِّرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، فأراد أن يعبر قنطرة الموت وسأل الخلود، فلم يُجبه إلى ذلك، وأنظره إلى النَّفخة الأولى حين يموت الخلق كلُّهم. وقد بيَّن مدة إمهاله في «الحجر» بقوله:

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الآية:٣٨].

وفي ما سأل الإمهال له قولان:

أحدهما: الموت.

والثَّاني: العقوبة.

فإن قيل: كيف قيل له: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾ وليس أحد أُنظِر سواه؟

فالجواب: أن الذين تقوم عليهم السَّاعة منظرون إلى ذلك الوقت بآجالهم، فهو منهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾[الأعراف: ١٦].

قوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾.

في معنى هذا الإغواء قولان:

أحدهما: أنه بمعنى الإِضلال، قاله ابن عبَّاسٍ، والجمهور.

والثَّاني: أنه بمعنى الإهلاك، ومنه قوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم:٥٩] أي: هلاكًا، ذكره ابن الأنباريِّ.

وفي معنى «فبما» قولان:

أحدهما: أنها بمعنى القسم، أي: فبإغوائك لي.

والثَّاني: أنها بمعنى الجزاء، أي: فبأنك أغويتني، ولأجل أنك أغويتني.

﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ﴾.

قال الفرَّاء[1]، والزَّجَّاج[2]: أي على صراطك. ومثله قولهم: ضُرب زيد الظَّهر والبطن.

وفي المراد بالصِّراط هاهنا ثلاثة أقوال: [٢٦٤/ب]

أحدها: أنه طريق مكَّة، قاله ابن مسعود، والحسن، وسعيد بن جُبَيْر، كأن المراد صدُّهم عن الحجِّ.

والثَّاني: أنه الإِسلام، قاله جابر بن عبد الله، وابن الحنفيَّة، ومقاتل[3].

والثَّالث: أنه الحقُّ، قاله مجاهد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ [الأعراف: ١٧].

قوله: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ ﴾.

فيه سبعة أقوال:

أحدها: ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أُشكِّكهم في آخرتهم، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ أُرغِّبهم في دنياهم، ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: من قِبل حسناتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ﴾ من قِبل سيِّئاتهم، قاله ابن عبَّاس، وقتادة.

والثَّاني: مثلُه، إلا أنهم جعلوا ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الدُّنيا، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ الآخرة، قاله النَّخعي، والحكم بن عُتَيْبَة[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣١).

(٤) في الأصل، و(ر): (عيينة)، والمثبت من بقية النسخ.

والثَّالث: مثل الثَّاني، إلا أنهم جعلوا ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قِبل الحقِّ أصدُّهم عنه، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قِبل الباطل أردُّهم إليه، قاله مُجَاهِد، والسُّدِّي.

والرَّابع: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ من سبيل الحقِّ، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من سبيل الباطل، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قِبل[1] آخرتهم، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من أمر الدُّنيا، قاله أبو صالح.

والخامس: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من حيث يبصرون، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من حيث لا يبصرون، نُقل عن مُجَاهِد أيضًا.

والسَّادس: أن المعنى: لأتصرَّفن لهم في الإِضلال من جميع جهاتهم، قاله الزَّجَّاج[2]، وأبو سليمان الدِّمشقي.

فعلى هذا، يكون ذكر هذه الجهات، للمبالغة في التَّأكيد.

والسَّابع: ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ فيما بقي من أعمارهم، فلا يقدمون فيه على طاعة، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ فيما مضى من أعمارهم، فلا يتوبون فيه من معصية، ﴿وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ من قبل الغنى، فلا ينفقونه في مشكور، ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ من قبل الفقر، فلا يمتنعون فيه من محظور، قاله الماورديُّ[3].

قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾.

---

(١) قوله: (من قبل)، ليس في (ر).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

(٣) انظر: تفسير النُّكت والعيون (٢/ ٢٠٧).

فيه قولان:

أحدهما: موحِّدين، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: شاكرين لنعمتك، قاله مقاتل[١].

فإن قيل: من أين علم إبليس ذلك؟

فقد أسلفنا الجواب عن هذا في سورة «النِّساء».

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأعراف: ١٨، ١٩].

قوله: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾.

وقرأ الأعمش: «مذُومًا» بضم الذَّال من غير همز[٢].

قال الفرَّاء: الذَّأْمُ: الذَّمُّ يُقال: ذَأَمْتُ الرَّجلَ، أذأَمُه ذأْمًا وذممتُه، أذُمُّه ذمًّا وذِمْتُه، أذيمُه ذيمًا، ويقال: رجل مذءوم، ومذموم، ومَذيم، بمعنى[٣].

قال حسان بن ثابت[٤]:

وَأَقَامُوا حَتَّى أُبِيرُوا جَمِيعًا … فِي مَقَامٍ وَكُلُّهم مَذْءومُ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣١).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) الزُّهري والأعمش، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢٧٧) أبا جعفر، وفي المحتسب (١/ ٢٤٣) الزُّهري.

(٣) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (١/ ٦٤).

(٤) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص: ٩٢)، والزَّاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣).



قال ابن قُتَيْبة: «المذؤوم»: المذموم بأبلغ الذَّمِّ. و«المدحور»: المقصى المبعَد(١).

وقال الزَّجَّاج: معنى «المذؤوم» كمعنى المذموم، و«المدحور»: المبعد من رحمة الله(٢).

[٢٦٥/أ] واللام من ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: لام القسم، والكلام بمعنى الشَّرط والجزاء، كأنه قيل له: من تبعك، أُعذبْه، فدخلت اللام للمبالغة والتَّوكيد.

فلام ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ هي لام القسم، ولام ﴿لَّمَن تَبِعَكَ﴾ توطئة لها.

فأما قوله: ﴿مِنْهُمْ﴾.

فقال ابن الأنباريِّ: الهاء والميم عائدتان على ولد آدم؛ لأنه حين قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ كان مخاطبًا لولد آدم، فرجع إليهم، فقال: ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ فجعلهم غائبين، لأن مخاطبتهم في ذا الموضع توقع لَبْسًا، والعرب ترجع من الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى الخطاب.

ومن قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ خطاب لآدم، قال: أعاد الهاء والميم على ولده، لأن ذكره يكفي من ذكرهم، والعرب تكتفي بذكر الوالد من ذكر الأولاد إذا انكشف المعنى وزال اللَّبس.

قال الشَّاعر(٣):

أَرَى الْخَطَفى بَذَّ الفرزدقَ شِعْرُهُ ... وَلَكِنَّ خَيرًا مِنْ كُلَيبٍ مُجاشِعُ

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٤).

(٣) البيت للصَّلتان العبدي، وقد جعلوا إليه الحكم بين الفرزدق وجرير أيهما أشعر؟. انظر: الشعر والشعراء (١/ ٤٩٢)، وأمالي القالي (٢/ ١٤١)، وخزانة الأدب (٢/ ١٧٧).

أراد: أرى ابن الخطفى، فاكتفى[١] بالخطفى من ابنه[٢].

قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ﴾ يعني أولاد آدم المخالفين وقرناءهم الشَّياطين.

قَوْلُـهُ تَعَـالَى: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعـراف: ٢٠].

قوله: ﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ ﴾.

قيل: إن الوسوسة: إخفاء الصَّوت.

قال ابن فارس: الوسواس: صوت الْحَلْيِ، ومنه وسواس الشَّيطان[٣].

و﴿لَهُمَا﴾ بمعنى «إليهما».

﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾ أي: ليظهر لهما.

﴿مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا﴾ أي: سُتِرَ.

وقيـل: إن لام ﴿لِيُبْدِىَ﴾ لام العاقبـة، وذلـك أن عاقبـة الوسوسـة أدَّت إلى ظهـور عورتهـا، ولم تكـن الوسوسـة لظهورهـا.

قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾.

قال الأخفش[٤]، والزَّجَّاج[٥]: معناه: ما نهاكما إلا كراهة أن تكونا ملَكَين.

وقال ابن الأنباريِّ: المعنى: إلا أن لا تكونا، فاكتفى بـ«أن» من «لا» فأسقطها.

---

(١) في (ف): (واكتفى).

(٢) في (ف): (عن أبيه).

(٣) انظر: مقايس اللُّغة (٦/ ٧٦).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٦).



فإن قيل: كيف انقاد آدم لإبليس، مستشرفًا إلى أن يكون ملكًا، وقد شاهد الملائكة ساجدة له؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه عرف قربهم من الله تعالى، واجتماع أكثرهم حول عرشه، فاستشرف لذلك، قاله ابن الأنباريِّ.

والثَّاني: أن المعنى: إلا أن تكونا طويلَي العمر مع الملائكة ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾ لا تموتان أبدًا، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

وقد روى يعلى بن حكيم عن ابن كثير: «أن تكونا مِلكين» بكسر اللام، وهي قراءة الزُّهري[1].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف: ٢١، ٢٥].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن الحسن بن علي، وابن عباس، و الزُّهري، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢٧٩)، والفتوحات الإلهية (٢/ ١٢٩): الضحاك، ويحيى بن كثير، وابن حكيم عن ابن كثير، وفي التَّحصيل (٣/ ١٥) عن ابن عباس، وفي إعراب القرآن؛ لأبي جعفر (٢/ ٤٨): ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونا مَلِكَيْنِ﴾ قراءة شاذة.

قوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾.

قال الزَّجَّاج: حلف لهما، فدلَّاهما في المعصية بأن غرَّهما[١].

قال ابن عبَّاسٍ: غرَّهما[٢] باليمين، وكان آدم لا يظنُّ أن أحدًا يحلف بالله كاذبًا[٣].

قوله: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: فلما ذاقا ثمر الشَّجرة.

قال الزَّجَّاج: وهذا يدلُّ على أنهما إنما ذاقاها ذواقًا، ولم يبالغا في الأكل[٤].

والسَّوأة كناية عن الفرج، لا أصل له[٥] في تسميته.

ومعنى ﴿وَطَفِقَا﴾ أخذا في الفعل، والأكثر: طَفِقَ يَطْفَقُ، وقد رويت: [٢٦٥/ب] طَفَقَ يَطْفِقُ، بكسر الفاء.

ومعنى ﴿يَخْصِفَانِ﴾ يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للذي يرقِّع النَّعل: خصَّاف.

وفي الآية دليل على أن إظهار السَّوأة قبيح من لدن[٦] آدم، ألا ترى إلى قوله: ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ فإنهما بادرا يستتران لقبح التَّكشف.

وقيل: إنما سمِّيت السَّوأةُ سوأةً، لأن كشفها يسوء صاحبها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٧).

(٢) قوله: (قال ابن عباس: غرَّهما)، ليس في (ر).

(٣) أورده ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢/ ٤١٢) مختصرًا.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٨).

(٥) ليست في (ف)، و(ر).

(٦) في (ف): (ابن).



قال وهب بن منبه: كان لباسهما نورًا على فروجهما، لا يرى أحدهما عورة الآخر؛ فلما أصابا الخطيئة، بدت لهما سوءاتهما(١).

وقرأ الحسن: «سَوْأَتِهما» على التَّوحيد، وكذلك قرأ «يِخِصِّفان» بكسر الياء والخاء مع تشديد الصاد(٢).

وقرأ الزُّهري: بضم الياء وفتح الخاء مع تشديد الصاد(٣).

وفي الورق قولان:

أحدهما: ورق التِّين، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: ورق الموز، ذكره المفسِّرون.

وما بعد هذا قد سبق تفسيره إلى قوله: ﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ يعني الأرض.

واختلف القرَّاء في تاء ﴿تُخْرَجُونَ ﴾.

فقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو: بضم التاء وفتح الراء، هاهنا وفي «الرُّوم»: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الآية:١٩]. وفي «الزُّخرف»: ﴿ كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الآية:١١] وفي «الجاثية»: ﴿لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾ [الآية:٣٥].

وقرأهنَّ حمزة، والكِسَائِي: بفتح التاء وضم الرَّاء.

وفتح ابن عامر التاء في «الأعراف» فقط(٤).

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١١٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن الحسن، وعن الحسن أيضًا ﴿يَخِصِّفان﴾، وعنه أيضًا ﴿يَخَصَّفان﴾. انظر: المحتسب (١/ ٢٤٥)، والتَّحصيل (٣/ ١٥).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٤٨) ﴿يُخَصِّفان﴾ عن الزُّهري، وعنه أيضًا ﴿يُخْصِفان﴾. انظر: المحتسب (١/ ٢٤٥)، والتَّحصيل (٣/ ١٦).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٧٨ـ ٢٧٩)، والحجَّة (٤/ ٩)، والتَّيسير (١/ ١٧٥).

فأما التي في «الرُّوم» ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الآية:٢٥]، وفي «سأل سائل» ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ﴾ [المعارج:٤٣] فمفتوحتان من غير خلاف.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦﴾ [الأعراف: ٢٦].

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾.

سبب نزولها:

أن ناسًا من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراةً، فنزلت هذه الآية، قاله مُجَاهِد[1].

وقيل: إنه لما ذكر عري آدم، منَّ علينا باللِّباس.

وفي معنى ﴿أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: خلقنا لكم.

والثَّاني: ألهمناكم كيفية صنعه.

والثَّالث: أنزلنا المطر الذي هو سبب نبات ما يتخذ لباسًا.

وأكثر القرَّاء قرءوا: «وريشًا»[2].

وقرأ ابن عبَّاسٍ، والحسن، وزرُّ بن حبيش، وقتادة، والمفضَّل، وأبان عن عاصم: «ورياشًا» بألف[3].

---

(١) رواه مُجَاهِد في تفسيره (١/ ٣٣٤)، وعنه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٠)، وابن أبي حاتم (٨٣٢٨) في تفسيرهما.

(٢) انظر: المبسوط (١/ ٢٠٨)، والكامل (١/ ٥٥١).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨)، عن النَّبيِّ ﷺ، وعلي بن أبي طالب ﷺ، وفي إعراب القرآن (٢/ ١٢٠)، وتفسير القرطبي (٧/ ١٨٤)، وفتح القدير (٢/ ١٩٧) عن أبي عبد الرَّحمن=

قال الفرَّاء: يجوز أن يكون الرِّياش جمع الرِّيش، ويجوز أن تكون بمعنى الرِّيش كما قالوا: لبس، ولباس.

قال الشَّاعر:

فَلَمَّا كَشَفْنَ اللِّبْس عَنْهُ مَسَحْنَهُ ... بِأَطْرَافِ طَفْل زانَ غَيْلًا مُوَشَّمَا[1]

قال ابن عبَّاسٍ[2]، و مُجَاهِد[3]: «الرِّياش»: المال.

وقال عطاء: المال والنَّعيم.

وقال ابن زيد: الرِّيش: الجمال[4].

وقال معبد الجهني: الرِّيش: الرِّزق[5].

وقال ابن قُتَيْبة: الرِّيش والرِّياش: ما ظهر من اللِّباس[6].

وقال الزَّجَّاج: الرِّيش: اللِّباس وكل ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته. يقال: تريَّش فلان، أي: صار له ما يعيش به[7].

=السُّلَمي، والحسن، وعاصم من رواية المفضل الضبي وأبي عمرو من رواية الحسن بن علي الجعفي، وفي المحتسب لابن جني (١/ ٢٤٦): النبي ﷺ وجماعة وعاصم.

(١) البيت من الطويل، وهو لحميد بن ثور في ديوانه (ص: ١٤)، ولسان العرب (٦/ ٢٠٦)، وتهذيب اللُّغة (١٢/ ٤٤٢)، وتاج العروس (١٦/ ٤٦٧).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (٨٣٣١) في تفسيرهما، من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٣).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٨٣٣٥) في تفسيرهما.

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٢٤).

(٦) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٦).

(٧) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٨).

أنشد سيبويه[(١)] [من الوافر]: [٢٦٦/أ]

وريـشِي مِنْكُـمُ وَهَـوَايَ مَعْكُـمْ وَإِنْ كَانَـتْ زِيَارَتُكُـمْ لِمَامَـا

وعلى قول الأكثرين: الرِّيش والرِّياش بمعنى.

قال قطرب: الرِّيش والرِّياش واحد[(٢)].

وقال سفيان الثَّوري: الرِّيش: المال، والرِّياش: الثِّياب.

قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة: «﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بالرَّفع.

وقرأ ابن عامر، ونافع، والكِسَائِي: بنصب اللِّباس[(٣)].

قال الزَّجَّاج: من نصب اللِّباس، عطف به على الرِّيش، ومن رفعه، فيجوز أن يكون مبتدأ، ويجوز أن يكون مرفوعًا بإضمار "هو"، المعنى: وهو لباس التَّقوى، أي: وستر العورة لباس المتَّقين[(٤)].

وللمفسِّرين في «لباس التَّقوى» عشرة أقوال:

أحدها: أنه السَّمت الحسن، قاله عثمان بن عفان، ورواه الذَّيَّال بن عمرو عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: العمل الصالح، رواه العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ.

---

(١) البيت لجرير في ديوانه (ص:٢٢٥)، والكتاب (٢/ ٢٨٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٩١)، والمقاصد النحوية (٣/ ٤٣٢).

(٢) انظر: تفسير الكشف والبيان (٤/ ٢٢٦).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٢)، والتَّيسير (١/ ١٠٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٨ـ٣٢٨).

والثَّالث: الإيمان، قاله قتادة، وابن جريج، والسُّدِّي. فعلى هذا سمي لباس التَّقوى، لأنه يقي العذاب.

والرَّابع: خشية الله تعالى، قاله عروة بن الزُّبير.

والخامس: الحياء، قاله معبد الجهنيُّ، وابن الأنباريِّ.

والسَّادس: ستر العورة للصَّلاة، قاله ابن زيد.

والسَّابع: أنه الدِّرع، وسائر آلات الحرب، قاله زيد بن علي.

والثَّامن: العفاف، قاله ابن السَّائب.

والتَّاسع: أنه ما يُتَّقى به الحرُّ والبرد، قاله ابن بحر.

والعاشر: أن المعنى: ما يَلْبَسه المتقون في الآخرة، خير مما يلبسه أهل الدُّنيا، رواه عثمان بن عطاء[1] عن أبيه.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: المعنى: ولباس التَّقوى خير من الثِّياب، لأن الفاجر - وإن كان حسن الثوب - فهو بادي العورة، و«ذلك» زائدة[2].

قال الشَّاعر في هذا المعنى[3][من البسيط]:

إنِّي كَأنِّي أرَى مَنْ لا حَياءَ لَه ... وَلاَ أمَانَةَ وَسْطَ القَوْمِ عُرْيَانَا

قال ابن الأنباريِّ: ويقال: لباس التَّقوى، هو اللِّباس الأول، وإنما أعاده لِما أخبر عنه بأنه خير من التعرِّي، إذ كانوا يتعبَّدون في الجاهليَّة بالتعرِّي في الطَّواف.

---

(١) في (ف): (عطيَّة).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٦).

(٣) البيت لسوار بن المضرب في لسان العرب (٧/ ٤٢٨)، وتاج العروس (٢٠/ ١٧٦).

قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾.

قال مقاتل: يعني: الثِّياب والمال من آيات الله وصنعه، لكي يذَّكروا، فيعتبروا في صنعه(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: ٢٧].

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾.

قال المفسِّرون: هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون عراةً، والمعنى: لا يخدعنَّكم ولا يضلنَّكم بغروره، فيزيِّن لكم كشف عوراتِكم، كما أخرج أبويكم من الجنَّة بغروره(٢). وأضيف الإخراج ونزع اللِّباس إليه، لأنه السبب.

وفي ﴿لِبَاسَهُمَا﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه النُّور، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ وقد ذكرناه عن ابن منبه.

والثَّاني: أنه كان كالظُّفُر فلما أكلا، لم يبق عليهما منه إلا الظُّفر، رواه سعيد [٢٦٦/ ب] بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عكرمة، وابن زيد.

والثَّالث: أنه التَّقوى، قاله مُجَاهِد.

والرَّابع: أنه كان من ثياب الجنَّة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ أي: ليري كلَّ واحد منهما سوأة صاحبه.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٣).

(٢) ليست في (ر).

﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ قال مُجَاهِد: قبيله: الجنُّ والشَّياطين[١].

قال ابن عبَّاسٍ: جعلهم الله تعالى يَجرون من بني آدم مجرى الدَّم، وصدور بني آدم مساكن لهم، فهم يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم.

قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾.

قال الزَّجَّاج: سلَّطناهم عليهم، يزيدون في غيِّهم[٢].

وقال أبو سليمان: جعلناهم موالين لهم.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٢٨].

قوله: ﴿ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً ﴾.

فيمن عني بهذه الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مُجَاهِد، وزيد بن أسلم، والسُّدِّي.

والثَّاني: أنهم الذين جعلوا السَّائبة والوصيلة والحام، وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنهم المشركون. والفاحشة: الشِّرك، قاله الحسن، وعطاء.

---

(١) هو في تفسير مُجَاهِد (١/ ٣٣٤)، وعنه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٣٦)، وابن أبي حاتم (٨٣٥١) في تفسيرهما.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٢٩).

قال الزَّجَّاج: فأعلمهم ﷻ أنه لا يأمر بالفحشاء، لأن حكمته تدلُّ على أنه لا يفعل إلا المستحسن[١].

والقسط: العدل. والعدل: ما استقرَّ في النُّفوس أنه مستقيم لا ينكره مميِّز، فكيف يأمر بالفحشاء، وهي ما عظم قبحه؟!.

قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩].

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: إذا حضرت الصَّلاة وأنتم عند مسجد، فصلُّوا فيه، ولا يقولنَّ أحدكم: أُصلِّي في مسجدي، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك، واختاره ابن قُتَيْبة[٢].

والثَّاني: توجَّهوا حيث كنتم في الصَّلاة إلى الكعبة، قاله مُجَاهِد، والسُّدِّي، وابن زيد.

والثَّالث: اجعلوا سجودكم خالصًا لله تعالى دون غيره، قاله الرَّبيع بن أنس.

والرَّابع: اقصدوا المسجد في وقت كلِّ صلاة، أمرًا بالجماعة لها، ذكره الماورديُّ.

وفي قوله: ﴿وَادْعُوهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنه العبادة.

والثَّاني: الدُّعاء.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٧).

وفي قوله: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قولان:

أحدهما: مُفْردين له العبادة.

والثَّاني: موحِّدين غير مشركين.

وفي قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: كما بدأكم سعداء وأشقياء، كذلك تبعثون، روى هذا المعنى علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مُجاهِد، والقرظي، والسُّدِّي، ومقاتل، والفرَّاء[1].

والثَّاني: كما خُلقتم بقدرته كذلك يعيدكم، روى هذا المعنى العَوْفي عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، وابن زيد، والزَّجَّاج[2]، وقال: هذا الكلام متَّصل بقوله: ﴿فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الأعراف:٢٥]. [٢٦٧/أ]

والثَّالث: كما بدأكم لا تملكون شيئًا، كذلك تعودون، ذكره الماورديُّ[3].

قوله تعالَى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠﴾ [الأعراف: ٣٠].

قوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾.

قال الفرَّاء: نصب الفريق بـ﴿تَعُودُونَ﴾[4].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤)، ومعاني القرآن (١/ ٣٧٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣١).

(٣) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٢١٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٦).

وقال ابن الأنباريِّ: نصب ﴿ فَرِيقًا ﴾، ﴿وَفَرِيقًا ﴾ على الحال من الضمير الذي في ﴿تَعُودُونَ ﴾، يريد: تعودون كما ابتدأ خلقكم مختلفين، بعضكم سعداء، وبعضكم أشقياء.

قوله تعالى: ﴿ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾ أي: بالكلمة القديمة، والإرادة السَّابقة.

قوله تعالَى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

قوله: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ ﴾.

سبب نزولها:

أن ناسًا من الأعراب كانوا يطوفون بالبيت عراةً، الرِّجال بالنَّهار، والنِّساء باللَّيل، وكانت المرأة تعلِّق على فرجها سيورًا، وتقول:

اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ ... وَمَا بَدا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية، قاله ابن عبَّاسٍ[1].

وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: كانوا إذا حجُّوا، فأفاضوا من منى، لا يصلح لأحد منهم في دينه الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فيلقيهما حتى يقضي طوافه، فنزلت هذه الآية[2].

وقال الزُّهري: كانت العرب تطوف بالبيت عراةً، إلا الحمس قريشٌ وأحلافها، فمن جاء من غيرهم، وضع ثيابه وطاف في ثوبي أحمس، فإن لم يجد من يُعيره من الحمس، ألقى ثيابه وطاف عريانًا، فإن طاف في ثياب

(١) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٤٩) من طريق سعيد بن جُبَيْر، به.

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (١/ ٢٢٦) من طريق الزُّهري، به، بنحوه.

نفسه، جعلها حرامًا عليه إذا قضى الطَّواف، فلذلك جاءت هذه الآية[١].

وفي هذه الزِّينة قولان:

أحدهما: الثِّياب.

ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ورد في ستر العورة في الطَّواف، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن في جماعة.

والثَّاني: أنه ورد في ستر العورة في الصَّلاة، قاله مُجاهِد، والزَّجَّاج[٢].

والثَّالث: أنه ورد في التَّزين بأجمل الثِّياب في الجمع والأعياد، ذكره الماورديُّ[٣].

والثَّاني: أن المراد بالزِّينة: المشط، قاله أبو روْق.

قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

قال ابن السَّائب: كان أهل الجاهليَّة لا يأكلون في أيام حَجِّهم دَسَمًا، ولا ينالون من الطعام إلَّا قوتًا، تعظيمًا لحجَّتهم، فنزل قوله: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[٤].

وفي قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أربعة أقوال:

أحدها: لا تسرفوا بتحريم ما أحلَّ لكم، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٧٧) عن معمر، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٥٤)، والأزرقي في أخبار مكَّة (١/ ١٧٥) من طريق معمر، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٢).

(٣) انظر: النُكت والعيون (٢/ ٢١٨).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٠).

والثَّاني: لا تأكلوا حرامًا، فذلك الإسراف، قاله ابن زيد.

والثَّالث: لا تشركوا، فمعنى الإسراف هاهنا: الإشراك، قاله مقاتل[١].

والرَّابع: لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة، قاله الزَّجَّاج[٢].

ونُقل أن الرَّشيد كان له طبيب نصرانيٌّ حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطِّبِّ شيء، فقال علي: قد جمع الله تعالى الطِّبَّ في نصف آية من كتابنا. قال: ما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾. قال النَّصراني: ولا يؤثر عن نبيِّكم شيء من الطِّبِّ، فقال: قد جمع رسولنا علم الطِّبِّ في ألفاظ يسيرة. قال: وما [٢٦٧/ب] هي؟ قال: «**الْمَعِدَةُ بَيْتُ الدَّاءِ، وَالْحِمْيَةُ رَأْسُ الدَّواءِ، وَعَوِّدُوا كُلَّ بَدَنٍ مَا اعْتَادَ**». فقال النَّصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيُّكم لجالينوس طبًّا[٣].

قال الشَّيخ[٤]: هكذا نقلتُ هذه الحكاية، إلا أن هذا الحديث المذكور فيها عن النَّبيِّ ﷺ لا يثبت. وقد جاءت عنه في الطِّبِّ أحاديث قد ذكرتها في كتاب: «لقط المنافع [في الطِّبِّ][٥]»[٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٣).

(٣) هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب، ولا يصح رفعه إلى النَّبيِّ ﷺ. انظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة؛ لملا علي القاري (١/ ٣٢٠)، والسلسلة الضعيفة؛ للألباني (١/ ٤١٩).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ر)، وفي (ف): (قال المصنِّف).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من (ر).

(٦) وكتاب: «لقط المنافع في الطِّبِّ»: من كتب الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ المخطوطة التي لم=

قولـه تعَـالَى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف: ٣٢].

قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المشركين عيَّروا المسلمين، إذ لبسوا الثِّياب في الطَّواف، وأكلوا الطَّيِّبات، فنزلت، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنهم كانوا يُحرِّمون أشياء أحلَّها الله من الزُّروع وغيرها، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: نزلت في طوافهم بالبيت عراة، قاله طاوس، وعطاء.

وفي ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ستر العورة، فالمعنى: من حرَّم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم؟.

والثَّاني: أنها زينة اللِّباس.

وفي الطَّيِّبات قولان:

أحدهما: أنها الحلال.

والثَّاني: المستلذ.

=تر النور بعد، وقد سبق أن طُبع عن دار الكتب الوطنية بالقاهرة في مجلدين طبعة مختصرة.

ثم في ما عني بها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها البحائر، والسَّوائب، والوصائل، والحوامي التي حرَّموها، قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة.

والثَّاني: أنها السَّمْن، والألبان، واللَّحم، وكانوا حرَّموه في الإحرام، قاله ابن زيد.

والثَّالث: الحرث، والأنعام، والألبان، قاله مقاتل[1].

قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً﴾.

قال ابن الأنباريِّ: ﴿خَالِصَةً﴾ نصب على الحال من لام مضمرة، تقديرها: هي للذين آمنوا في الحياة الدُّنيا مشتركة، وهي لهم في الآخرة خالصة، فحذفت اللام لوضوح معناها، كما تحذف العرب أشياء لا يُلبِس سقوطها.

قال الشَّاعر[2][من الطويل]:

تَقُوْلُ ابْنَتِي لَمَّا رَأتْنيَ شَاحِبا ... كأنَّكَ يَحْمِيكَ الطَّعامَ طَبِيبُ

تَتَابَعَ أَحْدَاثٌ تَخَرَّمْنَ إخْوَتي ... فشيَّبن رَأْسِي، والخُطُوبُ تُشِيبُ

أراد: فقلت لها: الذي أكسبني ما ترين، تتابع أحداث، فحذف لانكشاف المعنى.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٤).

(٢) البيت لأبي الحدرجان في نوادر أبي زيد (ص: ٢٣٩)، وبلا نسبة في الخصائص (١/ ٢٢٩)، ولسان العرب (١٤/ ٨).

قال المفسِّرون: إن المشركين شاركوا المؤمنين في الطَّيِّبات، فأكلوا ولبسوا ونكحوا، ثم يخلص الله الطَّيِّبات في الآخرة للمؤمنين، وليس للمشركين فيها شيء.

وقيل: خالصة لهم من ضرر أو إثم.

وقرأ نافع: «خالصةٌ» بالرفع(١).

قال الزَّجَّاج: ورفعُها على أنه خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقل لبيب، والمعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الدُّنيا، خالصةٌ يوم القيامة(٢).

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ أي: هكذا نبيِّنها.

قوله تعالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

[٢٦٨/أ] قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾.

قرأ حمزة: «ربي» بإسكان الياء(٣).

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: أن المراد بها الزِّنا، ما ظهر منه: علانيته، وما بطن: سرُّه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال سعيد بن جُبَيْر.

والثَّاني: أن ما ظهر: نكاح الأمهات، وما بطن: الزِّنا، رواه سعيد بن جُبَيْر عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال علي بن الحسين.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٣)، والتَّيسير (١/ ١٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٢٨٠).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٣٠١)، والتَّيسير (١/ ١١٥).

والثَّالث: أن ما ظهر: نكاح الأبناء نساء الآباء، والجمع بين الأختين، وأن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، وما بطن: الزِّنا، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

والرَّابع: أن ما ظهر: الزِّنا، وما بطن: العزل، قاله شريح.

والخامس: أن ما ظهر: طواف الجاهليَّة عراة، وما بطن: الزِّنا، قاله مُجَاهِد.

والسَّادس: أنه عامٌّ في جميع المعاصي.

ثم في ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قولان:

أحدهما: أن الظَّاهر: العلانية، والباطن: السِّرُّ، قاله أبو سليمان الدِّمشقي.

والثَّاني: أن ما ظهر: أفعال الجوارح، والباطن: اعتقاد القلوب، قاله الماورديُّ[(١)].

وفي الإثم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الذَّنب الذي لا يوجب الحدَّ، قاله ابن عبَّاسٍ، والضَّحَّاك، والفرَّاء[(٢)].

والثَّاني: المعاصي كلُّها، قاله مُجَاهِد.

والثَّالث: أنه الخمر، قاله الحسن، وعطاء.

قال ابن الأنباريِّ: أنشدنا رجل في مجلس ثعلب بحضرته، وزعم أن أبا عبيدة أنشده[(٣)]:

---

(١) انظر: النُّكت والعيون (٢/ ٢١٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٣) بلا نسبة في الزَّاهر (٢/ ٢١)، واللسان (١٢/ ٧).

نَشْرَبُ الإِثْمَ بالصُّواعِ جِهَارًا وَنَرى المُتْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارَا

فقال أبو العباس: لا أعرفه، ولا أعرف الإثم: الخمر، في كلام العرب.

وأنشدنا رجل آخر[1][من الوافر]:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الإِثْمُ تَذْهَبُ بالعُقُولِ

قال أبو بكر: وما هذا البيت معروفًا أيضا في شعر من يحتجُّ بشعره، وما رأيت أحدًا من أصحاب الغريب أدخل الإثم في أسماء الخمر، ولا سمَّتها العرب بذلك في جاهليَّة و[لا][2] إسلام.

فإن قيل: إن الخمر تدخل تحت الإثم: فصوابٌ، لا؛ لأنه اسم لها.

فإن قيل: كيف فصل الإثم عن الفواحش، وفي كلِّ الفواحش إثم؟

فالجواب: أن كلَّ فاحشة إثم، وليس كلُّ إثم فاحشة، فكان الإثم كل فعل مذموم.

والفاحشة: العظيمة.

فأما «البغي»، فقال الفرَّاء: هو الاستطالة على النَّاس[3].

قوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟﴾.

قال الزَّجَّاج: موضع «أن» نصب، فالمعنى: حرَّم الفواحش، وحرَّم الشِّرك[4].

والسُّلطان: الحجَّة.

---

(١) بلا نسبة في الزَّاهر (٢/ ٢١)، ولسان العرب (٦/ ١٢)، وتهذيب اللُّغة (١٥/ ١٦١).

(٢) من (ر).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٧٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٤).

قوله: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ عام في تحريم القول في الدِّين من غير يقين.

قولـه تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤].

قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾.

سبب نزولها:

أنهم سألوا النَّبيَّ ﷺ العذاب، فأُنزلت، قاله مقاتل[1]. [٢٦٨/ب]

وفي الأجل قولان:

أحدهما: أنه أجل العذاب.

والثَّاني: أجل الحياة.

قال الزَّجَّاج: الأجل: الوقت المؤقت[2].

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ﴾ المعنـى: ولا أقـلَّ مـن سـاعة، وإنـما ذكـر السَّـاعة، لأنهـا أقـل أسـماء الأوقـات.

قوله تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾ [الأعراف: ٣٥، ٣٧].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٤).

قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾.

قال الزَّجَّاج: أضمر: «فأطيعوهم»[١].

وقد سبق معنى ﴿إِمَّا﴾ في سورة «البقرة»[٢].

والباقي ظاهر إلى قوله: ﴿يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾.

ففي معناه سبعة أقوال:

أحدها: ما قُدِّر لهم من خير وشرٍّ، رواه مُجَاهِد عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: نصيبهم من الأعمال، فيُجزَون عليها، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: ما كُتِبَ عليهم من الضَّلالة والهدى، قاله الحسن.

وقال مُجَاهِد[٣]، وابن جبير[٤]: من السَّعادة والشَّقاوة.

والرَّابع: ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والأعمال، قاله الرَّبيع، والقرظي، وابن زيد.

والخامس: ما كتب لهم من العذاب، قاله عكرمة، وأبو صالح، والسُّدِّي.

والسَّادس: ما أخبر الله تعالى في الكتب كلِّها: أنه من افترى على الله كذبًا، اسودَّ وجهه، قاله مقاتل[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٨).

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٦٩).

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ١٦٩).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٥).

والسَّـابع: مـا أخـبر في الكتـب مـن جزائهـم، نحـو قولـه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليـل:١٤] قالـه الزَّجَّـاج[1].

فإذن في الكتاب خمسة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ.

والثَّاني: كُتُبُ الله كلُّها.

والثَّالث: القرآن.

والرَّابع: كتاب أعمالهم.

والخامس: القضاء.

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾.

فيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أعوان مَلَكِ الموت، قاله النَّخعي.

والثَّاني: ملك الموت وحده، قاله مقاتل[2].

والثَّالث: ملائكة العذاب يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: يتوفَّونهم بالموت، قاله الأكثرون.

والثَّاني: يتوفَّونهم بالحشر إلى النَّار يوم القيامة، قاله الحسن.

والثَّالـث: يتوفَّونهـم عذابًـا، كـما تقـول: قتلـت فلانًـا بالعـذاب، وإن لم يمـت، قالـه الزَّجَّـاج[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٦).

قولـه: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبـدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وهـذا سـؤال تبكيـت[١] وتقريـع.

قال مقاتل: المعنى: فليمنعوكم من النَّار[٢].

قـال الزَّجَّـاج: ومعنـى ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾: بطلـوا وذهبـوا، فيعترفـون عنـد موتهـم أنهـم كانـوا كافريـن[٣].

وقال غيره: ذلك الاعتراف يكون يوم القيامة.

قولـه تَعَـالَى: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأعراف: ٣٨].

قوله: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ﴾.

إن الله تعـالى يقـول لهـم ذلـك بواسـطة الملائكـة، لأن الله تعـالى لا يكلِّـم الكفـار يـوم القيامـة[٤].

قال ابن قُتَيْبة: و «في» بمعنى «مع»[٥].

وفي قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم﴾ قولان:

---

(١) في (ر): (تنكيت)!.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٥).

(٤) هنـاك نصـوص واردة تـدل أن الله يكلمهـم يـوم القيامـة، ونصـوص أخـرى تـدل عـلى نفـي كلام الله يـوم القيامـة، وهـي محمولـة عـلى أن الله لا يكلمهـم كلام رضـا ورحمـة، وإنـما يكلمهـم كلام فيـه توبيـخ وتقريـع وتبكيـت؛ زيـادة في عذابهـم يـوم القيامـة. والله أعلـم.

(٥) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٧).

أحدهما: مضت إلى العذاب.

والثَّاني: مضت في الزَّمان، يعني كفار الأمم الماضية.

قوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

وهذه أُخُوَّةُ الدِّين والملَّة، لا أُخُوَّةُ النَّسب. [٢٦٩/أ]

قال ابن عبَّاسٍ: يلعنون من كان قبلهم[١].

قال مقاتل: كلما دخل أهل ملَّة، لعنوا أهل ملَّتهم، فيلعن اليهودُ اليهودَ، والنَّصارى النَّصارى، والمشركون المشركين، والأتباع القادة، ويقولون: أنتم ألقيتمونا هذا الملقى حين أطعناكم[٢].

وقال الزَّجَّاج: إنما تلاعنوا، لأن بعضهم ضلَّ باتِّباع بعض[٣].

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ﴾.

قال ابن قُتَيْبة: أي: تداركوا، فأدغمت التاء في الدَّال، وأُدخلت الألف ليَسْلَم السُّكون لِما بعدها، يريد تتابعوا فيها واجتمعوا[٤].

قوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: آخر أُمَّة لأول أُمَّة، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: آخر أهل الزَّمان لأوَّليهم الذين شرعوا له ذلك الدِّين، قاله السُّدِّي.

---

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٦٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٧).

والثَّالث: آخرهم دخولًا إلى النَّار، وهم الأتباع، لأوَّلهم دخولًا، وهم القادة، قاله مقاتل[١].

قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: شرعوا لنا أن نتَّخذ من دونك إلهًا[٢].

قوله: ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: عذابًا مضاعفًا[٣].

قوله: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: عذاب مضاعف.

﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

قرأ أبو بكر، والمفضَّل عن عاصم: «يعلمون» بالياء[٤].

قال الزَّجَّاج: والمعنى: لا يعلم كلُّ فريق مقدار عذاب الفريق الآخر[٥].

وقرأ الباقون: «تعلمون» بالتاء.

وفيها وجهان ذكرهما الزَّجَّاج:

أحدهما: لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكلٍّ فريق من العذاب.

والثَّاني: لا تعلمون يا أهل الدُّنيا مقدار ذلك[٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٦).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٦٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٥٨٩)، والحجَّة (٤/ ١٧)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

وقيل: إنما طلب الأتباع مضاعفة عذاب القادة، ليكون أحد العذابين على الكفر، والثَّاني على إغرائهم به، فأجيبوا ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: كما كان للقادة ذلك، فلكم عذاب بالكفر، وعذاب بالاتِّباع.

قوله تعالَى: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٩].

قوله: ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: في الكفر، نحن وأنتم فيه سواء، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: في تخفيف العذاب، قاله مُجاهِد.

قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ قال مقاتل: من الشِّرك والتَّكذيب[1].

قوله تعالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٠].

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بحججنا وأعلامنا التي تدل على توحيد الله ونبوَّة الأنبياء، وتكبَّروا عن الإيمان بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: ﴿لَا[2] تُفَتَّحُ﴾ بالتاء، وشدَّدوا التاء الثَّانية.

وقرأ أبو عمرو: «لا تُفْتَح» بالتاء خفيفة، ساكنة الفاء.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٦).

(٢) من (ر).

وقرأ حمزة، والكِسَائِي: «لا يُفْتَح» بالياء مضمومة خفيفة[١].

وقرأ اليزيدي عن اختياره: «لا تَفتح» بتاء مفتوحة، «أبوابَ السَّماء» بنصب الباء[٢]. فكأنه أشار إلى أفعالهم.

وقرأ الحسن: بياء مفتوحة، مع نصب الأبواب[٣]. كأنه يشير إلى الله ﷻ.

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

[٢٦٩/ب] **أحدها**: لا تفتح لأرواحهم أبواب السَّماء، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، وهو قول أبي موسى الأشعري، والسُّدِّي في آخرين، والأحاديث تشهد به.

والثَّاني: لا تفتح لأعمالهم، رواه العَوْفِي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، رواه عطاء عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: لا تفتح لأرواحهم ولا لأعمالهم، قاله ابن جريج، ومقاتل.

وفي السَّماء قولان:

أحدهما: أنها السَّماء المعروفة، وهو المشهور.

والثَّاني: أنَّ المعنى: لا تفتح لهم أبواب الجنَّة ولا يدخلونها، لأن الجنَّة في السَّماء، ذكره الزَّجَّاج[٤].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ١٨)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) ﴿لا يَفتح﴾ عن اليزيدي. والصواب أنها بالتاء، وانظر: الكامل في القراءات العشر (١/ ٥٥٢).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن مجاهد والأعمش، وانظر: إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٣٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٧).

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

﴿ٱلْجَمَلُ﴾: هو الحيوان المعروف.

فإن قال قائل: كيف خصَّ الجمل من دون سائر الدَّوابِّ، وفيها ما هو أعظم منه؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن ضرب المثل بالجمل يحصِّل المقصود، والمقصود أنهم لا يدخلون الجنَّة، كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة، ولو ذكر أكبر منه أو أصغر منه، جاز، والناس يقولون: فلان لا يساوي درهمًا، وهذا لا يغني عنك فتيلًا، وإن كنا نجد أقلَّ من الدِّرهم والفتيل.

والثَّاني: أن الجمل أكبر شأنًا عند العرب من سائر الدَّوابِّ، فإنهم يقدِّمونه في القوَّة على غيره، لأنه يوقَر بحمله فينهض به دون غيره من الدَّوابِّ، ولهذا عجَّبهم من خلق الإبل، فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧]، فآثر الله تعالى ذكره على غيره لهذا المعنى. ذكر الجوابين ابن الأنباريِّ.

قال: وقد روى شهر بن حوشب عن ابن عبَّاسٍ أنه قرأ: «حتى يلج الجُمَّلُ» بضم الجيم وتشديد الميم، وقال: هو القَلْس الغليظ[1].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٨) عن ابن عباس، وفي المحتسب (١/ ٢٤٩)، وزاد في البحر المحيط (٤/ ٢٩٧) ابن عباس في رواية عطاء والضَّحَّاك والجحدري.

قلت[١]: وهي[٢] قراءة أبي رزين، ومُجَاهِد، وابن محيصن، وأبي مجلز، وابن يَعْمَرَ، وأبان عن عاصم[٣].

قال: وروى مُجَاهِد عن ابن عبَّاسٍ: «حتى يلج الجُمَلُ» بضم الجيم وفتح الميم وتخفيفها.

قلت[٤]: وهي قراءة قتادة.

وقد رويت عن سعيد بن جُبَيْر، وأنه قرأ: «حتى يلج الجُمْل» بضم الجيم وتسكين الميم.

قلت[٥]: وهي قراءة عكرمة[٦].

قال ابن الأنباريِّ: فالجُمَل يحتمل أمرين: يجوز أن يكون بمعنى الجُمَّلُ، ويجوز أن يكون بمعنى جملة من الجِمال، قيل في جمعها: جمل، كما يقال: حُجْرة، وحُجَر، وظُلْمة، وظُلَم. وكذلك من قرأ: «الجُمْلَ» يسوغ له أن يقول: الجُمْلُ، بمعنى الجُمَّل، وأن يقول: الجُمْل، جمع جُمْلة، مثل بُسْرة، وبُسْر. وأصحاب هذه القراءات يقولون: الحبل والحبال، أشبه بالإبرة والخيوط من الجمال.

---

(١) في (ف): (قال المصنِّف).

(٢) في (ر): (وهذه).

(٣) انظر: المحتسب (١/ ٢٤٩)، و الكامل (١/ ٥٥٢).

(٤) في (ف): (قال المصنِّف).

(٥) في (ف): (قال المصنِّف).

(٦) انظر: المحتسب (١/ ٢٤٩).

وروى عطاء بن يسار عن ابن عبَّاسٍ أنه قرأ: «الجُمُل» بضم الجيم والميم، وبالتخفيف، وهي قراءة الضَّحَّاك، والجَحْدَري.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو الجوزاء: «الجَمْل» بفتح الجيم، وبسكون الميم خفيفة.

قوله: ﴿فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

السَّمُّ في اللُّغة: الثُّقْب.

وفيه ثلاث لغات: [٢٧٠/أ]

فتح السين، وبها قرأ الأكثرون.

وضمها، وبه قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابن محيصن، وطلحة بن مصرِّف[(١)].

وكسرها، وبه قرأ أبو عمران الجوني، وأبو نهيك، والأصمعيُّ عن نافع[(٢)].

قال ابن القاسم: والخياط: المِخْيَط، بمنزلة اللِّحاف والملحف، والقِرام والمقرم[(٣)].

وقد قرأ ابن مسعود، وأبو رزين، وأبو مجلز: «في سمِّ المخيط»[(٤)].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٩): أبو السَّمَّال. وفي المحرَّر الوجيز (٢/ ٤٠٠)، والتَّحصيل (٣/ ٣٣): ابن سيرين، وأبو السَّمَّال. وفي الكامل (١/ ٥٥٢): أبو حيوة، وأبو السَّمَّال، وأحمد، وابن مُحَيْصِن، وقَتَادَة.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٩) أبو حيوة، وفي الكامل (١/ ٥٥٢) الأصمعي عن نافع.

(٣) انظر: شرح القصائد السبع (١/ ٥٣١).

(٤) في لغات القرآن (١/ ٦٨)، والمحرَّر الوجيز (٢/ ٤٠٠)، ومختصر ابن خالويه (ص:٤٩) عن ابن مسعود.



قال الزَّجَّاج: الخياط: الإبرة، وسَمُّها: ثُقبها. والمعنى: أنهم لا يدخلون الجنَّة أبدًا[١].

قال ابن قُتَيْبة: هذا كما يقال: لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب، ويَبْيَضَّ القارُ[٢].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل ذلك نجزي الكافرين أنهم لا يدخلون الجنَّة.

قوله تعالَى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الأعراف: ٤١، ٤٢].

قوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ المهاد: الفراش.

وفي المراد بالغواشي ثلاثة أقوال:

أحدها: اللُّحُفُ، قاله ابن عبَّاسٍ، والقرظي، وابن زيد.

والثَّاني: ما يغشاهم من فوقهم من الدُّخان، قاله عكرمة.

والثَّالث: غاشية فوق غاشية من النَّار، قاله الزَّجَّاج[٣].

قال ابن عبَّاسٍ: والظالمون هاهنا: الكافرون[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٨).

(٢) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٨).

(٤) في التفسير الوسيط (٢/ ٣٦٨): يريد الذين أشركوا به، واتخذوا من دونه إلهًا.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)﴾ [الأعراف: ٤٣].

قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

فيمن عني بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أهل بدر.

روى الحسن عن عليٍّ؛ أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[1].

وروى عمرو بن الشَّريد عن عليٍّ أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزُّبير، من الذين قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[2].

والثَّاني: أنهم أهل الأحقاد من أهل الجاهليَّة حين أسلموا.

روى كثير النَّوَّاء عن أبي جعفر قال: نزلت هذه الآية في عليٍّ، وأبي بكر، وعمر، قلت لأبي جعفر: فأي غلٍّ هو؟ قال: غلُّ الجاهلية، كان بين بني هاشم وبني تيم وبني عدي في الجاهلية شيء، فلما أسلم هؤلاء، تحابُّوا، فأخذتْ أبا بكر الخاصرةُ، فجعل عليٌّ يسخِّن يده ويكمِّد بها

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (٨٤٦٦) في تفسيرهما، من طريق ابن عيينة، عن إسرائيل، عن الحسن، به.

(٢) رواه أحمد في فضائل الصَّحابة (٧٥٨) من طريق شعبة، عن حبيب بن الزبير، عن عبد الرحمن بن الشريد، به.

خـاصرة أبي بكـر، فنزلـت هـذه الآيـة[(١)].

والثَّالـث: عـشرة مـن الصحابـة: أبـو بكـر، وعمـر، وعثـمان، وعـلي، وطلحـة، والزبـير، وعبـد الرحمـن بـن عـوف، وسـعد بـن أبي وقـاص، وسـعيد بـن زيـد، وعبـد الله بـن مسـعود، قالـه أبـو صالـح[(٢)].

والرَّابع: أنها في صفة أهل الجنَّة إذا دخلوها.

روى أبـو سـعيد الخـدري عـن النَّبـيِّ ﷺ أنـه قـال: «**يَخْلُـصُ الْمُؤْمِنُـونَ مِـنَ النَّـارِ فَيُحْبَسُـونَ عَـلَى قَنْطَـرَةٍ بَـيْنَ الجنَّـة وَالنَّـارِ، حَتَّـى إِذَا هُذِّبُـوا وَنُقُّـوا، أُذِنَ لهُـمْ فِي دُخُـولِ الجنَّـة. فَوَالَّـذِي نَفْـسِي بِيَـدِهِ، لَأَحَدُهُـمْ أَهْـدَى بِمَنْزِلِـهِ فِي الجنَّـة مِنْـهُ بِمَنْزِلِـهِ الَّـذِي[(٣)] كَانَ فِي الدُّنيـا**»[(٤)].

وقـال ابـن عبَّـاسٍ: أول مـا يدخـل أهـلُ الجنَّـة الجنَّـة[(٥)]، تعـرض لهـم عينـان، فيشربـون مـن إحـدى العينـين، فيُذهـب الله مـا في قلوبهـم مـن غـلٍّ [٢٧٠/ ب] وغـيره مما كان في الدُّنيـا، ثـم يدخلـون إلى العـين الأخـرى، فيغتسـلون منهـا، فتُـشرق ألوانهـم، وتصفـو وجوههـم، وتجـري عليهـم نـضرة النَّعيـم[(٦)(٧)].

---

(١) رواه أحمـد في فضائـل الصحابـة (١٢٤) عـن عـلي بـن هاشـم، عـن كثـير، يعنـي: النـواء، قـال: قلـت لأبي جعفـر: إن فلانًـا حدثنـي، عـن عـلي بـن حسـين، فذكـره. ومـن طريقـه أخرجـه الواحـدي في أسـباب النـزول (١/ ٢٧٦).

(٢) لم نقف عليه مسندًا.

(٣) ليست في (ف).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦٥٣٥)، وأحمد في مسنده (١٧/ ١٩٥).

(٥) من قوله: (منه بمنزله الذي كان في الدنيا)... إلى هنا، سقط من (ر).

(٦) في (ر): (الغنم)!.

(٧) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٨٤٧٠) في تفسيرهما بنحوه عن السُّدِّي.

فأما «النَّزع» فهو قلع الشيء من مكانه.

و«الغلُّ»: الحقد الكامن في الصَّدر.

وقال ابن قُتَيْبة: الغلُّ: الحسد والعداوة[١].

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾.

قال الزَّجَّاج: معناه: هدانا لِما صيَّرنا إلى هذا[٢].

قال ابن عبَّاسٍ: يعنون ما وصلوا إليه من رضوان الله وكرامته[٣].

وروى عاصم بن ضمرة عن علي؛ قال: تستقبلهم الولدان كأنهم لؤلؤ منثور، فيطوفون بهم كإطافتهم بالحميم جاء من الغيبة، ويبشِّرونهم بما أعدَّ الله لهم، ويذهبون إلى أزواجهم فيبشِّرونهنَّ، فيستخفهنَّ الفرح، فيقمن على أُسْكُفَّةِ الباب، فيقلن: أنت رأيته، أنت رأيته؟ قال: فيجيء إلى منزله فينظر في أساسه، فإذا صخر من لؤلؤ، ثم يرفع بصره، فلولا أن الله ذلَّله لذهب بصره، ثم ينظر أسفل من ذلك، فإذا هو بالسُّرر الموضونة، والفرش المرفوعة، والزَّرابي المبثوثة، فعند ذلك قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ[٤]﴾[٥].

---

(١) انظر: غريب القرآن (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٣٩).

(٣) أورد نحوه الواحدي في تفسيره البسيط (٩/ ١٤٠) بلفظ: «حمدوا الله على ما أرشدهم إليه ووفقهم له».

(٤) قوله: (لولا أن هدانا الله)، ليس في (ف).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢٠٠-٢٠١)، وابن أبي حاتم (٨٤٧٦) في تفسيرهما من طريق أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة، به.

كلُّهم قرأ: ﴿وَمَا كُنَّا﴾ بإثبات الواو[١].

غير ابن عامر، فإنه قرأ: «ما كنا لنهتديَ» بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام[٢].

قال أبو علي: وجه الاستغناء عن الواو أن القصة ملتبسة بما قبلها فأغنى التباسها به عن حرف العطف، ومثله ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢][٣].

قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ هذا قول أهل الجنَّة حين رأوا ما وعدهم الرُّسل عيانًا.

﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ﴾ قال الزَّجَّاج: إنما قال: ﴿تِلْكُمُ﴾ لأنهم وعدوا بها في الدُّنيا، فكأنه قيل لهم: هذه تلكم التي وُعدتم بها[٤].

وجائز أن يكون هذا قيل لهم حين عاينوها قبل دخولهم إليها.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر: «أورثْتُموها» غير مدغمة[٥].

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكِسَائِي «أورتُّموها» مدغمة[٦].

وكذلك قرءوا في «الزُّخرف»[٧].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ٢٥)، والمبسوط (١/ ٢٠٨).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٠)، والحجَّة (٤/ ٢٥)، والمبسوط (١/ ٢٠٨).

(٣) انظر: الحجَّة (٤/ ٢٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٠).

(٥) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والحجَّة (٤/ ٢٥).

(٦) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والحجَّة (٤/ ٢٥).

(٧) انظر: المصادر السابقة.

قال أبو علي: من ترك الإدغام، فلتباين مخرج الحرفين، ومن أدغم، فلأن التاء والثاء مهموستان متقاربتان[١].

وفي معنى ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ **أربعة أقوال:**

أحدها: ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَلَهُ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الْكَافِرُ فَإِنَّهُ يَرِثُ الْمُؤْمِنَ مَنْزِلَهُ مِنَ النَّارِ، وَالْمُؤْمِنُ يَرِثُ الْكَافِرَ مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ**» فذلك قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢].

وقال بعضهم: لما سمي الكفار أمواتًا بقوله: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ [النحل:٢١]. وسمَّى المؤمنين أحياء بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس:٧٠] أورث الأحياء الموتى.

والثَّاني: أنهم أُورثوها عن الأعمال، لأنها جُعلت جزاءً لأعمالهم، وثوابًا عليها، إذ هي عواقبها، حكاه أبو سليمان الدِّمشقي. [٢٧١/أ]

والثَّالث: أن دخول الجنَّة برحمة الله، واقتسامَ الدَّرجات بالأعمال. فلما كان يفسَّر نيلها لا عن عوض، سميت ميراثًا. والميراث: ما أخذته عن غير عوض.

والرَّابع: أن معنى الميراث هاهنا: أن أمرهم يؤول إليها كما يؤول الميراث إلى الوارث.

---

(١) انظر: الحجَّة (٤/ ٢٥-٢٦).

(٢) أخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٦٩) من طريق أبي بكر بن عيَّاش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ٤٥﴾ [الأعراف: ٤٤، ٤٥].

قوله: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗا﴾ أي: من العذاب؟ وهذا سؤال تقرير وتعيير.

﴿قَالُواْ نَعَمۡ﴾ قرأ الجمهور بفتح العين في جميع القرآن.

وكان الكِسَائِي يكسرها[1].

قال الأخفش: هما لغتان.

قوله: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ أي: نادى منادٍ.

﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾.

قرأ ابن كثير في رواية قنبل، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ خفيفة النون ساكنة.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكِسَائِي: «أنَّ» بالتشديد، «لعنةَ الله» بالنصب[2].

قال الأخفش: و«أنْ» في قوله: ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ [الأعراف:٤٣] وقوله: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [يونس:١٠]، و﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾، هي «أنَّ» الثقيلة خففت[3].

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والمبسوط (١/ ٢٠٩).

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨١)، والحجَّة (٤/ ٢١ـ ٢٢)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٢٦).

قال الشَّاعر[١][من البسيط]:

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أنْ هَالِكٌ كلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

وأنشدوا أيضًا[٢][من الوافر]:

أُكاشِرُهُ وَأعْلَمُ أَنْ كِلانَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبَهُ حَرِيصُ

ومعناه: أنه كلانا. وتكون ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ في معنى: أي.

قال ابن عبَّاسٍ: والظَّالمون هاهنا: الكافرون[٣].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: أذَّن المؤذِّن أن لعنة الله على الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله، وهو الإسلام.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مفسَّر في «آل عمران».

﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ﴾ أي: وهم بِكَوْن الآخرة ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

قوله تَعالَى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْۚ وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾[الأعراف: ٤٦].

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه (ص:١٠٩)، والإنصاف (ص: ١٩٩)، وتخليص الشواهد (ص: ٣٨٢)، وخزانة الأدب (٥/ ٤٢٦).

(٢) البيت لعدي بن زيد في الكتاب (٣/ ٧٤)، وليس في ديوانه؛ ولعمر بن جابر الحنفي في حماسة البحتري (ص ١٨)، وبلا نسبة في الإنصاف(١/ ١٦٣)، وشرح المفصل (١/ ٥٤)، والمقتضب (٣/ ٢٤١).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ٣٧٠) عن ابن عباس بلفظ: «يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظمه الله، وهم بالآخرة أي: بالدار الآخرة والمصير إلى الله كافرون».

قولـه: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ أي بـين الجنَّـة والنَّـار حاجـز، وهـو السُّـور الذي ذكـره الله تعـالى في قولـه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌ ﴾ [الحديـد:١٣]، فسُـمِّي هـذا السُّـور بالأعـراف لارتفاعـه.

قـال ابـن عبَّـاسٍ: الأعـراف: هـو السُّـور الـذي بـين الجنَّـة والنَّـار، لـه عـرف كعـرف الدِّيـك[١].

وقـال أبـو هريـرة: الأعـراف: جبـال بـين الجنَّـة والنَّـار، فهـم عـلى أعرافهـا، يعنـي: عـلى ذراهـا، خِلقتهـا كخِلقـة عـرف الدِّيـك[٢].

قـال اللُّغويـون: الأعـراف عنـد العـرب: كلُّ مـا ارتفـع مـن الأرض وعـلا يقـال لـكلِّ عـال: عُـرف، وجمعـه: أعـراف.

قال الشَّاعر[٣][من الرجز]:

كلُّ كِنـازٍ لَحْمُـه نِيَـافِ   كالعَلَـم المُـوفي عـلى الأَعْـرافِ

وقال الآخر[٤]:

وَرِثْـت بِنَـاءَ آبَـاءٍ كِـرَامٍ   عَلَـوْا بالمَجْـدِ أعْـرَافَ البِنَـاءِ

وفي ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم من بني آدم، قاله الجمهور.

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢١١) من طريق مجاهد، به.

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) بـلا نسـبة في مجـاز القـرآن (ص: ٢١٥)، وتفسـير ابـن جريـر (١٠/ ٢٠٩)، ولسـان العـرب(٩/ ٣٤٣).

(٤) بلا نسبة في الأضداد (ص:٣٧٠)، والمقصور والممدود؛ للقالي (١/ ٤٤٩).

وزعم مقاتل أنهم من أُمة محمد ﷺ خاصة(١).

وفي أعمالهم تسعة أقوال:

أحدها: أنهم قوم قُتلوا في سبيل الله ﷻ بمعصية آبائهم، فمنعهم من [٢٧١/ ب] دخول الجنَّة معصية آبائهم، ومنعهم من دخول النَّار قتلهم في سبيل الله، وهذا مرويٌّ عن النَّبيِّ ﷺ(٢).

والثَّاني: أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلم تبلغ بهم حسناتهم دخول الجنَّة، ولا سيئاتهم دخول النَّار، قاله ابن مسعود، وحذيفة، وابن عبَّاسٍ، وأبو هريرة، والشَّعبي، وقتادة.

والثَّالث: أنهم أولاد الزِّنا، رواه صالح مولى التَّوأمة عن ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنهم قوم صالحون فقهاء علماء، قاله الحسن، و مُجَاهِد. فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النُّزهة.

والخامس: أنهم قوم رضي عنهم آباؤهم دون أُمهاتهم، أو أُمهاتهم دون آبائهم، رواه عبد الوهاب بن مُجَاهِد عن إبراهيم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٣٩).

(٢) رواه أحمد بن منيع في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٦/ ٢١٠)، والحارث بن أسامة كما في بغية الباحث (٢/ ٧٢٢)، وسعيد بن منصور في تفسيره (٩٥٤)، وابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢١٨)، وابن أبي حاتم (٨٤٩٨) في تفسيرهما، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/ ٣٥٢)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٤) من طريق أبي معشرٍ، عن يحيى بنِ شِبْلٍ، عن عمرو بن عبد الرحمن المزني، عن أبيه، به.
وأبو معشر هو نجيح بن عبد الرَّحمن السِّندي، ضعيف، مرة يرويه موصولاً، ومرة يرسله، ومرة يسمِّي ابن عبد الرحمن المزني: عمرًا، ومرة: عمر، ومرة: محمدًا، ومرة: يحيى.



والسَّادس: أنهم الذين ماتوا في الفترة ولم يبدِّلوا دينهم، قاله عبد العزيز بن يحيى.

والسَّابع: أنهم أنبياء، حكاه ابن الأنباريِّ.

والثامن: أنهم أولاد المشركين، ذكره المَنْجُوفي[١] في تفسيره[٢].

والتَّاسع: أنَّهم قوم عملوا لله تعالى، لكنهم راءوا في عملهم، ذكره بعض العلماء.

والقول الثَّاني: أنهم ملائكة، قاله أبو مجلز، واعتُرض[٣] عليه، فقيل: إنهم رجال، فكيف تقول: ملائكة؟ فقال: إنهم ذكور وليسوا بإناث.

وقيل: معنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٌ﴾ أي: على معرفة أهل الجنَّة من أهل النَّار، ذكره الزَّجَّاج[٤]، وابن الأنباري. وفيه بُعدٌ وخلاف للمفسِّرين.

قوله: ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ أي: يعرف أصحابُ الأعراف أهل الجنَّة وأهل النَّار.

---

(١) في الأصل: (المنخوفي)!، والمثبت من (ج)، و(ف).

(٢) وهذا التفسير لم نقف عليه بعد البحث والتحرِّي، ولعلَّه من الكتب المفقودة، وأمَّا (المَنْجُوفي)، فالمشهور بهذه النِّسبة، هو: أحمد بن عبد الله بن علي المَنْجُوفي: نسبة إلى جدٍّ أبيه منجوف، بفتح الميم وسكون النون وضم الجيم، وفي آخره فاء، ومعناه المُوَسَّع، المتوفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وهو من شيوخ الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر: إرشاد الساري؛ للقسطلاني (١/ ١٣٤). فقد يكون هو مؤلِّف هذا التفسير، وقد يكون غيره، والله أعلم.

(٣) في (ر): (فاعترض).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٣).

وسيما أهل الجنَّة: بياض الوجوه، وسيما أهل النَّار: سواد الوجوه، وزرقة العيون. والسِّيما: العلامة.

وإنما عرفوا النَّاس، لأنهم على مكانٍ عالٍ يشرفون فيه على أهل الجنَّة والنَّار.

﴿وَنَادَوْا﴾ يعني: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وفي قوله: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنه إخبار من الله تعالى لنا أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنَّة وهم يطمعون في دخولها، قاله الجمهور.

والثَّاني: أنه إخبار من الله تعالى لأهل الأعراف إذا رأوا زمرة يُذهَب بها إلى الجنَّة أن هؤلاء لم يدخلوها وهم يطمعون في دخولها، هذا قول السُّدِّي.

قوله تعالَى: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأعراف: ٤٧].

قوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعني أصحاب الأعراف.

والتِّلقاء: جهة اللقاء، وهي جهة المقابلة.

وقال أبو عبيدة: تلقاء أصحاب النَّار، أي: حيالهم[١].

قوله تعالَى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٨].

قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢١٥).



روى أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ قال: ينادون: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا عاص بن وائل، يا أميَّة بن خلف، يا أُبَيَّ بن خلف، يا سائر رؤساء الكفار، ما أغنى عنكم جمعكم في الدُّنيا المال والولد[1]. [٢٧٢/أ]

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: تتعظَّمون عن الإيمان.

قوله تعالَى: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٩].

قوله: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن أهل النَّار أقسموا أن أهل الأعراف داخلون النَّار معنا، وأن الله لن يدخلهم الجنَّة، فيقول الله تعالى لأهل النَّار: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ﴾ يعني أهل الأعراف ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ رواه وهب بن منبه عن ابن عبَّاسٍ.

قال حذيفة: بينا أصحاب الأعراف هنالك، اطَّلع عليهم ربُّهم فقال لهم: ادخلوا الجنَّة فإني قد غفرت لكم[2].

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٢٣٧)، والبحر المحيط (٥/ ٥٩).

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٩٥٥)، وابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (٨٤٩٩) في تفسيرهما، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٢) وغيرهم من طريق الشَّعبي، عن حذيفة ﷺ، وسنده ضعيف؛ للانقطاع بين عامر الشَّعبي وحذيفة.
وقد رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٠)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٢) من طريق الشعبي، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، به، بنحوه.

والثَّاني: أن أهل الأعراف يرون في الجنَّة الفقراء والمساكين الذين كان الكفَّار يستهزئون بهم، كسلمان، وصهيب، وخبَّاب، فينادون الكفار: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ وأنتم في الدُّنيا ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍ﴾. قاله ابن السَّائب.

فعلى هذا ينقطع كلام أهل الأعراف عند قوله: ﴿بِرَحۡمَةٍ﴾ ويكون الباقي من خطاب الله لأهل الجنَّة.

وقد ذكر المفسِّرون في قوله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾ ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون خطابًا من الله لأهل الأعراف، وقد ذكرناه.

والثَّاني: أن يكون خطابًا من الله لأهل الجنَّة.

والثَّالث: أن يكون خطابًا من أهل الأعراف لأهل الجنَّة، ذكرهما الزَّجَّاج[1].

فعلى هذا الوجه الأخير، يكون معنى قول أهل الأعراف لأهل الجنَّة: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾: اعلوا إلى القصور المشرفة، وارتفعوا إلى المنازل المنيفة، لأنهم قد رأوهم في الجنَّة.

وروى مُجَاهِد عن عبد الله بن الحارث قال: يؤتى بأصحاب الأعراف إلى نهر يقال له: الحياة، عليه قضبان الذَّهب مكلَّلة باللؤلؤ، فيُغمسون فيه، فيخرجون، فتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها، ويقال لهم: تمنَّوا ما شئتم، ولكم سبعون ضعفًا، فهم مساكين أهل الجنَّة[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن إعرابه (٢/ ٣٤٣-٣٤٤).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٤٠٤١)، وابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢١٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٠)، والبيهقي في البعث والنشور (١/ ٤٦٦).



قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٥٠﴾ [الأعراف: ٥٠].

قوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنَّة، وطمع[1] أهل النار في الفرج بعد اليأس، فقالوا: يا رب، إن لنا قرابات من أهل الجنَّة، فائذن لنا حتى نراهم ونكلِّمهم، فنظروا إليهم وإلى ما هم فيه من النَّعيم فعرفوهم. ونظر أهل الجنَّة إلى قراباتهم من أهل جهنَّم فلم يعرفوهم، قد اسودَّت وجوههم وصاروا خلقًا آخر، فنادى أصحابُ النار أصحاب الجنَّة بأسمائهم، وأخبروهم بقراباتهم، فينادي الرَّجل أخاه: يا أخي قد احترقتُ فأغثني فيقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2].

قال السُّدِّي: عنى بقوله: ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الطَّعام[3].

[٢٧٢/ب] قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ أن ابن آدمَ غيرُ مستغنٍ عن الطعام والشَّراب، وإن كان معذَّبًا[4].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ۝٥١﴾ [الأعراف: ٥١].

---

(١) في (ر): (طمع).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣٢) من طريق سعيد بن جبير، به، مختصرًا.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (٨٥٣٤) في تفسيرهما من طريق أسباط بن نصر، به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٤).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: هم المستهزئون[١].

والمعنى: أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم.

وقال أبو رَوْق: دينهم: عيدهم[٢].

وقال قتادة: ﴿لَهْوًا وَلَعِبًا﴾ أي: أكلًا وشربًا[٣].

وقال غيره: هو ما زيَّنه الشيطان لهم من تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، والمكاء، والتصدية، ونحو ذلك من خصال الجاهلية.

قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: نتركهم في العذاب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا[٤].

و«ما» نسق على «كما» في موضع جرٍّ. والمعنى: وكجحدهم.

قال ابن الأنباريِّ: ويجوز أن يكون المعنى: فاليوم نتركهم في النَّار على علم منا ترك ناسٍ غافلٍ كما استعملوا[٥] في الإعراض عن آياتنا وهم ذاكرون ما يستعمله من نسي وغفل.

---

(١) رواه ابن جرير الطَّبري (١٠/ ٢٣٧)، وابن أبي حاتم مختصرًا (٨٥٣٩) في تفسيرهما من طريق علي بن أبي طلحة، به، بلفظ: «وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا دُعُوا إِلَى الْإِيمَانِ سَخِرُوا مِمَّنْ دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَهَزَءُوا بِهِ اغْتِرَارًا بِاللهِ» ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ٥١] يَقُولُ: وَخَدَعَهُمْ عَاجِلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ وَالْخَفْضِ وَالدَّعَةِ عَنِ الْأَخْذِ بِنَصِيبِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ حَتَّى أَتَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ.

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٤/ ٢٣٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٤٩) من طريق عمر بن نبهان، به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤١).

(٥) في (ر): (اشتغلوا).



قولــه تعـالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعـراف: ٥٢].

قولــه: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ يعنـي القـرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ أي: بيَّنَّـاه بإيضـاح الحـقِّ مـن الباطـل.

وقيـل: فصَّلنـاه فصـولًا مـرة بتعريـف الحـلال، ومـرة بتعريـف الحـرام، ومـرة بالوعـد، ومـرة بالوعيـد، ومـرة بحديـث الأمـم.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قولان:

أحدهما: على علم منا بما فصَّلناه.

والثَّاني: على علم منا بما يصلحكم مما أنزلناه فيه.

وقـرأ ابـن السَّـمَيْفع، وابـن محيصـن، وعاصـم، والجحـدري، ومعـاذ القـارئ: «فضَّلنـاه» بضـاد معجمـة[1].

قولــه تعـالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعـراف: ٥٣].

قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾.

قال ابن عبَّاسٍ: تصديق ما وُعدوا في القرآن[2].

﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ وهـو يـوم القيامـة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ أي: تركـوه ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدُّنيـا ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالبعـث بعـد المـوت.

---

(١) في مختـصر ابـن خالويـه (ص: ٤٩)، والمحـرر الوجيـز (٢/ ٤٠٧) عـن ابـن محيصـن، وفي البحـر المحيـط (٥/ ٦٢) وزاد الجحـدري.

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٢٤٢) بلفظ: يوم القيامة.

قوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أو هل نُردُّ[١].

وقوله: ﴿فَنَعْمَلَ﴾ منصوب على جواب الفاء للاستفهام.

قولــه تعــالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعــراف: ٥٤].

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

اختلفوا أي يوم بدأ بالخلق على ثلاثة أقوال:

أحدهـا: أنـه يـوم السبت. روى مسـلم في «صحيحـه» مـن حديـث أبي هريـرة قـال: أخـذ رسـول الله ﷺ بيـدي، فقـال: «**خَلَـقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَـةَ**[٢] **يَـوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَـقَ الْجِبَـالَ فِيهَـا يَـوْمَ الْأَحَـدِ، وَخَلَـقَ الشَّـجَرَ يَـوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْـرُوهَ يَـوْمَ الثُّلَاثَـاءِ، وَخَلَـقَ النُّـورَ يَـوْمَ الْأَرْبِعَـاءِ، وَبَـثَّ فِيهَـا الـدَّوَابَّ يَـوْمَ الْخَمِيـسِ، وَخَلَـقَ آدَمَ بَعْـدَ الْعَـصْرِ يَـوْمَ الْجُمُعَـةِ آخِـرَ الْخَلْـقِ، فِي آخِـرِ سَـاعَةٍ مِـنْ سَـاعَاتِ الْجُمُعَـةِ، فِيـمَا بَـيْنَ الْعَـصْرِ إِلَى اللَّيْـلِ**»[٣].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٢).

(٢) في (ف): (البريَّة).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٢٧)، ومسلم (٢٧٨٩)، والنسائي في الكبرى (١٠٩٤٣).

قـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رَحِمَهُ اللَّهُ: وأمـا الحديـث الـذي رواه مسـلم في قولـه: «خلـق الله التربـة يـوم السـبت» فهـو حديـث معلـول قـدح فيـه أئمـة الحديـث كالبخـاري وغـيره، وقـال البخـاري: الصحيـح أنـه موقـوف عـلى كعـب الأحبـار، وقـد ذكـر تعليلـه البيهقـي أيضـاً، وبينـوا أنـه غلـط ليـس ممـا رواه أبـو هريـرة عـن النبـي ﷺ، وهـو ممـا أنكـر الحُـذَّاق عـلى مسـلم إخراجـه إيـاه. انظـر: الفتـاوى (١٧/ ٢٣٦).=

وهذا اختيار محمد بن إسحاق. وقال ابن الأنباريِّ: وهذا إجماع أهل العلم.

والثَّاني: يوم الأحد. قاله عبد الله بن سلام، وكعب، والضَّحَّاك، ومُجَاهِد، واختاره ابن جرير الطَّبري[1]، وبه يقول أهل التَّوراة.

والثَّالث: يوم الإثنين. قاله ابن إسحاق، وبهذا يقول أهل الإنجيل.

[٢٧٢/أ] ومعنى قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ذلك، لأن اليوم يعرف بطلوع الشَّمس وغروبها، ولم تكن الشَّمس حينئذ.

قال ابن عبَّاسٍ: مقدار كلِّ يوم من تلك الأيام ألف سنة[2]. وبه قال كعب[3]، ومُجَاهِد[4]، والضَّحَّاك[5]، ولا نعلم خلافًا في ذلك.

ولو قال قائل: إنها كأيام الدُّنيا، كان قوله بعيدًا من وجهين:

أحدهما: خلاف الآثار.

=وقال ابن كثير: هذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم عليه ابن المديني والبخاري، وغير واحد من الحفَّاظ، وجعلوه من كلام كعب، وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنما اشتبه على بعض الرواة، فجعله مرفوعاً، وذكره أيضًا.... وقال: وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث، وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار، ليس مرفوعاً. انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢١٥ـ٣/ ٤٢٦).

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطَّبري (١٢/ ٣٢٨).

(٢) رواه ابن جرير الطَّبري (١٨/ ٥٩٤)، وابن أبي حاتم (٨٥٧٥) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٢/ ٣٢٩) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، به.

(٤) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٦/ ٥٩٨).

(٥) رواه ابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٢/ ٣٣٠) عن أبي روق، به.

والثَّـاني: أن الـذي يتوهمـه المتوهِّـم مـن الإبطـاء في سـتة آلاف سـنة، يتوهمـه في سـتة أيـام عنـد تصفُّـح قولـه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يـس:٨٢].

فإن قيل: فهلَّا خلقها في لحظة، فإنه قادر؟

فعنه خمسة أجوبة:

أحدهـا: أنـه أراد أن يوقـع في كلِّ يـوم أمـرًا تسـتعظمه الملائكـة ومـن يشـاهده، ذكـره ابـن الأنبـاريِّ.

والثَّـاني: أن التثبُّـت في تمهيـد مـا خُلـق لآدم وذرِّيَّتـه قبـل وجـوده، أبلـغُ في تعظيمـه عنـد الملائكـة.

والثَّالـث: أن التَّعجيـل أبلـغ في القـدرة، والتَّثبيـت أبلـغ في الحكمـة، فأراد إظهـار حكمتـه في ذلـك، كما يظهـر قدرتـه في قـول: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

والرَّابـع: أنـه علَّـم عبـاده التَّثبُّـت، فـإذا تثبَّـت مـن لا يـزلُّ، كان ذو الزَّلـل أولى بالتَّثبُّت.

والخامـس: أن ذلـك الإمهـال في خلـق شيء بعـد شيء، أبعـد مـن أن يُظـن أن ذلـك وقـع بالطَّبـع أو بالاتِّفـاق.

قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾.

قـال الخليـل بـن أحمـد: ﴿العـرشُ﴾: السَّريـر، وكل سريـر لملـك يسـمى عرشًـا، وقلَّـما يُجمـع العـرش إلا في اضطـرار[1].

واعلم أن ذكر العرش مشهور عند العرب في الجاهليَّة والإسلام.

قال أُمية بن أبي الصلت[2]:

(١) انظر: العين (١/ ٢٤٩).

(٢) الأبيات في تأويل مختلف الحديث (١/ ١١٩)، والمجالسة وجواهر العلم (٤/ ٥٨).

مجِّـدوا الله فَهْــو لِلمَجْــدِ أهْــلٌ ربُّنــا في السَّــماء أمْسَــى كَبِـيْرا
بالبنـاء الأعـلى الـذي سبق النَّـا س وسـوَّى فـوق السَّـماء سَرِيـرَا
شَرْجَعًـا لا يَنَالُـهُ نَاظِـرُ العَيْـ ـنِ تَـرَى دُوْنَـه المَلائِـكُ صُـوْرا

وقال كعب: إن السَّماوات في العرش كالقنديل معلَّق بين السَّماء والأرض[١].

وروى إسماعيل بن أبي خالد عن سعد الطَّائي قال: العرش ياقوتة حمراء[٢].

وإجماع السَّلف منعقد على أن لا يزيدوا على قراءة الآية[٣].

وقد شذَّ قوم فقالوا: العرش بمعنى الملك. وهذا عدول عن الحقيقة

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١٠١٨٢) في تفسيره.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٧٩)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦/ ٢٢٢).

(٣) إن أراد به أنَّهم لا ينفون ما دلَّت عليه، وما ذكر فيها بتأويلات النفاة؛ مثل قولِهم: العرش والملك، أوِ اسْتوى بمعْنَى: استولى ونحو ذلك فهم ينكرونه؛ فهذا صحيح. وإنْ أراد أنَّ السَّلف لم يكونوا يعلَمون معْنى الاسْتواء ولا فسَّرُوه فهذا باطِلٌ خلاف المنقول المتواتر عنهم؛ مثل قول ربيعة ومالك لَمَّا قيل لهم ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجِبٌ، والسُّؤال عن الكيْفِ بِدْعةٌ. وذكر البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد لَمَّا ذكر الاستواء، قال أبو العالية: استوى إلى السَّماء ارتفع فسوى خلقهن. وقالَ مُجاهد: استوى على العرش علَا على العرش، وهذا مِمَّا رَواه أهْلُ التَّفْسير، فروى ابن أبي حاتم وغيره بالإسناد المعروف عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة ٢٩]، قال: ارتفع. قال: وروي عن الحسن والربيع بن أنس مثله، وفي قوْله تعالى: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة ٢٩] قال: سوى خلقهن، وأعاد ذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف ٥٤]، وروي عن قتادة أنَّه قَالَ: استوى على العرش في اليوم السابع ،قال: وروي عن محمد بن إسحاق مثل ذلك.
انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٣٠١- ٣٠٣).

الى التجوُّز، مع مخالفة الأثر، ألم يسمعوا قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧] أتراه كان المُلك على الماء؟ وكيف يكون الملك ياقوتة حمراء؟!.

وبعضهم يقول: استوى بمعنى استولى، ويحتجُّ بقول الشَّاعر[1][من الرجز]:

حتَّى اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبقول الشَّاعر أيضًا[2]:

هُمَا اسْتَويا بِفَضْلِهِما جَمِيْعًا ... عَلى عَرْشِ المُلوكِ بغَيْرِ زُوْرِ

وهذا منكر عند اللُّغويين.

قال ابن الأعرابي: العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى، ومن قال ذلك فقد أعظم.

قالوا: وإنما يقال: استولى فلان على كذا، إذا كان بعيدًا عنه غير متمكن منه، ثمَّ تمكَّن منه، والله ﷻ لم يزل مستوليًا على الأشياء، والبيتان لا يعرف قائلهما، كذا قال ابن فارس اللُّغوي.

ولو صحَّا، فلا حجَّة فيهما لما بيَّنَّا من استيلاء من لم يكن مستوليًا.

نعوذ بالله من تعطيل الملحدة، وتشبيه المجسِّمة.

قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «يُغْشي» ساكنة الغين خفيفة.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وأبو بكر عن عاصم: «يُغَشِّي» مفتوحة الغين مشددة.

---

(١) نُسب للأخطل في تاج العروس مادة (سوا)، وليس في ديوانه؛ وبلا نسبة في لسان العرب (١٤/ ٤١٤)، ورصف المباني (ص: ٣٧٢).

(٢) بلا نسبة في البحر المحيط (٥/ ٦٥).

وكذلك قرءوا في «الرعد»[1].

قال الزَّجَّاج: المعنى: أن اللَّيل يأتي على النَّهار فيغطِّيه، وإنما لم يقل: ويغشي النَّهار اللَّيل، لأن في الكلام دليلًا عليه، وقد قال في موضع آخر: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزمر:٥][2].

وقال أبو علي: إنما لم يقل: يغشي النَّهار اللَّيل، لأنه معلوم من فحوى الكلام، كقوله: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل:٨١]، وانتصب اللَّيل والنَّهار، لأن كلَّ واحد منهما مفعول به[3].

فأما «الحثيث» فهو السَّريع.

قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ﴾.

قرأ الأكثرون: بالنَّصب فيهنَّ. وهو على معنى: خلق السَّماوات والشَّمس.

وقرأ ابن عامر: «والشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ مسخراتٌ» بالرفع فيهن هاهنا وفي «النَّحل»، تابعه حفص في قوله تعالى: «وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ» في «النحل» فحسب. والرفع على الاستئناف[4].

والمسخَّرات: المذلَّلات لما يراد منهنَّ من طلوع وأفول وسير على حسب إرادة المدبِّر لهنَّ.

قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ﴾ لأنه خلقهم ﴿وَٱلۡأَمۡرُ﴾ فله أن يأمر بما يشاء. وقيل: الأمر: القضاء.

---

(١) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٢)، والحجَّة (٤/ ٢٦ـ ٢٧)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٢).

(٣) انظر: الحجَّة (٤/ ٢٨).

(٤) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٢ـ ٢٨٣)، والحجَّة (٤/ ٢٨ـ ٢٩)، والتَّيسير (١/ ١١٠).

قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: تفاعل من البركة، رواه الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ. وكذلك قال القتيبيُّ، والزَّجَّاج[١].

وقال أبو مالك: افتعل من البركة.

وقال الحسن: تجيء البركة من قِبَله[٢].

وقال الفرَّاء: تبارك: من البركة وهو في العربية كقولك: تقدَّس ربُّنا[٣].

والثَّاني: أن تبارك بمعنى تعالى، رواه أبو صالح عن ابن عبَّاسٍ. وكذلك قال أبو العباس: تبارك: ارتفع، والمتبارِك: المرتفِع[٤].

والثَّالث: أن المعنى: باسمه يُتبرَّك في كلِّ شيء، قاله ابن الأنباريِّ[٥].

والرَّابع: أن معنى «تبارك» تقدَّس، أي: تطهَّر، ذكره ابن الأنباريِّ أيضًا[٦].

قوله تعالَى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

قوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾.

«التَّضرُّع»: التذلُّل والخضوع. و«الخُفية»: خلاف العلانية.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٥٧).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٧/ ١٢٣)، وتفسير البغوي (٢/ ١٩٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٦٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٣٠)، ولسان العرب (١٠/ ٣٩٦).

(٥) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٣).

(٦) انظر: المصدر السابق.

قال الحسن: كانوا يجتهدون في الدُّعاء، ولا تسمع إلا همسًا[(١)].

ومن هذا حديث أبي موسى: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا»[(٢)].

[٢٧٣/أ] **وفي الاعتداء المذكور هاهنا قولان:**

أحدهما: أنه الاعتداء في الدُّعاء.

ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن يدعو على المؤمنين بالشَّرِّ، كالخزي واللَّعنة، قاله سعيد بن جُبَيْر، ومقاتل.

والثَّاني: أن يسأل ما لا يستحقُّه من منازل الأنبياء، قاله أبو مجلز.

والثَّالث: أنه الجهر في الدُّعاء، قاله ابن السَّائب.

والثَّاني: أنه مجاوزة المأمور به، قاله الزَّجَّاج[(٣)].

قوله تعالَى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

قوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

فيه ستة أقوال:

أحدها: لا تفسدوها بالكفر بعد إصلاحها بالإيمان.

والثَّاني: لا تفسدوها بالظُّلم بعد إصلاحها بالعدل.

والثَّالث: لا تفسدوها بالمعصية بعد إصلاحها بالطَّاعة.

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٩٦٧١)، وابن جرير الطَّبري في تفسيره (١٠/ ٢٤٧).

(٢) رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٤).

والرَّابع: لا تعصوا، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم بعد أن أصلحها بالمطر والخصب.

والخامس: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه.

والسَّادس: لا تفسدوها بتكذيب الرُّسل بعد إصلاحها بالوحي.

وفي قوله: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ **قولان**:

أحدهما: خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه.

والثَّاني: خوفًا من الرَّدِّ، وطمعًا في الإجابة.

قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قال الفرَّاء: رأيت العرب تؤنِّث القريبة في النَّسب، لا يختلفون في ذلك، فإذا قالوا: دارك منا قريب، أو فلانة منَّا قريب، ومن القرب والبعد، ذكَّروا وأنَّثوا، وذلك أنهم جعلوا القريب خَلَفًا من المكان، كقوله: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب:٦٣]، ولو أُنِّث ذلك لكان صوابًا[١].

قال عروة[٢][من الطويل]:

عَشِيَّةَ لاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ قريبةٌ ... فَتَدْنُو وَلاَ عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ

وقال الزَّجَّاج: إنما قيل: «قريب»؛ لأن الرحمة والغفران والعفو بمعنى واحد، وكذلك كلُّ تأنيث ليس بحقيقي[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٨١).

(٢) البيت في المذكر والمؤنث (٢/ ٢٨)، ولسان العرب (٣/ ٩٠)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٤٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٤).

وقال الأخفش: جائز أن تكون الرَّحمة هاهنا في معنى المطر[١].

قوله تعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾.

قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر وعاصم: «الرِّياح» على الجمع.

وقرأ ابن كثير وحمزة والكِسَائِي: «الرِّيح» على التَّوحيد[٢].

وقد يأتي لفظ التَّوحيد ويراد به الكثرة كقولهم: كثر الدِّرهم في أيدي الناس، ومثله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢].

قوله: ﴿بُشْرًۢا﴾.

قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع: «نُشُرًا» بضم النون والشين[٣]. أرادوا جمع نشور، وهي الرِّيح الطَّيِّبة الهبوب، تهبُّ من كلِّ ناحية وجانب.

قال أبو عبيدة: النُّشر: المتفرِّقة من كلِّ جانب.

قال أبو علي: يحتمل أن تكون النُّشور بمعنى المنشر، وبمعنى المنتشر[٤]، وبمعنى النَّاشر يقال: أنشر الله الرِّيح، مثل أحياها، فنشرت، أي: حييت[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٣)، والحجَّة (٤/ ٣١)، والتَّيسير (١/ ١٧٥).

(٣) انظر: السَّبعة (١/ ٢٨٣)، والحجَّة (٣/ ٣١).

(٤) في (ف): (النَّشر).

(٥) انظر: الحجَّة (٤/ ٣٧).

والدَّليل على أنَّ إنشار الرِّيح إحياؤها قولُ الفقعسي[١][من الطويل]: [٢٧٣/ ب]

وهبَّتْ له رِيْحُ الجَنُوبِ وأُحْيِيَتْ ... له رَيْدَةٌ يُحيي المِيَاهَ نَسِيْمُهَا

ويدلُّ على ذلك أن الرِّيح قد وصفت بالموت.

قال الشَّاعر[٢][الرجز]:

إنِّي لأرْجُو أَنْ تَمُوْتَ الرِّيْحُ ... وأقعدُ اليَوْمَ وَأسْتَرِيْحُ

والرَّيْدَةُ والرَّيْدَانَةُ: الرِّيح.

وقرأ ابن عامر، وعبد الوارث، والحسن البصري: «نُشْرًا» بالنون مضمومة وسكون الشين. وهي في معنى «نُشُرًا». يقال: كُتُب وكُتْب، ورُسُل ورُسْل.

وقرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف، والمفضل عن عاصم: «نَشْرًا» بفتح النون وسكون الشين[٣].

قال الفرَّاء: النَّشر: الرِّيح الطَّيِّبة اللَّينة التي تنشئ السَّحاب[٤].

وقال ابن الأنباريِّ: النَّشْر: المنتشرة الواسعة الهبوب.

---

(١) البيت للمرار الفقعسي في المخصص (٩/ ٩١)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في لسان العرب (٣/ ١٩٢).

(٢) بلا نسبة في لسان العرب (٢/ ٩٢)، وتاج العروس (٥/ ٩٨)، والمخصص (٩/ ٩١).

(٣) تقدم عزوه قريبًا.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨١).



وقال أبو علي: يحتمل النَّشْر أن يكون خلاف الطَّيِّ، كأنها كانت بانقطاعها كالمطويَّة.

ويحتمل أن يكون معناها ما قاله أبو عبيدة في النَّشر: إنها المتفرِّقة في الوجوه[1].

ويحتمل أن يكون من[2] النَّشر الذي هو الحياة، كقول الشَّاعر[3] [من السريع]:

يا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ ....

قال: وهذا هو الوجه.

وقرأ أبو رجاء العطاردي، وإبراهيم النَّخعي، ومسروق، ومورِّق العجلي: «نَشَرًا» بفتح النُّون والشِّين[4].

قال ابن القاسم: وفي النَّشَر وجهان:

أحدهما: أن يكون جمعًا للنُّشور، كما قالوا: عَمود وَعَمَد، وإِهَابٍ وَأَهَبٍ.

والثَّاني: أن يكون جمعًا، واحده ناشر، يجري مجرى قوله: غائب وغَيَبٌ، وحَافد وحَفَد، وكلُّ هؤلاء[5] القرَّاء نوَّن الكلمة.

وكذلك اختلافهم في «النَّمل» و«الفرقان».

هذه قراءات من قرأ بالنون.

---

(١) انظر: الحجَّة (٤/ ٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ٢١٧).

(٢) في (ر): (معناها).

(٣) البيت للأعشى في ديوانه (ص: ١٩١)، ولسان العرب (٥/ ٢٠٦)، وتهذيب اللغة (١١/ ٣٣٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ٤٣٠)، وتاج العروس (١٤/ ٢١٥).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٠) عن مسروق، وانظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤١٢).

(٥) ليست في (ف)، و(ر).

وقد قرأ آخرون بالباء فقرأ عاصم إلا المفضل: «بُشْرى» بالباء المضمومة وسكون الشين مثل فُعْلى[١].

قال ابن الأنباريِّ: وهي جمع بشيرة، وهي التي تبشِّر بالمطر. والأصل ضم الشِّين، إلا أنهم استثقلوا الضَّمَّتين.

وقرأ ابن خثيم، وابن حذلم مثله، إلا أنهما نوَّنا الرَّاء.

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: بضم الباء والشين[٢]. وهذا على أنها جمع بشيرة.

و«الرَّحمة» هاهنا: المطر سمَّاه رحمة؛ لأنه كان بالرَّحمة.

و﴿أَقَلَّتْ﴾ بمعنى حملت.

قال الزَّجَّاج: السَّحاب: جمع سحابة[٣].

قال ابن فارس: سمِّي السَّحاب [سحابًا][٤] لانسحابه في الهواء[٥].

قوله: ﴿ثِقَالًا﴾ أي: بالماء.

وقوله: ﴿سُقْنَٰهُ﴾ ردَّ الكناية إلى لفظ السَّحاب، ولفظه لفظُ واحدٍ.

وفي قوله: ﴿لِبَلَدٍ﴾ قولان:

أحدهما: إلى بلد.

والثَّاني: لإحياء بلد.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٤٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤١٢) عن عصمة، عن عاصم.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤١٢)، والبحر المحيط (٥/ ٧٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٥).

(٤) زيادة من (ف).

(٥) انظر: مقايس اللغة (٣/ ١٤٢).

و«المَيْتُ»: الذي لا نبت فيه، فهو محتاج إلى المطر.

وفي قوله: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الكناية ترجع إلى السَّحاب.

والثَّاني: إلى المطر، ذكرهما الزَّجَّاج[١].

والثَّالث: إلى البلد، ذكره ابن الأنباريِّ.

[٢٧٤/أ] فأما هاء ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ فتحتمل الأقوال الثَّلاثة.

قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: كما أحيينا هذا البلد.

وقال مُجَاهِد: نحيي الموتى بالمطر كما أحيينا البلد الميت به[٢].

قال ابن عبَّاسٍ: يرسل الله تعالى بين النفختين مطرًا كمني الرجال، فينبت النَّاس به في قبورهم كما نبتوا في بطون أُمهاتهم[٣].

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: لعلَّ: ترجٍّ. وإنما خوطب العباد على ما يرجوه بعضهم من بعض، والمعنى: لعلَّكم بما بيَّناه لكم تستدلُّون على توحيد الله وأنه يبعث الموتى[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٥).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٥٦) من طريق ابن أبي نجيح، به، بمعناه.

(٣) أورده البغوي في تفسيره (٢/ ٢٠٠).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٦).

قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: ٥٨].

قوله: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ يعني الأرضَ [الطيبةَ][١] التربة.

﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾.

وقرأ ابن أبي عبلة: «يُخرِج» بضم الياء وكسر الراء، «نباتَه» بنصب التاء، «وَالَّذِي خَبُثَ لا يُخْرِجُ» كذلك أيضًا[٢].

وروى أبان عن عاصم: «لا يُخرِج» بضم الياء وكسر الراء.

والمراد بالذي خبث: الأرض السبخة.

قوله: ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾.

قرأ الجمهور: بفتح النون وكسر الكاف.

وقرأ أبو جعفر: «نَكَدًا» بفتح الكاف[٣].

وقرأ مجاهد، وقتادة، وابن محيصن: «نَكْدًا» بإسكان الكاف[٤].

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٠) نسبها لعيسى بن عمر، وفي التحصيل (٣/ ٤٨) نسبها لعيسى الثقفي، وفي الكامل في القراءات؛ لأبي القاسم الهذلي (ص:٥٥٣) نسبها لابن أبي عبلة، والزعفراني، وأبي حيوة، وفي المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤١٤)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٨٠) نسباها لابن أبي عبلة، وأبي حيوة، وعيسى بن عمر.

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢٩)، والتحصيل (٣/ ٤٩).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٠)، والتحصيل (٣/ ٤٩) كلاهما نسبها لطلحة بن مصرف، وانظر: الكامل في القراءات (ص:٥٥٣).

قال أبو عبيدة: قليلًا عسرًا في شدة[1].

وأنشد[2][من المنسرح]:

لَا تُنْجِزِ الوَعْدَ إِنْ وَعَدْت وإِنْ أَعْطَيْتَ أَعْطَيْتَ تَافِهًا نَكِدَا

قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر، فالمؤمن إذا سمع القرآن وعَقِلَه انتفع به وبان أثره عليه، فشُبِّه بالبلد الطيب الذي يُمرع ويُخصب ويحسُن أثر المطر عليه، وعكسه الكافر.

قوله تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٩، ٦٢].

قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

قال مقاتل: وحِّدوه[3].

وكذلك في سائر القصص بعدها.

قوله: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٢١٧).

(٢) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١٠/ ٢٥٧)، ولسان العرب (١٣/ ٤٨١) مادة (تفه)، وتاج العروس (٣٦/ ٣٥٦) مادة (تفه).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٦).

قرأ الكسائي: «غيرِه» بالخفض[١].

قال أبو علي: جعل غيرًا صفة لـ «إله» على اللفظ[٢].

قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾.

قرأ أبو عمرو: «أُبْلِغكم» ساكنة الباء خفيفة اللام.

وقرأ الباقون: «أُبَلِّغكم» مفتوحة الباء مشددة اللام[٣].

قوله: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ يقال: نصحته ونصحت له، وشكرته وشكرت له.

قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: من مغفرته لمن تاب عليه[٤] وعقوبته لمن أصرَّ.

وقال مقاتل: أعلمُ من نزول العذاب ما لا تعلمونه، وذلك أن قوم نوح لم يسمعوا بقوم عذِّبوا قبلهم[٥].

قوله تعالَى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف: ٦٣، ٦٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٨٤)، والحجة (٤/ ٣٩)، والتيسير (ص: ١١٠).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ٤٠).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٨٤)، والحجة (٤/ ٤١)، والتيسير (ص:١١١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤١٥)، والتحصيل (٣/ ٦٤).

(٤) ليست في (ف).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٣).

قوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: هـذه واو العطـف، دخلـت عليهـا ألـف الاسـتفهام، فبقيـت مفتوحـة[١].

وفي الذِّكر قولان:

أحدهما: الموعظة.

والثاني: البيان.

وفي قوله: ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن «على» بمعنى: «مع»، قاله الفراء[٢].

والثاني: أن المعنى: على لسان رجل منكم، قاله ابن قتيبة[٣].

قوله: ﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾.

قال ابن عباس: عميت قلوبهم عن معرفة الله وقدرته وشدة بطشه[٤].

قولـه تعـالَى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٣).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٦٩).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٠-٣٨١).

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٦٩ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ [الأعـراف: ٦٥، ٧٠].

قوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ المعنى: وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ هُودًا﴾.

قـال الزَّجَّـاج: وإنـما قيـل: أخوهـم، لأنـه بـشر مثلهـم مـن ولـد أبيهـم [٢٧٤/ ب] آدم، ويجـوز أن يكـون أخاهـم لأنـه مـن قومهـم[(١)].

وقـال أبـو سـليمان الدمشـقي: وعـاد قبيلـة مـن ولـد سـام بـن نـوح، وإنـما سـماه أخاهـم لأنـه كان نسيبًا لهـم، وهـو وهُـم مـن ولـد عـاد بـن عَـوْص بـن إرم بـن سـام.

قوله: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾.

قال ابن قتيبة: السَّفاهة: الجهل[(٢)].

وقـال الزَّجَّـاج: السَّـفاهة: خِفَّـة الحُلـم والـرأي، يقـال: ثـوب سـفيه، إذا كان خفيفًـا[(٣)].

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فكفروا به، ظانِّين لا متيقنين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٦٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٧).

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ﴾ هذا موضع أدب للخلق في حسن المخاطبة، فإنه دفع ما سبُّوه به من السفاهة بنفيه[1] فقط.

قوله: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾.

قال الضحاك: أمين على الرسالة[2].

وقال ابن السائب: كنت فيكم أمينًا قبل اليوم[3].

قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾.

ذكَّرهم النعمة حيث أهلكَ من كان[4] قبلهم، وأسكنهم مساكنهم.

﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗ﴾ أي: طولًا وقوَّة.

وقال ابن عباس: كان أطولُهم مائةَ ذراع، وأقصرُهم ستينَ ذراعًا[5].

قال الزَّجَّاج: وآلاء الله: نعمه، واحدها: «إلى»[6].

قال الشاعر[7][من المنسرح]:

---

(١) في (ف): (بنفسه).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٤٥)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٤) ليست في (ف).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٤٨).

(٧) البيت للأعشى كما في ديوانه (١٥٧)، وجمهرة اللغة (١/ ٥٩)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ١٣٦)، ومقاييس اللغة (١/ ٢١)، والمحكم والمحيط الأعظم (١/ ٣٩٤)، ولسان العرب (١١/ ٢٦) مادة (ألل).

أَبْيَـضُ لا يَرْهَــبُ الهُــزَالَ وَلَا يَقْطَـعُ رَحْمًــا وَلاَ يَخُــوْنُ إلَا

ويجوز أن يكون واحدها «إليا»، «وألى».

قولــه: ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: مــن نــزول العــذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في أن العــذاب نــازل بنــا.

وقال عطاء: في نبوَّتك وإرسالك إلينا(١).

قولـه تعـالَى: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ٧١ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَقَطَعۡنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ وَمَا كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٧٢﴾ [الأعــراف: ٧١، ٧٢].

قوله: ﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ﴾ أي: وجب عليكم ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ وَغَضَبٌ﴾.

قال ابن عباس: عذاب وسخط(٢).

وقــال أبــو عمــرو بــن العــلاء: الرِّجـز والرِّجـس بمعنـى واحـد، قلبـت السـين زايًا(٣).

قولــه: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ يعنــي: الأصنــام.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢/ ٣٨٢).

(٣) ذكره الطبري في تفسيره (١٠/ ٢٧٩).

وفي تسميتهم لها قولان:

أحدهما: أنهم سمَّوها آلهة.

والثاني: أنهم سمَّوها بأسماء مختلفة.

والسلطان: الحجة.

﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ نزول العذاب ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ الذي يأتيكم من العذاب في تكذيبكم إيَّاي.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ٧٤﴾ [الأعراف: ٧٣، ٧٤].

قوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ﴾.

قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلَّة مائها[١].

قال ابن فارس: الثَّمد: الماء القليل الذي لا مادة له[٢].

قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٨٠).

(٢) انظر: مجمل اللغة (١/ ١٦٢).

في إضافتها إليه قولان:

أحدهما: أن ذلك للتخصيص والتفضيل، كما يقال: بيت الله.

والثاني: لأنها كانت بتكوينه من غير سبب.

قوله: ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي: علامة تدل على قدرة الله، وإنما قال: «لكم»؛ لأنهم هم الذين اقترحوها، وإن كانت آية لهم ولغيرهم.

وفي وجه كونها آية قولان:

أحدهما: أنها خرجت من صخرة ملساء، فتمخَّضت بها تمخُّض الحامل، ثم انفلقت عنها على الصفة التي طلبوها. [٢٧٥/أ]

والثاني: أنها كانت تشرب ماء الوادي كلَّه في يوم، وتسقيهم اللَّبن في يوم[1].

قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن الأنباري: ليس عليكم مؤنتها وعلفها.

و﴿تَأْكُلْ﴾ مجزوم على جواب الشرط المقدر، أي: إن تذروها تأكل.

قوله: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي: لا تصيبوها بعقر.

قوله: ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أنزلكم يقال: تبوأ فلان منزلًا: إذا نزله. وبوَّأتُهُ: أنزلته.

---

(١) في (ف): (وتسقيهم اللبن مكانه).

قال الشاعر(١):[من المنسرح]:

وَبُوِّئَتْ فِي صَمِيمِ مَعْشَرِهَا فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مُبَوَّؤُهَا

أي: أنزلت من الكرم في صميم النسب، قاله الزَّجَّاج(٢).

قوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾.

السهل: ضد الحزن. والقصر: ما شُيِّد وعلا من المنازل.

قال ابن عباس: اتخذوا القصور في سهول الأرض للصيف، ونقبوا في الجبال للشتاء(٣).

قال وهب بن منبه: كان الرجل منهم يبني البنيان، فيمرُّ عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجدِّده، فيمرُّ عليه مائة سنة، فيخرب، ثم يجدِّده، فيمرُّ عليه مائة سنة، فيخرب، فأضجرهم ذلك، فاتَّخذوا من الجبال بيوتًا(٤).

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٥، ٧٦].

---

(١) البيت لإبراهيم بن هَرْمة كما في ديوانه (ص:٥٧)، مقاييس اللغة (١/ ٣١٢)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٨٢٦)، وبلا نسبة كما في لسان العرب (١/ ٣٩) مادة (بوأ)؛ وكتاب العين (٨/ ٤١١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٠).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٣).

(٤) ذكره أبوحيان في البحر المحيط (٥/ ٩٤).

قوله: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾.

وقرأ ابن عامر: «وقال الملأ»، بزيادة واو وكذلك هي [في][1] مصاحفهم[2].

ومعنى الآية: تكبَّروا عن عبادة الله.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾ يريد: المساكين.

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ بدل من قوله: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ﴾ لأنهم المؤمنون.

﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ ﴾ هذا استفهام إنكار.

قوله تَعَالَى: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٧، ٧٨].

قوله: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ ﴾ أي: قتلوها.

قال ابن قتيبة: والعقر يكون بمعنى: القتل، ومنه قوله ﷺ عند ذكر الشهداء: «مَنْ عُقِرَ جَوادُهُ»[3].

وقال ابن إسحاق: كَمَنَ لها قاتلُها في أصل شجرة فرماها بسهم، فانتظم به عَضَلة ساقها، ثم شدَّ عليها بالسيف فكسر عُرقوبها، ثم نحرها[4].

---

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٨٤)، والحجة (٤/ ٥١)، والتحصيل (٣/ ٦٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٢٣)، والبحر المحيط (٥/ ٩٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:٤٣٣).

(٤) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٥/ ٤١٦).



قال الأزهري: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثم جُعل العقر نحرًا، لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره[١].

قوله: ﴿وَعَتَوْاْ﴾.

قال الزَّجَّاج: جاوزوا المقدار في الكفر[٢].

قال أبو سليمان: عتوا عن اتِّباع أمر ربهم.

قوله: ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي: من العذاب.

قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾.

قال الزَّجَّاج: الرَّجفة: الزَّلزلة الشديدة[٣].

قوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ﴾ أي: في مدينتهم.

فإن قيل: كيف وحَّد الدَّار هاهنا، وجمعها في موضع آخر، فقال: فِي دِيارِهِمْ؟

فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري:

أحدهما: أنه أراد بالدار: العسكر، أي: فأصبحوا في معسكرهم. وأراد بقوله: في ديارهم: المنازل التي ينفرد كل واحد منها بمنزل.

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١/ ١٤٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١).

والثاني: أنه أراد بالدار: الديار، فاكتفى بالواحد من الجميع، كقول [٢٧٥/ ب] الشاعر[١][من الوافر]:

كُلُوا في نِصْفِ بِطْنِكُم تَعِيشُوا ....

وشواهد هذا كثيرة في هذا الكتاب.

قوله: ﴿جَٰثِمِينَ﴾.

قال الفراء: أصبحوا رمادًا جاثمًا[٢].

وقال أبو عبيدة: أي: بعضهم على بعض جُثُوم، والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للإبل[٣].

وقال ابن قتيبة: الجثوم: البروك على الرُّكَب[٤].

وقال غيره: كأنهم أصبحوا موتى على هذه الحال.

وقال الزَّجَّاج: أصبحوا أجسامًا ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم[٥].

---

(١) البيت بلا نسبة في الصاحبي؛ لابن فارس (ص:١٦١)، والمقتضب؛ للمبرد (٢/ ١٧٢)، وأمالي ابن الشجري (٢/ ٤٨)، وعجزه: «فإنَّ زمانكمْ زمنٌ خَميصُ».

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٤).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢١٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٦٩).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١).



قال المفسرون: معنى ﴿جَٰثِمِينَ﴾: بعضهم على بعض، أي: إنهم سقط بعضهم على بعض[1] عند نزول العذاب.

قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأعراف: ٧٩، ٨٢].

قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾.

يقول: انصرف صالح عنهم بعد عقر الناقة؛ لأن الله تعالى أوحى إليه أن اخرُجْ من بين أظهرهم، فإني مهلكهم.

وقال قتادة: ذكر لنا أن صالحًا أسمع قومَه كما أسمع نبيكم قومَه، يعني: بعد موتهم[2].

قوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ يعني إتيان الرجال.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾.

قال عمرو بن دينار: ما نزا ذكَر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط[3].

---

(١) قوله: (على بعض)، ليس في (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٩٠) من طريق أَبِي زُرْعَةَ، عن صَفْوَان، عن الْوَلِيد، عن سَعِيد بْن بَشِيرٍ، عَنْ قَتَادَةَ به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٣٨٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٦٨) من طريق إِسْمَاعِيل بْن عُلَيَّة، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ به.

وقال بعض اللغويين: لوط: مشتق من لطت الحوض: إذا ملسته بالطين[١].

قال الزَّجَّاج: وهذا غلط، لأنه اسم أعجمي كإسحاق، ولا يقال: إنه مشتق من السحق وهو البعد[٢].

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ هذا استفهام إنكار.

والمسرف: المجاوز ما أُمر به.

وقوله: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ يعني: لوطًا وأتباعه المؤمنين.

﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

قال ابن عباس: يتنزَّهون عن أدبار الرجال وأدبار النِّساء[٣].

قوله تَعَالَى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأعراف: ٨٣، ٨٤].

قوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾.

في أهله قولان:

أحدهما: ابنتاه.

والثاني: المؤمنون به.

---

(١) انظر: جمهرة اللغة (٢/ ٩٢٧)، والصحاح (٣/ ١١٥٨)، ومجمل اللغة (ص:٧٩٨)، ومقاييس اللغة (٥/ ٢٢١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥١- ٣٥٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٠٧)، و(١٨/ ٩٧) من طريق مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ به.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ أي: الباقين في عذاب الله تعالى.

قال أبو عبيدة: وإنما قال: ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ لأن صفة النساء مع[1] صفة الرجال تُذكَّر إذا أُشرك بينهما[2].

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾.

قال ابن عباس: يعني: الحجارة[3].

قال مجاهد: نزل جبريل فأدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط ورفعها ثم قلبها فجعل أعلاها أسفلها ثم أتبعوا بالحجارة[4].

قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥].

قوله: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾.

قال قتادة: ﴿مَدْيَنَ﴾: ماء كان عليه قوم شعيب[5].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢١٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٢٤).

(٤) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٨٤)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ١٩٧).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٢٠٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٠٣) كلاهما من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

وكذلك قال الزَّجَّاج، وقال: لا ينصرف؛ لأنه اسم البقعة[١].

وقال مقاتل: ﴿مَدْيَنَ﴾: هو ابن إبراهيم الخليل لصلبه[٢].

وقال أبو سليمان الدمشقي: ﴿مَدْيَنَ﴾: هو ابن مديان بن إبراهيم.

والمعنى: أرسلنا إلى ولد مدين، فعلى هذا: هو اسم قبيلة.

وقال بعضهم: هو اسم للمدينة.

فالمعنى: وإلى أهل مدين.

قال الشيخ[٣]: قال شيخنا أبو منصور اللغوي: مدين اسم أعجمي، فإن كان عربيًّا، فالياء زائدة، من قولهم: مدن بالمكان: إذا أقام به[٤].

قوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾. [٢٧٦/أ]

قال الزَّجَّاج: البَخْسُ: النقص والقلَّة، يقال: بَخَسْتُ أَبْخَسُ بالسين، وبخصت عينه، بالصاد لا غير[٥].

﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن أصلحها الله بالأمر بالعدل[٦]، وإرسال الرسل.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٧٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٤٨).

(٣) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ف).

(٤) انظر: المعرَّب (ص: ٦٠٠)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٤٩٤).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٤).

(٦) في (ف): (بالعذاب)!.



قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدِّقين بما أخبرتكم عن الله.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف: ٨٦].

قوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ﴾ أي: بكل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ مَن آمن بشعيب بالشر، وتخوِّفونهم بالعذاب والقتل.

فإن قيل: كيف أفرد الفعل، وأخلاه من المفعول فهلَّا قال: توعِدون بكذا؟

فالجواب: أن العرب إذا أخلت هذا الفعل من المفعول، لم يدل إلا على شر، يقولون: أوعدت فلانًا، وكذلك إذا أفردوا: وعدت من مفعول، لم يدل إلا على الخير.

قال الفرَّاء: يقولون: وعدته خيرًا، ووعدته شرًّا، فإذا أسقطوا الخير والشر، قالوا: وعدته: في الخير، وأوعدته: في الشر، فإذا جاءوا بالباء، قالوا: وعدته بالشر.

وقال الراجز[1] [من الرجز]:

أَوْعَدَنِي بِالسِّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ ....

---

(١) البيت بلا نسبة في إصلاح المنطق (ص:١٦٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (١/ ١٦٠)، ومعجم ديوان الأدب (٣/ ٢٦٦)، وتهذيب اللغة (٣/ ٨٦)، ومقاييس اللغة (٦/ ١٢٥)، وغيرها من كتب اللغة، وعجزه: «رِجْلي ورِجْلي شَثْنَةُ المناسم».

قال الشيخ[١]: وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي، قال: إذا أرادوا أن يذكروا ما تهدَّدوا به مع أوعدت، جاءوا بالباء، فقالوا: أوعدته بالضرب، ولا يقولون: أوعدته الضرب[٢].

قال السدي: كانوا عشَّارين[٣].

وقال ابن زيد: كانوا يقطعون الطريق[٤].

قوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: تصرفون عن دين الله من آمن به.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ مفسر في «آل عمران»[٥].

قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: جائز أن يكون المعنى: جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء، وجائز أن يكون: كثَّر عددكم بعد أن كنتم قليلًا، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار، فكثَّرهم[٦].

---

(١) في (ف): (قال المصنف).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٠٧).

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٢)، وأبو حيَّان في البحر المحيط (٥/ ١٠٦).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦١).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٩٩).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٥).



قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٨٧) قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ (٨٨)﴾ [الأعراف: ٨٧، ٨٨].

قوله: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ أي: إن اختلفتم في رسالتي، فصرتم فريقين، مكذِّبين ومصدِّقين.

﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ بتعذيب المكذِّبين، وإنجاء المصدِّقين.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه العدل الذي لا يجور.

قوله: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ يعنون ديننا، وهو الشرك.

قال الفراء: جعل في قوله: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ لامًا كجواب اليمين، وهو في معنى شرط، ومثله في الكلام: والله لأضربنَّك أو لتُقِرَّ لي، فيكون معناها معنى: «إلا»، أو معنى: «حتى»[1].

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أي: أو تجبروننا على ملتكم إن كرهناها؟! والألف للاستفهام.

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾، وشعيب لم يكن في كفر قط، فيعود إليه؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم لما جمعوا في الخطاب معه من كان كافرًا، ثم آمن، خاطبوا شعيبًا بخطاب أتباعه، وغلَّبوا لفظهم على لفظه، لكثرتهم، وانفراده.

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٧٠).

والثاني: أن المعنى: لتصيرُنَّ إلى ملتنا فوقع العَود على معنى الابتداء، [٢٧٦/ ب] كما يقال: قد عاد عليَّ من فلان مكروه، أي: قد لحقني منه ذلك، وإن لم يكن سبق منه مكروه.

قال الشاعر[١] [من الطويل]:

فَإنْ تكُنِ الأيَّامُ أحسنَّ مرَّةً ... إليَّ فقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

وقد شرحنا هذا في قوله: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ في «البقرة»[٢].

وقد ذكر معنى الجوابين الزَّجَّاج[٣]، وابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٨٩، ٩٣].

---

(١) البيت لكَعْب بن سعد بن عقبَة الغنوي من قصيدة يرثي فيها أخاه شبيبًا، ونُسب إليه في ديوان المعاني (٢/ ١٧٨)، ومختارات شعراء العرب لابن الشجري (١/ ٢٦)، والحماسة البصرية (١/ ٢٣٢)، وشرح شواهد المغني (٢/ ٦٩١).
ونُسب لمحمد بن كعب الغنوي، كما في جمهرة أشعار العرب (ص:١٦٥)، ونُسب لغريقة بن مسافع العبسي، كما في الأصمعيات (ص:٩٩).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٥).

قوله: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم ﴾.

وذلك أن القوم كانوا يدَّعون أن الله أمرهم بما هم عليه، فلذلك سمَّوه مِلَّةً.

﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ ﴾ أي: في الملة.

﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي: إلا أن يكون قد سبق في علم الله ومشيئته أن نعود فيها.

﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾.

قال ابن عباس: يعلم ما يكون قبل أن يكون[1].

قوله: ﴿ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ أي: فيما توعدتمونا به، وفي حراستنا عن الضلال.

﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾.

قال أبو عبيدة: احكم بيننا[2].

وأنشد[3]: [من الوافر]:

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي عُصْمٍ رَسُوْلًا ... بِأَنِّي عَنْ فُتَاحَتِكُمْ غَنِيُّ

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٣٥)، وفي الوسيط (٢/ ٣٨٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٠).

(٣) البيت بلا نسبة في أمالي القالي (٢/ ٢٨١)، وفي إصلاح المنطق (ص:٨٨)، والمخصص (٤/ ٤١٣)، وأنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن: (ص:٢٢٠ وقال بعده: «وهو لبعض مراد»، ونُسب في تهذيب اللغة (٤/ ٢٥٩)، ولسان العرب (١١/ ٢٨٣) للأسعر الجعفي.

قال الفراء: وأهل عُمان يسمون القاضي: الفاتح والفتَّاح(١).

قال الزَّجَّاج: وجائز أن يكون المعنى: أظهِر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وينكشف، فجائز أن يكونوا سألوا بهذا نزول العذاب بقومهم ليظهر أن الحق معهم(٢).

قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: كأن لم يعيشوا في دارهم، قاله ابن عباس(٣)، والأخفش(٤).

قال حاتم طيء(٥)[من الطويل]:

غَنِيْنَا زَمَانًا بالتَّصَعْلُكِ وَالغِنَى ... فَكُلًّا سَقَانَاه بكأْسَيْهِما الدَّهْرُ

فَما زَادَنَا بَغْيًا عَلَى ذِي قَرَابَةٍ ... غِنَانَا، ولا أَزْرَى بأحْسَابِنَا الفَقْرُ

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٥).

وقد ذكره عنه أيضًا: الطبري في تفسيره (١٠/ ٣١٩)، والزجاج في معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٧)، والثعلبي في الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٢)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٤٠)، والواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٣٨٨)، وفي التفسير البسيط (٩/ ٢٣٥)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١١٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢٦)، و(١٢/ ٤٦٥)، و(١٢/ ٥٦٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١١٠٠٣) من رواية معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٣٣)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٢٤١)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١١٧).

(٥) وقد عزاهما إليه أبو علي القالي في المقصور والممدود (ص:٣٦٩)، وابن سيده في المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٤١٦)، وابن منظور في لسان العرب (١٠/ ٤٥٦) وغيرهم.

قال الزَّجَّاج: معنى غنينا: عشنا. والتصعلك: الفقر، والعرب تقول للفقير: الصعلوك[١].

والثاني: كأن لم يتنعَّموا فيها، قاله قتادة.

والثالث: كأن لم يكونوا فيها، قاله ابن زيد، ومقاتل[٢].

والرابع: كأن لم ينزلوا فيها، قاله الزَّجَّاج[٣].

قال الأصمعي: المغاني: المنازل، يقال: غنينا بمكان كذا، أي: نزلنا به[٤].

وقال ابن قتيبة: كأن لم يقيموا فيها، ومعنى: غنينا بمكان كذا: أقمنا[٥].

قال ابن الأنباري: وإنما كرر قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ للمبالغة في ذمهم كما تقول: أخوك الذي أخذ أموالنا، أخوك الذي شتم أعراضنا[٦].

قوله: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: فأَعْرَض.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٠)

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٨).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٣٥٨)، و(٣/ ٦٠)، والهداية إلى بلوغ النهاية؛ لمكي بن أبي طالب (٥/ ٣٤٢٦)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٥٥)، و(٣/ ٣٦١).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٠).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٤٠).

والثاني: انْصَرَف.

﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾.

قال قتادة: أسمع شعيب قومَه، وأسمع صالح قومَه كما أسمع نبيكم قومَه يوم بدر(١). يعني: أنه خاطبهم بعد الهلاك. [٢٧٧/أ]

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ أي: أحزن.

وقال ابن إسحاق: أصاب شعيبًا على قومه حزنٌ شديد، ثم عاتب نفسه، فقال: [كيف](٢) آسى على قوم كافرين(٣).

قوله تعالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأعراف: ٩٤].

قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ﴾.

قال الزَّجَّاج: يقال لكل مدينة: قرية، لاجتماع الناس فيها(٤).

وقال غيره: في الآية اختصار، تقديره: فكذَّبوه.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥١٧، ١٥٢٤) من طريق أبي زرعة، عن صفوان، عن الوليد، عن سعيد بن بشير، عن قتادة به.

(٢) زيادة من (ف).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٢٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٢٤) من طريق سَلَمَة، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، بنحوه.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٥٩).

﴿إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ وقد سبق تفسير البأساء والضَّرَّاء في «الأنعام»[١]، وتفسير التَّضرُّع في هذه السورة.

ومقصود الآية: إعلام النبي ﷺ بسنَّة الله في المكذِّبين، وتهديد قريش.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأعراف: ٩٥، ٩٧].

قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ﴾.

فيه قولان:

أحدها: أن «السيئة»: الشدة. و«الحسنة»: الرخاء، قاله ابن عباس.

والثاني: «السيئة»: الشر. و«الحسنة»: الخير، قاله مجاهد.

قوله: ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾.

قال ابن عباس: كثروا، وكثرت أموالهم[٢].

﴿وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ فنحن مثلهم يصيبنا ما أصابهم، يعني: أنهم أرادوا أن هذا دأب الدهر وليس بعقوبة.

---

(١) انظر: تفسير سوة الأنعام الآية رقم (٤٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٢٦) من رواية معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ أي فجأة بنزول العذاب.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بنزوله حتى أهلكهم.

قوله: ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: أتاهم الغيث من السماء، والنبات من الأرض، وجعل ذلك زاكيًا كثيرًا[1].

قوله تعالَى: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٨، ٩٩].

قوله: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾.

قرأ ابن كثير، وابن عامر، ونافع: «أَوْ أمن» بإسكان الواو.

وقرأ عاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿أَوَأَمِنَ﴾ بتحريك الواو.

وروى ورش عن نافع: «أو أمن» يدغم الهمزة، ويلقي حركتها على الساكن[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٠).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٨٦-٢٨٧)، والحجة (٤/ ٥٢)، والتيسير (ص:١١١)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٣٣)، والتحصيل (٣/ ٧٦).

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)﴾ [الأعراف: ١٠٠، ١٠١].

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ﴾.

وقرأ يعقوب: «نَهد» بالنون، وكذلك في «طه»، و«السجدة»[١].

قال الزَّجَّاج: من قرأ بالياء، فالمعنى: أو لم يبيِّن الله لهم، ومن قرأ بالنون، فالمعنى: أو لم نبيِّن[٢].

وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ﴾ ليس بمحمول على ﴿أَصَبْنَاهُم﴾، لأنه لو حمل على ﴿أَصَبْنَاهُم﴾ لكان: ولطبعنا، وإنما المعنى: ونحن نطبع على قلوبهم، ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل، كما قال: ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ﴾ والمعنى: لو شئنا.

وقال ابن الأنباري: يجوز أن يكون معطوفًا على: أصبنا، إذ كان بمعنى نُصيب، فوضع الماضي في موضع المستقبل عند وضوح معنى الاستقبال، كما قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ﴾ أي: إن يشأ، يدل عليه قوله: ﴿وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾[٣] [الفرقان: ١٠].

---

(١) انظر: المبسوط (ص: ٢١١، ٣٥٤)، والكامل في القراءات العشر (ص: ٥٥٤)، والمحرر الوجيز (٤/ ٣٦٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦١).

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٢٢).

قال الشاعر[١] [من البسيط]:

إنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طارُوا بِهَا فَرَحًا ... مِنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

أي: يدفنوا.

قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي لا يقبلون، ومنه: «سمع الله لمن حمده»[٢].

قال الشاعر[٣] [من الوافر]: [٢٧٧/ ب]

دَعَوْتُ اللهَ حتَّى خِفْتُ أنْ لاَ ... يَكُوْنَ اللهُ يَسْمَعُ مَا أقُوْلُ

قوله: ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ﴾.

فيه خمسة أقوال:

أحدها: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما سبق في علم الله أنهم يكذِّبون به يوم أقرُّوا له بالميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، هذا قول أُبيِّ بن كعب[٤].

---

(١) البيت نُسب لقعنب بن أم صاحب كما في الصحاح (٥/ ٢٠٦٨)، ولسان العرب (١٣/ ١٠)، وتاج العروس (٣٤/ ١٦٤)، وشرح ديوان الحماسة (٢/ ١٨٧)، وغيرها، وفي شمس العلوم (٤/ ٢١١٩) عزاه لكعب بن زهير.

(٢) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٢/ ٢٤٣).

(٣) البيت منسوب لشمير بن الحارث الضبي في نوادر أبي زيد (ص:٣٨١)، ومنسوب لشُتَيَرَ بن الحارث الضبي في غريب الحديث؛ للخطابي (١/ ٣٤٢)، والفائق في غريب الحديث؛ للزمخشري (٢/ ١٩٧) ، ومنسوب لسُمَيْر بن الحارثِ الضَّبِّي في تاج العروس (٢١/ ٢٣٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٣٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٠) من رواية أَبِي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ به.=

والثاني: فما كانوا ليؤمنوا [عند إرسال الرسل][(١)] بما كذَّبوا من قبل يوم أخذ الميثاق حين أخرجهم من صلب آدم، فآمنوا كرهًا حيث أقروا بالألسن، وأضمروا التكذيب، قاله ابن عباس، والسدي[(٢)].

والثالث: فما كانوا لو رددناهم إلى الدنيا بعد موتهم ليؤمنوا بما كذَّبوا به من قبل هلاكهم، هذا قول مجاهد[(٣)].

والرابع: فما كانوا ليؤمنوا بما كذَّب به أوائلهم من الأمم الخالية، بل شاركوهم في التكذيب، قاله يمان بن رباب.

والخامس: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذَّبوا قبل رؤيتها.

قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾ [الأعراف: ١٠٢].

قوله: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾.

قال مجاهد: يعني: القرون الماضية[(٤)].

=وانظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٥)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٢٤).

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٥)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٢٥٧).

(٣) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣١)، و(٦/ ١٧٥٩) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾.

قال أبو عبيدة: أي: وفاء[١].

قال ابن عباس: يريد الوفاء بالعهد الذي عاهدهم حين أخرجهم من صلب آدم[٢].

وقال الحسن: العهد هاهنا: ما عهده إليهم مع الأنبياء أن لا يشركوا به شيئًا[٣].

قوله: ﴿وَإِن وَجَدْنَآ﴾.

قال أبو عبيدة: وما وجدنا أكثرهم إلَّا الفاسقين[٤].

قوله تعالَى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأعراف: ١٠٣، ١٠٧].

قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ يعني: الأنبياء المذكورين.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٣).

(٢) ذكره الواحدي في البسيط (٩/ ٢٥٨)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٢٦).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٤٤).

(٤) كذا في جميع النسخ الخطية، وفي مجاز القرآن: (فاسقين). (ص:٢٢٣).

قوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾.

قال ابن عباس: فكذَّبوا بها[١].

وقال غيره: فجحدوا بها.

قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ «على» بمعنى الباء.

قال الفراء: العرب تجعل الباء في موضع «على» تقول: رميت بالقوس، وعلى القوس، وجئت بحال حسنة، وعلى حال حسنة[٢].

وقال أبو عبيدة: «حقيق» بمعنى: حريص[٣].

وقرأ نافع، وأبان عن عاصم: «حقيق عليَّ» بتشديد الياء وفتحها، على الإضافة[٤].

والمعنى: واجب عليَّ.

قوله: ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾.

قال ابن عباس: يعني: العصا[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في البسيط (٩/ ٢٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٦).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٤).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٨٧، ٣٠١)، والحجة (٤/ ٥٦)، والمبسوط (ص:٢١١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٥)، والتحصيل (٣/ ٧٦)، والكامل في القراءات العشر (ص:٥٥٥).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٦٣).

﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: أطلق عنهم، وكان قد استخدمهم في الأعمال الشاقة.

﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾.

قال أبو عبيدة: أي: حية ظاهرة(١).

قال الفراء: الثعبان: أعظم الحيات، وهو الذَّكَر(٢).

وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس: الثعبان: الحيَّة الذَّكر(٣).

قوله تعالَى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٥).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٨٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٢)، و(٨/ ٢٧٥٨) رقم (١٥٥٨٩) من رواية الضحاك عن ابن عباس ﷺ به.

وقد رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٥) ولكن من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ به.

وانظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ١٦٩).

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٨، ١٢٢].

قوله: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾.

قال ابن عباس: أدخل يده في جيبه، ثم أخرجها، فإذا هي تبرق مثل البرق، لها شعاع غلب نور الشمس، فخرُّوا على وجوههم، ثم أدخلها جيبه فصارت كما كانت[1].

قال مجاهد: بيضاء من غير برص[2].

قوله: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾.

قال ابن عباس: ما الذي تشيرون به عليَّ؟[3].

[٢٧٨/أ] وهذا يدل على أنه من قول فرعون، وأن كلام الملإ انقطع عند قوله: ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٥٩٧) من رواية يزيد بن أبي زياد، عن مقسم، عن ابن عباس ﷺ به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٦) من رواية محمد بن عمرو، عن أبي عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.
ومن رواية المثنى، عن أبي حذيفة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٦٥-٢٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٣٤).
وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٦٠٠) من رواية عمار بن خالد، عن محمد بن الحسن، ويزيد بن هارون، عن أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ، قال: «فاستشار الملأ فيها رأى فقالوا: هذان ساحران».

وقال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون من قول الملإ، كأنهم خاطبوا فرعون ومن يخصه، أو خاطبوه وحده؛ لأنه قد يقال للرئيس المطاع: ماذا ترون؟[١].

قوله: ﴿أَرْجِهْ﴾.

قرأ ابن كثير: «أرجئهو» مهموز بواو بعد الهاء في اللفظ.

وقرأ أبو عمرو مثله، غير أنه كان يضم الهاء ضمة، من غير أن يبلغ بها الواو[٢]، وكانا يهمزان: «مرجئون» و«ترجئ».

وروى قالون والمسيَّبي عن نافع: «أرجهِ» بكسر الهاء، ولا يبلغ بها الياء، ولا يهمز[٣].

وروى عنه ورش: «أرجهي» يصلها بياء، ولا يهمز بين الجيم والهاء.

وكذلك قال إسماعيل بن جعفر عن نافع[٤]، وهي قراءة الكسائي[٥].

وقرأ حمزة: «أرجهْ» ساكنة الهاء غير مهموز[٦].

وكذلك قرأ عاصم في غير رواية المفضل[٧].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٨٧)، والحجة (٤/ ٥٧)، والمبسوط (ص:٢١٢).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٠٩)، والحجة (٤/ ٥٨، ٦١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٧).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٨٧)، والحجة (٤/ ٥٨).

(٥) انظر: السبعة (ص:٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٠).

(٦) انظر: السبعة (ص:٢١٢، ٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٠)، والمبسوط (ص:١٦٦).

(٧) انظر: السبعة (ص:٢١٢، ٢٨٨)، والحجة (٤/ ٥٩)، والمبسوط (ص:١٦٦، ٢١٢).



وقد روى عنه المفضل كسر الهاء من غير إشباع ولا همز، وهي قراءة أبي جعفر[(١)].

وكذلك اختلافهم في سورة «الشعراء».

قال ابن قتيبة: أَرْجِهُ: أخّره وقد يهمز، يقال: أرجأت الشيء، وأرجيته، ومنه قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١][(٢)].

قال الفراء: بنو أسد تقول: أرجيت الأمر، بغير همز، وكذلك عامة قيس وبعض بني تميم يقولون: أرجأت الأمر، بالهمز، والقراء مولَعون بهمزها، وترك الهمز أجود[(٣)].

قوله: ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ يعني مدائن مصر ﴿حَٰشِرِينَ﴾ أي: من يحشر السحرة إليك ويجمعهم.

وقال ابن عباس: هم الشرط[(٤)].

قوله: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾.

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢١٢)، والمحرر الوجيز(٢/ ٤٣٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٠).

(٣) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (ص:٦٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٤)، و(٨/ ٢٧٦١) برقم (١٥٦١٠) من رواية مجاهد عن ابن عباس به.
ورواه الطبري (١٠/ ٣٥١) من رواية السدي عن ابن عباس به، ورواه أيضًا (١٠/ ٣٥٢) من رواية عكرمة عن ابن عباس به.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: «ساحرٍ»، وفي «يونس»: «بِكُلِّ سَاحر».

وقرأ حمزة والكسائي: «سحَّارٍ» في الموضعين[١].

ولا خلاف في «الشعراء» أنها: سَحَّارٍ[٢].

قوله: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وحفص عن عاصم: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مكسورة الألف على الخبر، وفي «الشعراء»: «آينَّ» ممدودة مفتوحة الألف، غير أن حفصًا روى عن عاصم في «الشعراء»: «أإن» بهمزتين.

وقرأ أبو عمرو: «آين لنا» ممدودة في السورتين.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بهمزتين في الموضعين[٣].

قال أبو علي: الاستفهام أشبه بهذا الموضع، لأنهم لم يقطعوا على أن لهم الأجر، وإنما استفهموا عنه[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٣) والتحصيل (٣/ ٧٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٨٩)، والحجة (٤/ ٦٤-٦٥)، والمبسوط (ص:٢١٣)، والتحصيل (٣/ ٧٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

(٤) انظر: الحجة (٤/ ٦٥).

قوله: ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ أي: ولكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

قوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾.

قال أبو عبيدة: غَشَّوْا أعين الناس وأخذوها[١].

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي: خوَّفوهم.

وقال الزَّجَّاج: استدعَوا رهبتهم حتى رهبهم الناس[٢].

قوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾.

وقرأ عاصم: ﴿تَلْقَفُ﴾ ساكنة اللام، خفيفة القاف هاهنا وفي «طه»، و«الشعراء»[٣].

[٢٧٨/ ب] وروى البزِّيُّ[٤]، وابن فُلَيح عن ابن كثير: «تلقف» بتشديد التاء[٥].

قال الفراء: لقفتُ الشيء، فأنا ألقَفُه لَقْفًا ولَقَفَانًا، والمعنى: تبتلع[٦].

قوله: ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: يكذبون، لأنهم زعموا أنها حيَّات.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٦).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٦)، والتحصيل (٣/ ٧٧).

(٤) في (ف): (اليزيدي).

(٥) انظر: السبعة (ص:٤٧١،٤٢١،٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٦) و(٥/ ٢٣٥، ٣٥٧)، والمبسوط (ص:١٥٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٣٩).

(٦) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٠).

قوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾.

قال ابن عباس: استبان[١].

﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من السحر.

الإشارة إلى قصتهم

اختلفوا في عدد السحرة على ثلاثة عشر قولًا:

أحدها: اثنان وسبعون، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٢].

والثاني: اثنان وسبعون ألفًا، روي عن ابن عباس أيضًا، وبه قال مقاتل[٣].

والثالث: سبعون، روي عن ابن عباس أيضًا[٤].

والرابع: اثنا عشر ألفًا، قاله كعب[٥].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٦) من رواية عمار بن خالد، عن محمد بن الحسن، ويزيد بن هارون، عن أصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس يعني قوله: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ١١٨]، قال: ظهر الحق.
وانظر: البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٣٩).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٤١٣)، وحكاه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٨) عن مقاتل، وحكاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨) عن النقاش.

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٨)، وفي تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٤): «والسحرة اثنان وسبعون رَجُلاً».

(٤) ونسب الثعلبيُّ في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٩) هذا القول للكلبي.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٩).



والخامس: سبعون ألفًا، قاله عطاء[1]، وكذلك قال وهب في رواية، إلَّا أنه قال: فاختار منهم سبعة آلاف.

والسادس: سبعمائة.

وروى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب أنه قال: كان عدد السحرة الذين عارضوا موسى سبعين ألفًا متخيَّرين من سبعمائة ألف، ثم إن فرعون اختار من السبعين الألف سبعمائة.

والسابع: خمسة وعشرون ألفًا، قاله الحسن.

والثامن: تسعمائة، قاله عكرمة[2].

والتاسع: ثمانون ألفًا، قاله محمد بن المنكدر[3].

والعاشر: بضعة وثلاثون ألفًا، قاله السدي[4].

والحادي عشر: خمسة عشر ألفًا، قاله ابن إسحاق[5].

والثاني عشر: تسعة عشر ألفًا، رواه أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) ذكر الواحدي في التفسير البسيط (١٤/ ٤٥٧): «قال ابن عباس في رواية عطاء: كان عدد السحرة سبعين ألف رجل»، وفي الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٦٩) نسب هذا القول لعكرمة.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨) عن ابن جريج.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٦٩).

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

(٥) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨).

والثالث عشر: أربع مائة، حكاه الثعلبي[١].

فأما أسماء رؤسائهم:

فقال ابن إسحاق: رؤوس السحرة ساتور، وعاذور، وحُطحُط، ومُصَفَّى، وهم الذين آمنوا، كذا حكاه ابن ماكولا[٢].

قال الشيخ[٣]: ورأيت عن غير ابن إسحاق: سابورًا، وعازورًا.

وقال مقاتل: اسم أكبرهم: شمعون[٤].

قال ابن عباس: ألقوا حبالًا غلاظًا، وخشبًا طُوالاً، فكانت ميلًا في ميل، فألقى موسى عصاه، فإذا هي أعظم من حبالهم وعصيهم، قد سدت الأفق، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعًا، فابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيِّهم، وجعلت تأكل جميع ما قدرت عليه من صخرة أو شجرة، والناس ينظرون، وفرعون يضحك تجلُّدًا، فأقبلت الحيَّة نحو فرعون، فصاح: يا موسى، يا موسى؛ فأخذها موسى، وعرفت السحرة أن هذا من السماء، وليس هذا بسحر، فخرُّوا سُجَّدًا، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقال فرعون: إياي تعنون؟ فقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، فأصبحوا سحرة، وأمسوا شهداء[٥].

---

(١) قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٣٨): «وهذه الأقوال ليس لها سند يوقف عنده».

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٤٠).

(٣) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ف).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٥٧)، والتفسير البسيط (٩/ ٢٨١).

وقال وهب بن منبه: لما صارت ثعبانًا حملت على الناس فانهزموا منها، فقتل بعضهم بعضًا، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا[1].

وقال السدي: لقي موسى أمير السحرة، فقال: أرأيت إن غلبتك غدًا، أتؤمن بي؟ فقال الساحر: لآتين غدًا بسحر لا يغلبه السحر، فوالله لئن غلبتني لأومننَّ بك[2]. [٢٧٩/أ]

فإن قيل: كيف جاز أن يأمرهم موسى بالإلقاء، وفعل السحر كفر؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أن مضمون أمره: إن كنتم محقين فألقوا.

والثاني: ألقوا على ما يصح، لا على ما يفسد ويستحيل، ذكرهما[3] الماوردي[4].

والثالث: إنما أمرهم بالإلقاء لتكون معجزته أظهر، لأنهم إذا ألقوا، ألقى عصاه فابتلعت ذلك، ذكره الواحدي[5].

فإن قيل: كيف قال: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ وإنما سجدوا باختيارهم؟

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٢) من رواية إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد بن معقل، عن وهب بن منبه به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٦٢).

(٣) في (ف): (ذكره).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٤٦)، والتفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٢٧٩).

(٥) انظر: التفسير البسيط (١٤/ ٤٥٦).

فالجواب: أنه لما زالت كل شبهة بما أظهر الله تعالى من أمره، اضطرهم عظيم ما عاينوا إلى مبادرة السجود، فصاروا مفعولين في الإلقاء تصحيحًا وتعظيمًا لشأن ما رأوا من الآيات، ذكره ابن الأنباري.

قال ابن عباس: لما آمنت السحرة، اتبع موسى ستمائة ألف من بني إسرائيل(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٥].

قوله: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾.

قرأ نافع، وابن عامر، وأبو عمرو: «آأمنتم به» بهمزة ومدة على الاستفهام.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «أأمنتم به» فاستفهموا بهمزتين، الثانية ممدودة.

وقرأ حفص عن عاصم: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ على الخبر(٢).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧١) من رواية عكرمة، عن ابن عباس به.
وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٣)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٤١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٤٣).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٨)، والمبسوط (ص:٢١٣)، والتحصيل (٣/ ٧٧).

وروى أبو[1] الإخريط[2] عن ابن كثير: «قال فرعون وأمنتم به» فقلب همزة الاستفهام واوًا، وجعل الثانية مليَّنة بين بين.

وروى قنبل عن القواس مثل رواية أبي[3] الإخريط، غير أنه كان يهمز بعد الواو[4].

قال أبو علي: همز بعد الواو، لأن هذه الواو منقلبة عن همزة الاستفهام، وبعد همزة الاستفهام همزة: «أَفَعَلْتُم» فحققها ولم يخففها[5].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾.

قال ابن السائب: لصنيع صنعتموه فيما بينكم وبين موسى في مصر قبل خروجكم إلى هذا الموضع لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها[6].

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ما صنعتم.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ وهو قطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى.

---

(١) في (ف): (ابن)!.

(٢) وهو وهب بن واضح أبو الإخريط، ويقال: أبو القاسم المكي مقرئ أهل مكة، وروى عنه أحمد بن محمد البزي وغيره. انظر طبقات القراء (٢/ ٣٦١).

(٣) في (ف): (ابن).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٢٩٠)، والحجة (٤/ ٦٩)، والتحصيل (٣/ ٧٧).

(٥) انظر: الحجة (٤/ ٦٩).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٨٧).

قال ابن عباس: أول من فعل ذلك، وأول من صلب، فرعون[١].

قولـه تعـالى: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [الأعـراف: ١٢٦، ١٢٨].

قولـه: ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ ﴾ أي: ومـا تكـره منـا شـيئًا، ولا تطعـن علينـا إلا لأنـا آمنـا.

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾.

قال مجاهد: على القطع والصلب حتى لا نرجع[٢] كفارًا[٣].

﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي: مخلصين على دين موسى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٦٣) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥١٥) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في (ف): (ترجع).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٨٩) ولفظه عنده: «قال مجاهد: اصبب علينا الصبر عند الصلب والقطع حتى لا نرجع كفاراً».

قوله: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ﴾ هذا إغراء من الملأ لفرعون.

وفيما أرادوا بالفساد في الأرض قولان:

أحدهما: قتل أبناء القبط، واستحياء نسائهم، كما فعلوا ببني إسرائيل، قاله مقاتل[(١)].

والثاني: دعاؤهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته.

قوله: ﴿وَيَذَرَكَ﴾.

جمهور القراء على نصب الراء، وقرأ الحسن برفعها[(٢)].

قال الزَّجَّاج: من نصب «ويذرَكَ» نصبه على جواب الاستفهام بالواو، والمعنى: أيكون منك أن تذر موسى وأن يذرك؟ ومن رفعه [٢٧٩/ب] جعله مستأنفًا، فيكون المعنى: أتذر موسى وقومه، وهو يذرك وآلهتك، والأجود أن يكون معطوفًا على «أتذر»، فيكون المعنى: أتذر موسى، وأيذرك موسى؟ أي: أتطلق له هذا؟[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٥).

(٢) انظر: الكامل في القراءات العشر (ص:٥٥٥)، وفي المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٥٦) نسبها لنعيم بن ميسرة والحسن بخلاف، وفي التحصيل؛ للمهدوي (٣/ ٧٨) نسبها لنعيم بن ميسرة وغيره، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٤١) نسبها للحسن، ونعيم بن ميسرة، ونعيم بن ميسرة هو: الكوفي النحوي أبو عمرو، نزل الرَّيَّ وكان ثقة، روى الحروف عن أبي عمرو، وعاصم، وروى عنه الكسائي، وتُروى عنه حروف شواذ من اختياره، توفي سنة (١٧٤هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٣٧٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

قوله: ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾.

قال ابن عباس: كان فرعون قد صنع لقومه أصنامًا صغارًا، وأمرهم بعبادتها، وقال: أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤][١].

وقال غيره: كان قومه يتعبَّدون تلك الأصنام تقربًا إليه.

وقال الحسن: كان يعبد تيسًا في السِّرِّ[٢].

وقيل: كان يعبد البقر سرًّا[٣].

وقيل: كان يجعل في عنقه شيئًا يعبده[٤].

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وابن محيصن: «وإلاهتك» بكسر الهمزة وقصرها وفتح اللام وبألف بعدها[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٧١)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٢).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٧١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٨) عن معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه قال: وبلغني أيضًا عن ابن عباس أنه قال: كان يعبد البقر.
وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٤١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٤٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٣٨) عن معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه قال: بلغني أنه كان يجعل في عنقه شيئا يعبده.

(٥) انظر: التحصيل (٣/ ٧٨) ونسبها أيضًا: علي بن أبي طالب، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (١/ ٦٤)، والقراءات الشاذة (ص:٤٥)، ومختصر الشواذ (ص:٥٠) ونسبها أيضًا: لعلي، والمحتسب (١/ ٢٥٦) ونسبها أيضًا: لأنس بن مالك وعلي بن أبي=

قال الزَّجّاج: المعنى: ويذرك وربوبيتك[١].

وقال ابن الأنباري: قال اللغويون: الإِلاهة: العبادة، فالمعنى: ويذرك وعبادة الناس إياك.

قال ابن قتيبة: من قرأ: «وإِلاهتك» أراد: ويذرك والشمس التي تعبد، وقد كان في العرب قوم يعبدون الشمس ويسمونها إلهة[٢].

قال الأعشى[٣]:

فَمَا أَذْكُرُ الرَّهْبَ حتَّى انْقَلَبْتُ قُبَيْلَ الإلاهَةِ مِنْها قَرِيْبا

يعني الشمس، والرَّهب: ناقته. يقول: اشتغلت بهذه المرأة عن ناقتي إلى هذا الوقت.

قوله: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

قرأ أبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿سَنُقَتِّلُ﴾، و﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأعراف:١٤١] بالتشديد، وخففهما نافع.

=طالب وعلقمة والجحدري والتيمي وأبي طالوت وأبي رجاء، وفي التفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٢٩٢) نسبها أيضًا: للضحاك والشعبي وابن أبي إسحاق.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

(٢) انظر: تأويل مختلف الحديث (ص:١٩٥).

(٣) البيت للأعشى في تأويل مختلف الحديث؛ لابن قتيبة (ص:١٩٥).

وقرأ ابن كثير[1]: «سَنَقْتُلُ» خفيفة، و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ مشدَّدة[2].

وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلمه أنه لا يقدر عليه.

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ أي: عالون بالملك والسلطان.

فشكا بنو إسرائيل إعادة القتل على أبنائهم، فقال موسى: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على ما يُفعل بكم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾.

وقرأ الحسن، وهبيرة عن حفص عن عاصم: «يورِّثها» بالتشديد[3].

فأطمعهم موسى أن يعطيهم الله أرض فرعون وقومه بعد إهلاكهم.

قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: الجنة.

---

(١) في (ف): (وابن كثير).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩١-٢٩٢)، والحجة (٤/ ٧١-٧٢)، والمبسوط (١/ ٢١٣)، والتحصيل (٣/ ٧٨).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٢) وقال: «وَلم يروها عَن حَفْص غير هُبَيْرَة وَهُوَ غلط، وَالْمَعْرُوف عَن حَفْص التَّخْفِيف»، وكذلك قال في الحجة (٤/ ٧٢)، وفي مختصر في الشواذ؛ لابن خالويه (ص:٥٠) قال: «هبيرة عن حفص، ويحيى وابن مسعود»، وفي التحصيل (٣/ ٧٨) نسبها للحسن وابن وثّاب، وفي الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص:٥٥٥) نسبها للحسن، وابْن مِقْسَم، والخزاز في قول الْخُزَاعِيّ، وفي الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٧٢) نسبها للحسن.

والثاني: النصر والظفر.

قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٩، ١٣٠].

قوله: ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾.

في هذا الأذى ستة أقوال:

أحدها: أن الأذى الأول والثاني أخذ الجزية، قاله الحسن.

والثاني: أن الأول ذبح الأبناء، والثاني إدراك فرعون يوم طلبهم، قاله السدي.

والثالث: أن الأول أنهم كانوا يسخَّرون في الأعمال إلى نصف النهار، ويرسَلون في بقيته يكتسبون، والثاني تسخيرهم جميع النهار بلا طعام ولا شراب، قاله جويبر. [٢٨٠/أ]

والرابع: أن الأول تسخيرهم في ضرب اللَّبِن، وكانوا يعطونهم التِّبن الذي يخلط به الطين، والثاني أنهم كلِّفوا ضرب اللَّبِن وجعلَ التبن عليهم، قاله ابن السائب.

والخامس: أن الأول قتل الأبناء، واستحياء البنات، والثاني تكليف فرعون إيَّاهم ما لا يطيقون، قاله مقاتل[1].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٦).

والسادس: أن الأول استخدامهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم، والثاني إعادة ذلك العذاب.

وفي قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ قولان:

أحدهما: تأتينا بالرِّسالة، ومن بعد ما جئتنا بها، قاله ابن عباس(١).

والثاني: تأتينا بعهد الله أنه سيخلِّصنا ومن بعد ما جئتنا به، ذكره الماوردي(٢).

قوله: ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: عسى: طمع وإشفاق، إلا أن ما يُطمِع الله فيه فهو واجب(٣).

قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

في هذا الاستخلاف قولان:

أحدهما: أنه استخلاف من فرعون وقومه.

والثاني: استخلاف عن الله تعالى؛ لأن المؤمنين خلفاء الله في أرضه.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٥٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٤).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٥٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

وفي الأرض قولان:

أحدهما: أرض مصر، قاله ابن عباس[١].

والثاني: أرض الشام، ذكره الماوردي[٢].

قوله: ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: يراه بوقوعه منكم، لأنه إنما يجازيهم على ما وقع منهم، لا على ما علم أنه سيقع منهم[٣].

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾.

قال أبو عبيدة: مجازُه: ابتليناهم بالجدوب، و﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: أهل دينه وقومه[٤].

وقال مقاتل: هم أهل مصر[٥].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٢٩٥) ولفظه عنده: «قال ابن عباس: يملككم ما كان يملك فرعون»، وفي البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٤٦): «وَالْأَرْضِ هُنَا أَرْضُ مِصْرَ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ».

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٥٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٦).

قال الفراء: ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ أي: بالقحط والجدوب عامًا بعد عام[١].

وقال الزَّجَّاج: السنون في كلام العرب: الجدوب، يقال: مسَّتهم السَّنة، ومعناه: جدب السَّنة، وشدة السَّنة، وإنما أخذهم بالضراء، لأن أحوال الشدة تُرِقُّ القلوبَ، وتُرغِّبُ فيما عندَ الله، وفي الرُّجوع إليه[٢].

قال قتادة: أما السنون، فكانت في بواديهم ومواشيهم، وأما نقص الثمرات، فكان في أمصارهم وقراهم[٣].

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: يبس لهم كل شيء، وذهبت مواشيهم، حتى يبس نيل مصر، فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا له: إن كنت ربًّا كما تزعم، فاملأ لنا نيل مصر، فقال: غُدْوة يصبِّحكم الماء، فلما خرجوا من عنده، قال: أيَّ شيء صنعت؟ أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر؟ غدوة أصبح، فيكذِّبوني. فلما كان جوف الليل، اغتسل، ثم لبس مِدرعة من صوف، ثم خرج حافيًا حتى أتى بطن نيل مصر فقام في بطنه، فقال: اللهم إنك تعلم أني أعلم أنك تقدر أن تملأ نيل مصر ماء، [٢٨٠/ب] فاملأه، فما علم إلا بخرير الماء لما أراد الله به من الهلكة[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٢) من رواية يزيد، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٢) من رواية أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس ﷺ به.



قال الشيخ[١]: وهذا الحديث بعيد الصحة؛ لأن الرجل كان دهريًّا لا يثبت إلهًا، ولو صحَّ، كان إقراره بذلك كإقرار إبليس، وتبقى مخالفته عنادًا.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: ١٣١].

قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ وهي الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة.

﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحن مستحقوها على ما جرى لنا من العادة في سعة الرزق، ولم يعلموا أنه من الله فيشكُروا عليه.

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ وهي القحط والجدب والبلاء.

﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي: يتشاءموا بهم.

وكانت العرب تزجر الطير، فتتشاءم بالبارح، وهو الذي يأتي من جهة الشمال، وتتبرك بالسانح، وهو الذي يأتي من جهة اليمين.

قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

قال أبو عبيدة: ﴿أَلَآ﴾ تنبيه وتوكيد ومجاز. ﴿طَٰٓئِرُهُمۡ﴾ حظهم ونصيبهم[٢].

---

(١) في (ف): (قال المصنف).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٦).

وقال ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: إن الذي أصابهم من الله(١).

وقال الزَّجَّاج: المعنى: ألا إن الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة، لا ما ينالهم في الدنيا(٢).

قوله تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢، ١٣٣].

قوله: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا﴾.

قال الزَّجَّاج: زعم النحويون أن أصل «مهما» ماما، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء ليختلف اللفظ فـ«ما»، الأولى هي «ما» الجزاء، و«ما» الثانية هي التي تزاد تأكيدًا للجزاء، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا و«ما» تزاد فيه، قال الله ﷻ: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ﴾ [الأنفال:٥٧] كقولك: إن تثقفنهم، وقال: ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ﴾ [الإسراء:٢٨]، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاء، والتفسير الأول هو الكلام، وعليه استعمال الناس(٣).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٧) من رواية معاوية، عن علي، عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٣١] يقول: «مصائبهم عند الله».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٩).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٦٩).



قال ابن الأنباري: فعلى قول من قال: إن معنى «مه» الكف، يحسن الوقف على «مه»، والاختيار عندي أن لا يوقف على «مه» دون «ما» لأنها في المصحف حرف واحد.

وفي «الطوفان» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الماء.

قال ابن عباس: أُرسل عليهم مطر دائم الليل والنهار ثمانية أيام[1].

وإلى هذا المعنى ذهب سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وأبو مالك[2]، ومقاتل[3]، واختاره الفراء[4]، وابن قتيبة[5].

والثاني: أنه الموت، روته عائشة عن النبي ﷺ[6].

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٤) من رواية الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٢).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٧١).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٠٥-٣٠٦) ثلاثتهم من طريق يحيى بن يمان، عن المنهال بن خليفة، عن الحجاج، عن الحكم بن ميناء، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «الطوفان الموت».
وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يحيى بن يمان العجلي، والمنهال بن خليفة، والحجاج بن أرطاة، فهو إسناد مسلسل بالضعفاء.
ولذلك قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٢/ ٢٤٠): «حديث غريب».
وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥١٩)، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ وابن مردويه.

وبه قال مجاهد، وعطاء، ووهب بن منبه، وابن كثير[١].

والثالث: أنه الطاعون، نقل عن مجاهد[٢]، ووهب أيضًا.

وفي «القمَّل» سبعة أقوال:

أحدها: أنه السوس الذي يقع في الحنطة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٣]، وقال به.

والثاني: أنه الدَّبى، رواه العوفي عن ابن عباس[٤]، وبه قال مجاهد، وعطاء[٥].

وقال قتادة: القمَّل: أولاد الجراد[٦].

وقال ابن فارس: الدَّبى: الجراد إذا تحرك قبل أن تنبت أجنحته[٧]. [٢٨١/أ]

والثالث: أنه دواب سود صغار، قاله الحسن، وسعيد بن جبير[٨].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٠).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٥١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٤٧) من رواية جرير، عن يعقوب القمي، عن جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٣) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.
ورواه أيضًا (١٠/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٦) من رواية الضحاك، عن ابن عباس به.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٣).

(٧) انظر: مجمل اللغة (ص:٣٤٦).

(٨) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٥).

وقيل: هذه الدواب هي السوس.

والرابع: أنه الجعلان، قاله حبيب بن أبي ثابت[١].

والخامس: أنه القمل، ذكره عطاء الخراساني، وزيد بن أسلم[٢].

والسادس: أنه البراغيث، حكاه ابن زيد[٣].

والسابع: أنه الحَمنان، واحدتها: حَمنانة، وهي ضرب من القِردان، قاله أبو عبيدة[٤].

وقرأ الحسن، وعكرمة، وابن يعمر: «القُمْل» برفع القاف وسكون الميم[٥].

وفي «الدم» قولان:

أحدهما: أن ماءهم صار دمًا، قاله الجمهور.

والثاني: أنه رعاف أصابهم، قاله زيد بن أسلم[٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ١٥١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٦).

(٥) انظر: التحصيل (٣/ ٩٦)، ومختصر ابن خالويه (ص:٥٠)، والمحتسب (١/ ٢٥٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٤٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٩٧)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٤٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٥١).

الإشارة إلى شرح القصة

قال ابن عباس: جاءهم الطوفان، فكان الرجل لا يقدر أن يخرج إلى ضيعته، حتى خافوا الغرق، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفه عنا، ونؤمن بك، ونرسل معك بني إسرائيل، فدعا لهم، فكشفه الله عنهم، وأنبت لهم شيئًا لم ينبته قبل ذلك، فقالوا: هذا ما كنا نتمنى، فأرسل الله عليهم الجراد؛ فأكل ما أنبتت الأرض، فقالوا: ادع لنا ربك، فدعا، فكشف الله عنهم، فأحرزوا زروعهم في البيوت، فأرسل الله عليهم القُمَّل، فكان الرجل يخرج بطحين عشرة أجربة إلى الرحى، فلا يرى منها ثلاثة أقفزة، فسألوه، فدعا لهم، [فكُشف عنهم][1]، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ولم يكن عليهم شيء أشد منها، كانت تجيء إلى القدور وهي تغلي وتفور، فتلقي أنفسها فيها، فتفسد طعامهم، وتطفئ نيرانهم، وكانت الضفادع برِّيَّة، فأورثها الله ﷻ برد الماء والثرى إلى يوم القيامة، فسألوه، فدعا لهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فجرت أنهارهم وقُلُبهم دمًا، فلم يقدروا على الماء العذب، وبنو إسرائيل في الماء العذب، فإذا دخل الرجل منهم يستقي من أنهار بني إسرائيل صار ما دخل فيه دمًا، والماء من بين يديه ومن خلفه صافٍ عذبٌ لا يقدر عليه، فقال فرعون: أقسم بإلهي يا موسى لئن كشفتَ عنا الرِّجز لنؤمننَّ بك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، فدعا موسى، فذهب الدم وَعَذُبَ ماؤهم، فقالوا: والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك بني إسرائيل[2].

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٨٧)، وابن أبي حاتم مختصرًا في تفسيره (٥/ ١٥٤٧).

قوله: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾.

قال ابن قتيبة: بين الآية والآية فصل[١].

قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت، ثم يبقون عقيب رفعها شهرًا في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى.

وقال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يومًا[٢].

[٢٨١/ب] وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات، الجراد والقمّل والضّفادع والدّم[٣].

وفي قوله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ قولان:

أحدهما: عن الإيمان.

والثاني: عن الانزجار.

قوله تعالَى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤، ١٣٦].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧١).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٥٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٥/ ١٥٤٩) عن نوف الشامي، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٥٢) عنه أيضًا.

قوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ ﴾ أي: نزل بهم العذاب.

وفي هذا العذاب قولان:

أحدهما: أنه طاعون أهلك منهم سبعين ألفًا، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير.

والثاني: أنه العذاب الذي سلَّطه الله عليهم من الجراد والقُمَّل وغير ذلك، قاله ابن زيد.

قال الزَّجَّاج: ﴿ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب[١].

ومعنى الرجز في العذاب: أنه المقلقل لشدته قلقلة شديدة متتابعة، وأصل الرجز في اللغة: تتابع الحركات، فمن ذلك قولهم: ناقة رجزاء، إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها، ومنه رجز الشعر، لأنه أقصر أبيات الشعر، والانتقالُ من بيت إلى بيت سريعٌ، نحو قوله[٢][من الرجز]:

يَا لَيْتَنِي فِيْهَا جَذَعْ ... أَخُبُّ فيها وَأَضَعْ

وزعم الخليل أن الرَّجَز ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أبيات وأثلاث[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٠).

(٢) البيت لدريد قاله يوم هوازن كما في الشعر والشعراء؛ لابن قتيبة (٢/ ٧٣٨)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٤٩٩)، والصحاح (٣/ ١٣٠٠)، والفائق في غريب الحديث؛ للزمخشري (١/ ١٣٨)، ولسان العرب (٨/ ٣٩٨)، ودريد: هو ابن الصمة بن معاوية الجشمي، شاعر جاهلي فارس شجاع كان سيد قومه، توفي (سنة ٨ هـ) ولم يسلم.

(٣) انظر: تهذيب اللغة؛ للأزهري (١٠/ ٣٢٣)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (ص: ٤٢١).

قوله: ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن معناه: بما أوصاك أن تدعوه به.

والثاني: بما تقدم به إليك أن تدعوه فيجيبك.

والثالث: بما عهد عندك في كشف العذاب عمن آمن.

والرابع: أن ذلك منهم على معنى القسم، كأنهم أقسموا عليه بما عهد عنده أن يدعو لهم.

قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ أي: إلى وقت غرقهم.

﴿إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ أي: ينقضون العهد.

قوله: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

قال أبو سليمان الدمشقي: انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم، وتلك النقمة تغريقنا إياهم في اليمِّ.

قال ابن قتيبة: اليمُّ: البحر بالسريانية[١].

قوله: ﴿وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: عن الآيات، وغفلتهم: تركهم الاعتبار بها.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧١)، ولفظه فيه: «والْيَمُّ: البحر».

والثاني: عن النقمة.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧، ١٣٨].

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ﴾ يعني بني إسرائيل.

﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ أي: يُستَذلون بذبح الأبناء، واستخدام النساء، وتسخير الرجال.

﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: مشارق الشام ومغاربها، قاله الحسن.

والثاني: مشارق أرض الشام ومصر.

والثالث: أنه على إطلاق في شرق الأرض وغربها.

قوله: ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾.

قال ابن عباس: بالماء والشجر[1].

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٥٤).

قوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وهي وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض، وذلك في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٥]، وقد بيَّنا علَّة تسمية ذلك كلِّه في «آل عمران». [٢٨٢/أ]

وقوله: ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾.

فيه قولان:

أحدهما: على طاعة الله تعالى.

والثاني: على أذى فرعون.

قوله: ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أي: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارات والمزارع، والدمار: الهلاك.

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ أي: يبنون.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء هاهنا، وفي «النحل».

وقرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: بضم الراء فيهما[1].

وقرأ ابن أبي عبلة: «يُعَرِّشون» بالتشديد[2].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٢، ٣٧٤)، والحجة (٤/ ٧٤)، و(٥/ ٧٦)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٤٧).

(٢) في الكامل في القراءات (ص:٥٥٥)، نسبها لابن مقسم، وابن أبي عبلة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٤٧) نسبها لابن أبي عبلة.

قال الزَّجَّاج: يقال: عَرَشَ يَعْرِشُ ويَعْرُشُ: إذا بنى[١].

قوله: ﴿يَعۡكُفُونَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، [ويعقوب][٢]: «يَعْكُفُون» بضم الكاف.

وقرأ حمزة، والكسائي، والمفضل: بكسر الكاف[٣].

وقرأ ابن أبي عبلة: بضم الياء وتشديد الكاف[٤].

قال الزَّجَّاج: ومعنى ﴿يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡ﴾: يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئًا وواظب عليه: عَكَفَ يَعْكِفُ ويَعْكُفُ[٥].

قال قتادة: كان أولئك القوم نزولًا بالرقة، وكانوا من لخم[٦].

وقال غيره: كانت أصنامهم تماثيل البقر.

وهذا إخبار عن عظيم جهلهم حيث توهموا جواز عبادة غير الله بعد ما رأوا الآيات.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧١).

(٢) زيادة من (ف).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٢)، والحجة (٤/ ٧٤)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦).

(٤) انظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها؛ لأبي القاسم الهذلي (ص:٥٥٦)، ونسبها لابن أبي عبلة، وابن مقسم.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧١).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٢٤).

قولــه تعــالى: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠ ﴾ [الأعراف: ١٣٩، ١٤٠].

قوله: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ ﴾.

قال ابن قتيبة: مُهلَك. والتَّبار: الهلاك[١].

قولـه: ﴿ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا ﴾ أي: أطلـب لكـم، وهذا اسـتفهام إنكار.

قال المفسِّرون، منهم ابن عباس، ومجاهد[٢]: والعالمون هاهنا: عالمو زمانهم.

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ١٤١ ﴾ [الأعـراف: ١٤١].

قوله: ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم ﴾.

قرأ ابن عامر: «وإذ أنجاكم» على لفظ الغائب المفرد[٣].

قولــه تعــالى: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾ [الأعـراف: ١٤٢].

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٢).

(٢) انظر: التفسير البسيط (٩/ ٣٢٧).

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦).

قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ المعنى: وعدناه انقضاء ثلاثين ليلة.

قال ابن عباس: قال موسى لقومه: إن ربي وعدني ثلاثين ليلة، فلما فصل إلى ربه زاده عشرًا، فكانت فتنتهم في ذلك العشر[١].

فإن قيل: لم زيد هذا العشر؟

فالجواب: أن ابن عباس قال: صام تلك الثلاثين ليلهن ونهارهن، فلما انسلخ الشهر، كره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم، فتناول شيئًا من نبات الأرض فمضغه، فأوحى الله تعالى إليه: لا كلمتك حتى يعود فوك على ما كان عليه، أما علمت أن رائحة فم الصائم أحبُّ إليَّ من ريح المسك؟ وأمره بصيام عشرة أيام[٢].

وقال أبو العالية: مكث موسى على الطور أربعين ليلة، فبلغَنا أنه لم يُحدث حتى هبط منه[٣].

فإن قيل: ما معنى ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وقد عُلم ذلك عند انضمام العشر إلى الثلاثين؟

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٥٦) من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٢٩) مختصرًا.

(٣) رواه الطبري (١/ ٦٦٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٥٧) في تفسيرهما من رواية آدم، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية به، ولفظه عند الطبري: «... فمكث على الطور أربعين ليلة، وأنزل عليه التوراة في الألواح، وكانت الألواح من زبرجد؛ فقربه الرب إليه نجيًا، وكلَّمه، وسمع صريف القلم. وبلغنا أنه لم يُحدث حدثًا في الأربعين ليلة حتى هبط من الطور».

فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه للتأكيد.

والثاني: ليدل أن العشر، ليالٍ لا ساعات.

[٢٨٢/ب] والثالث: لينفي إتمام الثلاثين بالعشر أن يكون من جملة الثلاثين، لأنه يجوز أن يسبق إلى الوهم أنها كانت عشرين ليلة فأُتمت بعشر.

وقد بينا في سورة «البقرة»(١) لماذا كان هذا الوعد.

قوله: ﴿وَأَصْلِحْ﴾.

قال ابن عباس: مرهم بالإصلاح(٢).

وقال مقاتل: ارفق(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣، ١٤٤].

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٣١) بلفظ: «يريد: الرفق بهم والإحسان إليهم»، ثم قال الواحدي: «فعلى هذا معناه: وأصلح أمرهم».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦١).

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾.

قال الزَّجَّاج: أي: للوقت الذي وقَّتنا له[(١)].

﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ أسمعه كلامه، ولم يكن بينه وبين الله ﷻ فيما سمع أحد.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ أي: أرني نفسك.

قوله: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾.

تعلَّق بهذا نُفاة الرؤية وقالوا: «لن» لنفي الأبد، وذلك غلط، لأنها قد وردت وليس المراد بها الأبد في قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ [البقرة:٩٥] ثم أخبر عنهم بتمنِّيه في النار بقولهم: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ ﴾ [الزخرف:٧٧]، ولأن ابن عباس قال في تفسيرها: لن تراني في الدنيا[(٢)].

وقال غيره: هذا جواب لقول موسى: «أرني»، ولم يُرد: أرني في الآخرة، وإنما أراد في الدنيا، فأُجيب عما سأل.

وقال بعضهم: لن تراني بسؤالك.

وفي هذه الآية دلالة على جواز الرؤية، لأن موسى مع علمه بالله تعالى سألها، ولو كانت مما تستحيل لما جاز لموسى أن يسألها، ولا يجوز أن يجهل موسى مثل ذلك، لأن معرفة الأنبياء بالله ليس فيها نقص، ولأن الله تعالى لم ينكر عليه المسألة، وإنما منعه من الرؤية، ولو استحالت عليه

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٢).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٣٤).



لقال: «لا أُرى» ألا ترى أن نوحًا لما قال: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾[هود:٤٥] أنكر عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾[هود:٤٦]، ومما يدلُّ على جواز الرؤية أنه علَّقها باستقرار الجبل، وذلك جائز غير مستحيل، فدلَّ على أنها جائزة، ألا ترى أن دخول الكفار الجنة لما استحال علَّقه بمستحيل فقال: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠].

قوله: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: ثبت ولم يتضعضع.

قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾.

قال الزَّجَّاج: ظهر، وبان(١).

﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «دكًّا» منوَّنة مقصورة هاهنا وفي «الكهف».

وقرأ عاصم: «دكًّا» هاهنا منوَّنة مقصورة، وفي «الكهف»: «دكاء» ممدودة غير منونة.

وقرأ حمزة والكسائي: «دكاء» ممدودة غير منونة في الموضعين(٢).

قال أبو عبيدة: «جعله دكًّا» أي: مندكًّا، والمندكُّ: المستوي، والمعنى: مستويًا مع وجه الأرض، يقال: ناقة دكَّاء، أي: ذاهبة السنام مستوٍ ظهرها(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٣)، والحجة (٤/ ٧٥)، (٥/ ١٨٢)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥١).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٢٨).

قال ابن قتيبة: كأن سنامها دُكَّ، أي: التصق، قال: ويقال: إن أصل دككتُ: دققت، فأبدلت القاف كافًا لتقارب المخرجين(١).

وقال أنس بن مالك في قوله: ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: ساخ الجبل(٢).

قال ابن عباس: واسم الجبل: زبير، وهو أعظم جبل بمدين، وإن الجبال تطاولت ليتجلَّى لها، وتواضع زبير فتجلَّى له(٣).

قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾.

فيه قولان: [٢٨٣/أ]

أحدهما: مغشيًّا عليه، قاله ابن عباس، والحسن، وابن زيد.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٢).

(٢) رواه الطبري (١٠/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٥٦٠) في تفسيرهما، والترمذي في سننه (٣٠٧٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٨٠)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ٢٥٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ٣٤١) (٢٧٢)، والحاكم في مستدركه (١/ ٧٧) وغيرهم من رواية حَمَّاد بن سَلَمَة، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، مرفوعًا إلى النَّبِيِّ ﷺ.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ».
وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».
وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٤٧٠): «وَرَوَاهُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَلَّالُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْد، عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْبَغَوِيِّ، عَنْ هُدْبَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، فَذَكَرَهُ. وَقَالَ: هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ لَا عِلَّةَ فِيهِ».

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٧٥).

والثاني: ميتًا، قاله قتادة، ومقاتل[١][٢].

والأول أصح، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾، وذلك لا يقال للميت.

وقيل: بقي في غشيته يومًا وليلة.

قوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾.

فيما تاب منه ثلاثة أقوال:

أحدها: سؤال الرؤية، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: الإقدام على المسألة قبل الإذن فيها.

والثالث: اعتقاد جواز رؤيته في الدنيا.

وفي قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنك لن تُرى في الدنيا، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أول المؤمنين من بني إسرائيل، رواه عكرمة عن ابن عباس.

قوله: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾.

فتح ياء «إني» ابن كثير، وأبو عمرو[٣].

وقرأ ابن كثير، ونافع «برسالتي»[٤].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢).

(٣) انظر: السبعة (ص:١٥٣)، والحجة (١/ ٤١٢)، والمبسوط (ص:٢١٩)، والتيسير (ص:١١٥).

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٤٦)، والحجة (٣/ ٢٣٩)، (٤/ ٧٧)، والتحصيل (٣/ ٦٦).

قال الزَّجَّاج: المعنى: اتخذتك صفوة على الناس ﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾، ولو كان إنما سمع كلام غير الله لما قال: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياء بكلام الله[1].

قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٥].

قوله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾.

في ماهية الألواح سبعة أقوال:

أحدها: أنها زبرجد، قاله ابن عباس.

والثاني: ياقوت، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: زمرُّد أخضر، قاله مجاهد.

والرابع: بَرَد، قاله أبو العالية.

والخامس: خشب، قاله الحسن.

والسادس: صخر، قاله وهب بن منبه.

والسابع: زمرد وياقوت، قاله مقاتل[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣)

وفي عددها أربعة أقوال:

أحدها: سبعة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثاني: لوحان، رواه[1] أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء[2].

قال: وإنما سماها الله تعالى ألواحًا، على مذهب العرب في إيقاع الجمع على التثنية، كقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨] يريد داود، وسليمان، وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤][3].

والثالث: عشرة، قاله وهب.

والرابع: تسعة، قاله مقاتل[4].

وفي قوله: ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ **قولان:**

أحدهما: من كل شيء يحتاج إليه في دينه من الحلال والحرام والواجب وغيره.

والثاني: من الحِكَم والعِبَر.

قوله: ﴿مَّوْعِظَةً﴾ أي: نهيًا عن الجهل ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ أي: تبيينًا لكل شيء من الأمر والنهي والحدود والأحكام.

قوله: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾.

---

(١) في (ف): (قاله).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٤).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٠٨، ٢٤٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢).

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: بجدٍّ وحزم، قاله ابن عباس.

والثاني: بطاعة، قاله أبو العالية.

والثالث: بشكر، قاله جويبر.

قوله: ﴿وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾.

إن قيل: كأن فيها ما ليس بحسن؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: يأخذوا بحسنها، وكلها حَسَن، قاله قطرب[1].

وقال ابن الأنباري: ناب «أحسن» عن «حسن» كما قال الفرزدق[2] [من الطويل]:

إنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّماءَ بَنى لَنَا ... بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

أي: عزيزة طويلة[3].

وقال غيره: «الأحسن» هاهنا صلة، والمعنى أن يأخذوا بها.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٣)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٤٧).

(٢) والبيت في ديوانه (٢/ ١٥٥)، ومنسوب إليه في العين (١/ ٧٦)، و تفسير الطبري (١٨/ ٤٨٨)، والصاحبي في فقه اللغة (ص:١٩٨)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٢/ ١٤٤)، والزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٢٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ١٢٧).

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٣٠).

[٢٨٣/ب] **والثاني:** أن بعض ما فيها أحسن من بعض.

ثم في ذلك خمسة أقوال:

أحدها: أنهم أُمروا فيها بالخير ونُهوا عن الشر، فَفِعْلُ الخير هو الأحسن.

والثاني: أنها اشتملت على أشياء حسنة بعضها أحسن من بعض، كالقصاص والعفو والانتصار والصبر، فأُمِروا أن يأخذوا بالأحسن، ذكر القولين الزَّجَّاج[١].

فعلى هذا القول، يكون المعنى: أنهم يتبعون العزائم والفضائل، وعلى الذي قبله، يكون المعنى: أنهم يتبعون[٢] الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح[٣] وهو المعصية.

والثالث: أحسنها: الفرائض والنوافل، وأدونها في الحسن: المباح.

والرابع: أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة، فتصرف إلى الأشبه بالحق.

والخامس: أن أحسنها: الجمع بين الفرائض والنوافل.

قوله: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

فيها أربعة أقوال:

أحدها: أنها جهنم، قاله الحسن، ومجاهد.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٥).

(٢) من قوله: (العزائم والفضائل)... إلى هنا، ليس في (ف).

(٣) وقع تكرار في الأصل هكذا: (أنهم يتبعون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالحسن وهو الطاعة، ويجتنبون الموصوف بالقبح).

والثاني: أنها دار فرعون وقومه، وهي مصر، قاله عطية العوفي.

والثالث: أنها منازل من هلك من الجبابرة والعمالقة، يريهم إياها عند دخولهم الشام، قاله قتادة.

والرابع: أنها مصارع الفاسقين، قاله السدي.

ومعنى الكلام: سأُرِيكم عاقبة من خالف أمري، وهذا تهديد للمخالف، وتحذير للموافق.

قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦، ١٤٧].

قوله: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها خاصة لأهل مصر فيما رأوا من الآيات.

والثاني: أنها عامة، وهو أصح.

وفي الآيات قولان:

أحدهما: أنها آيات الكتاب المتلوَّة.

ثم في [معنى][١] **الكلام ثلاثة أقوال:**

أحدها: أمنعُهم فهمها.

والثاني: أمنعهم من الإيمان بها.

والثالث: أصرفهم عن الاعتراض عليها بالإبطال.

والثاني: أنها آيات المخلوقات كالسماء والأرض والشمس والقمر وغيرها، فيكون المعنى: أصرفهم عن التفكر والاعتبار بما خلقتُ.

وفي معنى ﴿يَتَكَبَّرُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: يتكبَّرون عن الإيمان واتباع الرسول.

والثاني: يحقرون الناس ويرون لهم الفضل عليهم.

قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «سبيل الرُّشْد» بضم الراء خفيفة.

وقرأ حمزة، والكسائي: «سبيل الرَّشَد» بفتح الراء والشين مثقلَّة[٢].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٣)، والحجة (٤/ ٧٨)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٤).

قال الزَّجَّاج: فعل الله بهم ذلك ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي: كانوا في تركهم الإيمان بها والتدبر لها بمنزلة الغافلين، ويجوز أن يكون المعنى: وكانوا عن جزائها غافلين[1].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأعراف: ١٤٨].

قوله: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل [٢٨٤/أ] للميقات.

﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء.

وقرأ حمزة، والكسائي: «حِلِيِّهم» بكسر الحاء.

وقرأ يعقوب: بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء[2].

والحُلِيُّ: جمع حَلْيٍ، مثل ثَدْي وثُدِيٍّ، وهو اسم لما يُتحسَّن به من الذهب والفضة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٤)، والحجة (٤/ ٨٠)، والمبسوط (ص:٢١٤)، والتيسير (ص:١١٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٥)، والتحصيل (٣/ ٩٧).



قال الزَّجّاج: ومن كسر الحاء من «حليهم» أتبع الحاء كسر اللام[1].

و«الجسد»: هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما هو بمعنى الجثة فقط.

قال ابن الأنباري: ذِكر الجسد دلالة على عدم الروح منه، وأن شخصه شخص مثال وصورة، غير منضم إليها روح ولا نفس[2].

فأما «الخُوار» فهو صوت البقرة، يقال: خَارَت البقرة تَخُورُ، وَجَأَرَت تَجْأَرُ، وقد نُقِلَ عن العرب أنهم يقولون في مثل صوت الإنسان من البهائم: رَغَا البعير، وجَرْجَرَ وهَدَرَ وقَبْقَبَ، وصَهَل الفرس وحَمْحَمَ، وشَهَقَ الحمار ونَهَقَ، وشَحَجَ البغل، وثَغَتِ الشاة ويَعَرَتْ، وثأَجَتِ النَّعجة، وبغم الظَّبي ونزب، وزأر الأسد ونَأَتَ، ووَعْوَعَ الذئب، ونَهَم الفِيْلُ، وزَقَحَ القِرْدُ، وَضَبَحَ الثَّعْلَبُ، وعَوَى الكَلْبُ وَنَبَحَ، ومَاءتِ السِّنَّور، وَصَأَت الفأرة، ونَغَقَ الغُرَابُ، معجمةَ الغين، وزقأ الدِّيك وسَقَعَ، وصَفَرَ النَّسْرُ، وَهَدَرَ الحمام وَهَدَلَ، ونَقَضَتِ الضَّفَادِع ونقَّت، وعَزَفَتِ الجِنُّ[3].

قال ابن عباس: كان العجل إذا خار سجدوا، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ١٥٥).

(٣) وعزيف الجن: هو صوتها. انظر: الصحاح (٤/ ١٤٠٣)، والمحكم (١/ ٥٢٧)، ولسان العرب (٩/ ٢٤٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٨) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ به. وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٧٧).

وفي رواية أبي صالح عنه: أنه خار خورة واحدة ولم يُتبعها مثلها[١]، وبهذا قال وهب[٢]، ومقاتل[٣].

وكان مجاهد يقول: خواره حفيف الريح فيه[٤].

وهذا يدل على أنه لم يكن فيه روح.

وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو مجلز: «له جُوار» بجيم مرفوعة[٥].

قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: لا يستطيع كلامهم.

﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ أي: لا يبيّن لهم طريقًا إلى حجة.

﴿اتَّخَذُوهُ﴾ يعني اتخذوه إلهًا.

﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

قال ابن عباس: مشركين[٦].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٥٩)، والماوردي في النكت والعيون (٣/ ٤١٩).

(٢) انظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٨٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٤).

(٤) رواه الطبري (١٦/ ١٥٠) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به. وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٤/ ٤٩٩).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٥)، وقال: «وقرأت فرقة: «له جوار» بالجيم وهو الصياح».

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٦٠).

قولـه تعـالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٩، ١٥٢].

قوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: ندموا.

قال الزَّجَّاج: يقال للرجل النادم على ما فعل، المتحسر على ما فرَّط: قد سُقط في يده، وأُسقط في يده[١].

وقرأ ابن السميفع، وأبو عمران الجوني: «سَقَطَ» بفتح السين[٢].

قال الزَّجَّاج: والمعنى: ولما سقط النَّدم في أيديهم، يشبَّه ما يحصل في القلب وفي النفس بما يُرى بالعين[٣].

قال المفسرون: هذا الندم منهم إنما كان بعد رجوع موسى.

قوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

(٢) انظر: مختصر ابن خالويه (ص:٥١)، ونسبها لليماني، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم: «يرْحمنا ربُّنا» «ويغفرْ لنا» بالياء والرفع.

وقرأ حمزة، والكسائي: «ترحمنا» «وتغفر لنا» بالتاء، «ربَّنا» بالنصب[١].

قوله: ﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾.

في الأسِفِ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الحزين، قاله ابن عباس، والحسن، والسدي. [٢٨٤/ ب]

والثاني: الجزِع، قاله مجاهد.

والثالث: أنه الشديد الغضب، قاله ابن قتيبة[٢]، والزَّجَّاج[٣].

وقال أبو الدرداء: الأسف: منزلة وراء الغضب أشد منه[٤].

قوله: ﴿قَالَ﴾ أي: لقومه ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ فتح ياء «بعديَ» أهل الحجاز، وأبو عمرو[٥].

والمعنى: بئس ما عملتم بعد فراقي من عبادة العجل.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٤)، والحجة (٤/ ٨٨)، والمبسوط (ص:٢١٥)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٦)، والتحصيل (٣/ ٩٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٥٠) من رواية نصر بن علقمة، عن أبي الدرداء ﷺ به، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٥).

(٥) انظر: السبعة (ص:٣٠٢)، والمبسوط (ص:٢١٩)، والتيسير (ص:١١٥).



﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾.

قال الفراء: يقال: عَجِلْتُ الأمر والشيء: سبقتُه، ومنه هذه الآية. وأعجلته: استحثثته[١].

قال ابن عباس: أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له؟![٢].

قال الحسن: يعني وَعْدَ الأربعين ليلة[٣].

قوله: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي فيها التوراة.

وفي سبب إلقائه إياها قولان:

أحدهما: أنه الغضب حين رآهم قد عبدوا العجل، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه لما رأى فضائل غير أمته من أمة محمد ﷺ اشتد عليه، فألقاها، قاله قتادة، وفيه بُعدٌ.

قال ابن عباس: لما رمى بالألواح فتحطمت، رُفع منها ستة أسباع، وبقي سُبع[٤].

قوله: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٣).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٦٨).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٦٣).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٦٢) من رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ به.

في ما أخذ به من رأسه ثلاثة أقوال:

أحدها: لحيته وذؤابته.

والثاني: شعر رأسه.

والثالث: أُذنه.

وقيل: إنما فعل به ذلك، لأنه توهم أنه عصى الله بمُقامه بينهم وتركِ اللحوق به، وتعريفِه ما أحدثوا بعده ليرجع إليهم فيتلافاهم ويردَّهم إلى الحقِّ، وذلك قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ﴾ [طه: ٩٢، ٩٣].

قوله: ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: «قال ابن أُمَّ» نصبًا.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الميم، وكذلك في «طه»[١].

قال الزَّجَّاج: من فتح الميم فلكثرة استعمال هذا الاسم، ومن كسر أضافه إلى نفسه بعد أن جعله اسمًا واحدًا، ومن العرب من يقول: «يا ابن أمي» بإثبات الياء[٢].

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٢٩٥، ٤٢٣)، والحجة (٤/ ٨٩)، و(٥/ ٢٤٧)، والمبسوط (ص: ٢١٥)، والتيسير (ص: ١١٣)، والتحصيل (٣/ ٩٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٥٧).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٨).

قال الشاعر[١][من الخفيف]:

يَا ابْنَ أُمِّي ويَا شُقَيِّقَ نَفْسِي ... أَنْتَ خَلَّفْتَنِي لِدَهْرٍ شَدِيدِ

وقال أبو علي: يحتمل أن يريد من فتح: «يا ابن أم» أُمَّا، ويحذف الألف، ومن كسر: «ابن أمِ» فيحذف الياء[٢].

فإن قيل: لم قال: «يا ابن أمَّ» ولم يقل: «يا ابن أب»؟

فالجواب: أن ابن عباس قال: كان أخاه لأبيه وأُمه، وإنما قال له ذلك ليرقِّقه عليه[٣].

قال أبو سليمان الدمشقي: والإنسان عند ذكر الوالدة أرقُّ منه عند ذكر الوالد.

وقيل: كان لأمه دون أبيه، حكاه الثعلبي[٤].

قوله: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ يعني عبدة العجل.

﴿ٱسْتَضْعَفُونِي﴾ أي: استذلُّوني.

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي يرثي ابن أخته الجلاح في ديوانه (ص ٤٨)، والكتاب (٢/ ٢١٣)، وتفسير الطبري (١٠/ ٤٥٩)، والدرر (٥/ ٥٧)، ولسان العرب (١٠/ ١٨٢)، وتاج العروس (٢٥/ ٥١٦).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ٢٤٨).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٧٦)، ولم ينسبه لأحد، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٢٥٨) ونسبه للكلبي، وانظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣٩٤).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٦/ ٢٥٨).

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾.

قرأ ابن عباس، وابن محيصن، وحميد: «فلا تَشْمَت» بتاء مفتوحة مع فتح الميم، «الأعداءُ» بالرفع[١].

وقرأ مجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وأبو رجاء: «فلا تَشْمِتْ» بفتح التاء وكسر الميم، «الأعداءَ» بالنصب[٢]. [٢٨٥/أ]

وقرأ أبو الجوزاء، وابن أبي عبلة مثل ذلك، إلا أنهما رفعا «الأعداءُ»[٣].

ويعني بالأعداء: عبدة العجل.

﴿وَلَا تَجْعَلْنِي﴾ في موجدتك وعقوبتك لي.

﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهم عبدة العجل.

فلما تبين له عُذْرُ أخيه ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾.

---

(١) انظر: الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها؛ لأبي القاسم الهذلي (ص:٣٨٤)، ونسبها لمجاهد وأبان، إلا أنه قال: «وَحُمَيْد غير أنه كسر الميم». وكذا قال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٧)، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥١) نسبها لمالك بن دينار، وفي التحصيل؛ للمهدوي (٣/ ٩٨) نسبها لمجاهد وقال: «وعنه أيضًا: فتح التاء والميم، والنصب، وعن ابن محيصن بخلاف: فتح التاء، وكسر الميم، ونصب ﴿ٱلْأَعْدَآءَ﴾».

(٢) انظر: المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤٥٧-٤٥٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ١٨٣).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٧).

قوله: ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها الجزية، قاله ابن عباس.

والثاني: ما أُمروا به من قتل أنفسهم، قاله الزَّجَّاج[١].

فعلى الأول يكون ما أُضيف إليهم من الجزية في حق أولادهم، لأن أولئك قُتلوا ولم يؤدُّوا جزية.

قال عطية: وهذه الآية فيما أصاب بني قريظة والنضير من القتل والجلاء لتولِّيهم متخذي العجل ورضاهم به[٢].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾.

قال ابن عباس: كذلك أُعاقب من اتخذ إلهًا دوني[٣].

وقال مالك بن أنس: ما من مبتدع إلَّا وهو يجد فوق رأسه ذلَّة، وقرأ هذه الآية[٤].

وقال سفيان بن عيينة: ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلَّة تغشاه، قال: وهي في كتاب الله تعالى: قالوا: وأين هي؟ قال: أو ما

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٩).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٨٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٨٠).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٨٠).

سمعتم قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ قالوا: يا [أبا][1] محمد، هذه لأصحاب العجل خاصة، قال: كلَّا، اتلوا ما بعدها: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ فهي لكل مفتر ومبتدع إلى يوم القيامة[2].

قوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها الشرك.

والثاني: الشرك وغيره من الذنوب.

﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا ﴾ يعني السيئات.

وفي قوله: ﴿وَءَامَنُوٓاْ ﴾ **قولان:**

أحدهما: آمنوا بالله وهو يُخرَّج على قول من قال: هي الشرك.

والثاني: آمنوا بأن الله تعالى يقبل التوبة.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧١) بلفظ مختصر: «قال سفيان: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾، قال: كل صاحب بدعة ذليل»، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٨).

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ يعني من السيئات.

قوله تعالَى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾ [الأعراف: ١٥٤].

قوله: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾.

وقرأ ابن عباس، وأبو عمران: «سَكَّت» بفتح السين وتشديد الكاف وبتاء بعدها، «الغضبَ» بالنصب[١].

وقرأ سعيد بن جبير، وابن يعمر، والجحدري: «سُكِّت» بضم السين وتشديد الكاف مع كسرها[٢].

وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وطلحة: «سَكَنَ» بنون[٣].

قال الزَّجَّاج: «سكت» بمعنى سكن، يقال: سكت يسكت سَكْتًا: إذا سكن، وسكت يسكت سكْتًا وسكوتًا: إذا قطع الكلام[٤].

قال: وقال بعضهم: المعنى: ولما سكت موسى عن الغضب - على القلب -، كما قالوا: أدخلت القلنسوة في رأسي.

---

(١) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٥) بلا نسبة، وفي شواذ القراءة (ص:٩٠) عن بعضهم.

(٢) قال في مختصر ابن خالويه (ص:٥١): «(ولمَّا سُكِّت) بالتشديد، حكاه أبو معاذ»، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٥) بلا نسبة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥١) نسبها لمعاوية بن قرة، وكذلك ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٥٩)، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٥) بلا نسبة

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٧٩).

والمعنى: أدخلت رأسي في القلنسوة، والأول قول أهل العربية.

قوله: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ يعني التي كان ألقاها.

وفي قوله: ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ قولان:

أحدهما: وفيما بقي منها، قاله ابن عباس.

والثاني: وفيما نُسخ فيها، قاله ابن قتيبة[١]. [٢٨٥/ ب]

قوله: ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾.

فيهم قولان:

أحدهما: أنه عام في الذين يخافون الله، وهو معنى قول ابن عباس.

والثاني: أنهم أمة محمد ﷺ خاصة، وهو معنى قول قتادة.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: ١٥٥].

قوله: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ المعنى: اختار من قومه، فحُذف «من»، تقول العرب: اخترتك القوم، أي: اخترتك من القوم.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

وأنشدوا[١] [من الطويل]:

مِنَّا الذي اخْتيرَ الرِّجَالَ سَمَاحةً وجُودًا إذا هبَّ الرِّياح الزَّعازعُ

هذا قول ابن قتيبة[٢]، والفراء[٣]، والزَّجَّاج[٤].

وفي هذا الميقات أربعة أقوال:

أحدها: أنه الميقات الذي وَقَّتَهُ الله لموسى ليأخذ التوراة، أُمر أن يأتيَ معه بسبعين، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال نوف البِكَاليُّ.

والثاني: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله تعالى لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعوا ربَّهم، فدعوا فقالوا: اللهم أعطنا ما لم تعط أحدًا قبلنا، ولا تعطيه أحدًا بعدنا، فكره الله ذلك، وأخذتهم الرجفة، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى، لأن بني إسرائيل قالوا له: إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك، فخذ معك طائفة منا ليسمعوا كلامه

---

(١) البيت للفرزدق كما في ديوانه (١/ ٤١٨)، والكتاب (١/ ٣٩)، وتفسير الطبري (١/ ٤٧٢)، والمحكم والمحيط الأعظم (٥/ ٢٥٥)، ولسان العرب (٤/ ٢٦٥)، وتاج العروس (١١/ ٢٤١)، وبدون نسبة كما في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٣٨٠)، وشرح المفصل (٨/ ٥١)، والمقتضب (٤/ ٣٣٠)، وهمع الهوامع (١/ ١٦٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٠).

فيؤمنوا فتذهب التهمة، فأوحى الله إليه أن اختر من خيارهم سبعين، ثم ارتقِ بهم على الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع بن نون، ففعل ذلك، قاله وهب بن منبه.

والرابع: أنه ميقات وَقَّتَهُ الله لموسى ليلقاه في ناس من بني إسرائيل، فيعتذر إليه من فِعْل عبدة العجل، قاله السدي.

وقال ابن السائب: كان موسى لا يأتي ربَّه إلا بإذن منه[١].

فأما ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ فهي الحركة الشديدة.

وفي سبب أخذها إياهم أربعة أقوال:

أحدها: أنه ادعاؤهم على موسى قتل هارون، قاله علي بن أبي طالب.

والثاني: اعتداؤهم في الدعاء، وقد ذكرناه في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: أنهم لم ينهَوْا عبدة العجل ولم يرضَوْا، نُقل عن ابن عباس أيضًا[٢]، وقال قتادة، وابن جريج: لم يأمروهم بالمعروف، ولم ينهَوْهم عن المنكر، ولم يزايلوهم[٣].

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ١٨٨).

(٢) ليست في (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٨٩) ونسبه لقتادة، وابن جريج، ومحمد بن كعب.

والرابع: أنهم طلبوا سماع الكلام من الله تعالى، فلما سمعوه قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥] قاله السدي، وابن إسحاق.

قوله: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾.

قال السدي: قام موسى يبكي ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارهم ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾[١].

وقال الزَّجَّاج: لو شئت أمتَّهم قبل أن تبتليهم بما أوجب عليهم الرجفة[٢].

[٢٨٦/أ] وقيل: لو شئت أهلكتهم من قبل خروجنا وإياي، فكان بنو إسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونني.

قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾.

قال المبرِّد: هذا استفهام استعطاف، أي: لا تُهلكْنا[٣].

وقال ابن الأنباري: هذا استفهام على تأويل الجحد، إذ أراد لست تفعل ذلك[٤].

---

(١) رواه الطبري (١٠/ ٤٦٨)، وابن أبي حاتم (١/ ١١٣) في تفسيرهما من رواية عمرو بن حماد، ثنا أسباط، عن السدي به.
وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٨٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٠).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٩٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٩٠).

و﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ هاهنا: عبدة العجل.

وقال الفراء: ظن موسى أنهم أُهلكوا باتخاذ أصحابهم العجل، وإنما أُهلكوا بقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣](١).

قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها الابتلاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وأبو العالية.

والثاني: العذاب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

قوله: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي: ناصرنا وحافظنا.

قوله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٥).



بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٨].

قوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾ أي: حقق لنا وأوجب.

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهي الأعمال الصالحة.

﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ المغفرة والجنة.

﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: تبنا.

قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، وقتادة، والضحاك، والسدي.

وقال ابن قتيبة: ومنه ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ كأنهم رجعوا من شيء إلى شيء[1].

وقرأ أبو وجزة السعدي: «إنا هِدنا» بكسر الهاء[2].

قال ابن الأنباري: المعنى: لا يتغيَّر، يقال: هاد يهود ويهيد[3].

قوله: ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٢) انظر: التحصيل (٣/ ١١٣)، والزاهر؛ لابن الأنباري (٢/ ٢١٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٠)، ومختصر ابن خالويه (ص:٥١) ونسبها أيضًا لمجاهد، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٦) بلا نسبة.

وأبو وجزة السعدي هو: يزيد بن عبيد المدني الشاعر، كان ثقة عالمًا، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، تُوفي سنة (١٣٠هـ). انظر: غاية النهاية في طبقات القراء (٣٨٧٨).

(٣) انظر: الزاهر (٢/ ٢١٤).



وقرأ الحسن البصري، وأبو العالية: «من أساء» بسين غير معجمة مع النصب(١).

قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

في هذا الكلام أربعة أقوال:

أحدها: أن مخرجه عام ومعناه خاص، وتأويله: ورحمتي وسعت المؤمنين من أمة محمد ﷺ، لقوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، قاله ابن عباس.

والثاني: أن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا، البرَّ والفاجر، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة، قاله الحسن، وقتادة.

فعلى هذا، معنى الرحمة في الدنيا للكافر أنه يُرزق ويُدفع عنه، كقوله في حق قارون: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

والثالث: أن الرحمة: التوبة، فهي على العموم، قاله ابن زيد.

والرابع: أن الرحمة تَسَع كل الخلق إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدِّر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الأنباري.

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥١) نسبها للحسن، وعمرو بن عبيد، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦١) نسبها للحسن، وطاووس، وعمرو بن فائد، وفي التحصيل (٣/ ١١٣) نسبها للحسن فقط، وفي المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٦١) نسبها للحسن، وعمرو بن فائد.

قال الزَّجَّاج: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ في الآخرة[1].

قال المفسرون: معنى ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾: فسأوجبها.

وفي «الذين يتقون» قولان:

أحدهما: أنهم المتقون للشرك، قاله ابن عباس.

والثاني: للمعاصي، قاله قتادة.

[٢٨٦/ب] **وفي قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ قولان:**

أحدهما: أنها زكاة الأموال، قاله الجمهور.

والثاني: أن المراد بها طاعة الله ورسوله، قاله ابن عباس، والحسن، ذهبا إلى أنها العمل بما يزكِّي النفس ويطهِّرها.

وقال ابن عباس، وقتادة: لما نزلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فنزعها الله من إبليس، فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، فقالت اليهود والنَّصارى: نحن نتَّقي، ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فنزعها الله منهم، وجعلها لهذه الأمة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٨٤) عن ابن جريج، وقتادة.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٧٩) عن أبي بكر الهذلي، وقتادة.
ونسبه الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٠) لابن عباس، وقتادة، وأبي بكر الهذلي.

وقال نَوفٌ: قال الله تعالى لموسى: أجعل لكم الأرض طهورًا ومسجدًا، وأجعل السكينة معكم في بيوتكم، وأجعلكم تقرؤون التوراة عن ظهور قلوبكم، يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير، فأخبر موسى قومه بذلك، فقالوا: لا نريد أن نصلِّيَ إلَّا في الكنائس، ولا أن تكون السكينة إلا في التابوت، ولا أن نقرأ التوراة إلا نظرًا، فقال الله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[(١)].

وهؤلاء المذكورون في قوله: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ قولان[(٢)]:

أحدهما: أنهم كل من آمن بمحمد ﷺ وتبعه، قاله ابن عباس[(٣)].

[**والثاني**: أنه محمد ﷺ، قاله السدي، وقتادة][(٤)].

وفي تسميته بالأمي قولان:

أحدهما: لأنه لا يكتب.

والثاني: لأنه من أُمِّ القرى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٨٩) من رواية ليث، عن شهر بن حوشب، عن نوف الحميري به.

(٢) ليست في (ر).

(٣) في (ر): (قال ابن عباس: هم كل من آمن بمحمد وتبعه).

(٤) ليست في (ف).



قوله: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ أي: يجدون نعته ونبوَّته.

قوله: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾.

قال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون مستأنَفًا، ويجوز أن يكون: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ﴾ أنه يأمرهم بالمعروف[1].

قال ابن عباس: المعروف: مكارم الأخلاق، وصلة الأرحام، والمنكر: عبادة الأوثان، وقطع الأرحام[2].

وقال مقاتل: المعروف: الإيمان، والمنكر: الشرك[3].

وقال غيره: المعروف: الحق، لأن العقول تعرف صحته، والمنكر: الباطل، لأن العقول تنكر صحته.

وفي ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنها الحلال، المعنى: يُحل لهم الحلال.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستطيبه.

والثالث: أنها الشحوم المحرَّمة على بني إسرائيل.

والرابع: ما كانت العرب تحرِّمه من البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٣٩٨).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٧).

وفي ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحرام، فالمعنى: ويحرِّم عليهم الحرام.

والثاني: أنها ما كانت العرب تستخبثه ولا تأكله، كالحيات، والحشرات.

والثالث: ما كانوا يستحلُّونه من الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

قوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿إِصْرَهُمْ﴾.

وقرأ ابن عامر: «آصارهم» ممدودة الألف على الجمع(١). [٢٨٧/أ]

وفي هذا الإِصر قولان:

أحدهما: أنه العهد الذي أخذ الله على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة، قاله ابن عباس.

والثاني: التشديد الذي كان عليهم من تحريم السبت، و[أكل](٢) الشحوم والعروق، وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله قتادة.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٩٣)، والمبسوط (ص:٢١٥)، والتيسير (ص:١١٣)، والتحصيل (٣/ ١١٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٣-٤٦٤)، والبحر المحيط (٥/ ١٩٥).

(٢) زيادة من (ف).

وقال مسروق: لقد كان الرجل من بني إسرائيل يذنب الذنب، فيصبح وقد كُتب على باب بيته: إن كفارته أن تنْزِع عينيك، فينْزِعهُما.

قوله: ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾.

قال الزَّجَّاج: ذِكر الأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جعلت هذا طوقًا في عنقك، وليس هناك طوق، إنما جعلت لزومه كالطوق[١].

﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾: أنه كان عليهم أن لا يُقبَل منهم في القتل دية، وأن لا يعملوا في السبت، وأن يَقْرِضُوا ما أصاب جلودهم من البول.

قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ يعني بمحمد ﷺ.

﴿وَعَزَّرُوهُ﴾.

وروى أبان: «وعَزَروه» بتخفيف الزاي[٢].

وفي المعنى قولان:

أحدهما: نصروه وأعانوه، قاله مقاتل[٣].

والثاني: عظَّموه، قاله ابن قتيبة[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨١).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٢) نسبها للجحدري، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٤) نسبها للجحدري، وسليمان التيمي، وقتادة، وعيسى، وفي المحتسب (١/ ٢٦١) نسبها للجحدري، وسليمان التيمي، وقتادة، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٦٧) بلا نسبة.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

و﴿ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾: القرآن، سماه نورًا، لأن بيانه في القلوب كبيان النور في العيون.

وفي قوله: ﴿مَعَهُۥٓ﴾ قولان:

أحدهما: أنها بمعنى «عليه».

والثاني: بمعنى أُنزل في زمانه.

قال قتادة: أما نصره، فقد سُبقتم إليه، ولكن خيركم من آمن به واتبع النور الذي أُنزل معه[1].

قوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾.

في الكلمات قولان:

أحدهما: أنها القرآن، قاله ابن عباس.

وقال قتادة: كلماته: آياته[2].

والثاني: أنها عيسى ابن مريم، قاله مجاهد، والسدي.

قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأعراف: ١٥٩].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٨٥) من رواية يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٠٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٥٨٧) من رواية يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

قوله: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: يدعون إلى الحق.

والثاني: يعملون به.

قوله: ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: وبالحق يحكمون(١).

وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أنهم من آمن بالنبي ﷺ مثل ابن سلام وأصحابه، قاله ابن السائب.

والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الماوردي(٢).

قوله تعالَى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٧٠).

أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأعراف: ١٦٠، ١٦٢].

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ يعني قوم موسى، يقول: فرَّقناهم.

﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ يعني أولاد يعقوب، وكانوا اثنى عشر ولدًا، فولد كل واحد منهم سبطًا.

قال الفراء: وإنما قال: ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ والسبط ذكَر، لأن بعده: ﴿أُمَمًا﴾ فذهب بالتأنيث إلى الأمم، ولو كان «اثني عشر» لتذكير السبط، كان جائزًا[١].

وقال الزَّجَّاج: المعنى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ[٢] ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ فرقة. ﴿أَسْبَاطًا﴾ [٢٨٧/ ب] نعت «فرقة» كأنه يقول: جعلناهم أسباطًا، وفرَّقناهم أسباطًا، فيكون ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدلًا من ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾، و﴿أُمَمًا﴾ من نعت أسباط.

والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل ليُفصل بين ولد إسماعيل وبين ولد إسحاق[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٧).

(٢) في (ف): (وفرقناهم).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨١-٣٨٢).

وقال أبو عبيدة: الأسباط: قبائل بني إسرائيل، أحدهم: سبط. ويقال: من أي سبط أنت؟ أي: من أي قبيلة وجنس؟[1].

قوله: ﴿فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ﴾.

قال ابن قتيبة: انفجرت. يقال: تبجَّس الماء، كما يقال: تفجَّر، والقصة مذكورة في «البقرة»[2].

قوله: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ بالتاء مهموزة على الجمع.

وقرأ أبو عمرو: «نغفر لكم خطاياكم» مثل: قضاياكم، ولا تاء فيها.

وقرأ نافع: «تُغفَر» بالتاء مضمومة، «خطيئاتُكم» بالهمز وضم التاء، على الجمع.

ووافقه ابن عامر في «تُغفَر» بالتاء المضمومة، لكنه قرأ: «خطيئتكم» على التَّوحيد[3].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٠).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٥-٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٤-٩٥)، والتحصيل (٣/ ١١٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٧).

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾[الأعراف: ١٦٣].

قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يعني أسباط اليهود، وهذا سؤال تقرير وتوبيخ يقرِّرهم على قديم كفرهم، ومخالفة أسلافهم الأنبياء، ويخبرهم بما لا يُعلم إلا بوحي.

وفي ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أنها أيلة[١][٢]، رواه مُرَّة عن ابن مسعود، وأبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنها مَدْيَن، رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: أنها ساحل مدين، روي عن قتادة.

والرابع: أنها طبرية، قاله الزهري.

---

(١) في (ف): (بلد).

(٢) قال في معجم البلدان (١/ ٢٩٢): «أَيْلَة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام».

والخامس: أنها قرية يقال لها: مَقْنَا[1]، بين مدين وعَيْنُونا[2]، قاله ابن زيد.

ومعنى ﴿حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه.

﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾.

قال الزَّجَّاج[3]: أي يظلمون، يقال: عدا فلان يعدو عُدْوانًا وعَداءً وعَدْوًا وعُدُوًّا: إذا ظلم، وموضع «إذ» نصب.

والمعنى: سلهم عن وقت عَدْوِهم في السبت.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾ في موضع نصب أيضًا بـ ﴿يَعْدُونَ﴾.

والمعنى: سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإتيان.

﴿شُرَّعًا﴾ أي: ظاهرة.

﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾ أي: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم بفسقهم.

ويحتمل على بعد أن يكون المعنى: وَيَوْمَ لايَسْبِتُونَ لاتَأْتِيهِمْ كذلك، أي: لا تأتيهم شُرَّعاً ويكون ﴿نَبْلُوهُم﴾ مستأنفًا.

---

(١) قال في معجم البلدان (٥/ ١٧٨): «مقنا: قرب أيلة صالحهم النبي ﷺ على ربع عروكهم، والعروك حيث يصطاد عليه، وعلى أن يعجل منهم ربع كراعهم وخلفتهم، وقال الواقدي: صالحهم على عروكهم وربع ثمارهم وكانوا يهودًا».

(٢) قال في معجم البلدان (٤/ ١٧٦): «عَيْنُ أُنا: ويروى عينونا، وقد ذكرت بعد هذا، ومن قال بهذا قال: أُنا واد بين الصَّلا ومدين وهو على الساحل، وقال السُّكري: هي قرية يطؤها طريق المصريين إذا حجُّوا، وأُنا: وادٍ».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٤).

وقرأ [الحسن، و][1] الأعمش، وأبان، والمفضل عن عاصم: «يُسبِتون» بضم الياء[2].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾.

قال المفسرون: افترق أهل القرية ثلاث فرق: فرقة صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد، وقالت للفرقة الناهية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ لاموهم على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مقلعين، فقالت الفرقة الناهية: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾. [٢٨٨/أ]

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «معذرةٌ»[3] رفعًا، أي: موعظتُنا إياهم معذرةٌ.

والمعنى أن الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذرًا إلى الله.

---

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٢) نسبها لعلي بن أبي طالب، والجعفي عن عاصم، وفي التحصيل (٣/ ١١٤) نسبها للمفضل عن عاصم وغيره، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٨) نسبها للحسن بن أبي الحسن، وعاصم بخلاف.

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٧)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، والتحصيل (٣/ ١١٥).



وقرأ حفص عن عاصم: «معذرةً» نصبًا[1]، وذلك على معنى نعتذر معذرةً.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: وجائز أن ينتفعوا بالموعظة فيتركوا المعصية.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥، ١٦٧].

قوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ يعني: تركوا ما وُعظوا به.

﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم الناهون عن المنكر.

و﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هم المعتدون في السبت.

قوله: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «بئيس» على وزن فعيل، الهمزة بين الباء والياء.

وقرأ نافع: «بِيسٍ» بكسر الباء من غير همز.

وقرأ ابن عامر كذلك، إلا أنه همز[2].

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٧)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والتحصيل (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٨)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، والتحصيل (٣/ ١١٥).

وروى خارجة عن نافع: «بَيْسٍ» بفتح الباء من غير همز، على وزن «فَعْلٍ»(١).

وروى أبو بكر عن عاصم: «بَيْأسٍ» على وزن «فَيْعَلٍ»(٢).

وقرأ ابن عباس، وأبو رزين، وأيوب: «بَيْآسٍ» على وزن «فَيْعالٍ»(٣).

وقرأ أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، ومعاذ القارئ: «بَئِسٍ» بفتح الباء وكسر الهمزة من غير ياء على وزن «تَعِس»(٤).

وقرأ الضحاك، وعكرمة: «بَيِّسٍ» بتشديد الياء مثل: «قيِّم».

وقرأ أبو العالية، وأبو مجلز: «بَئِسَ»(٥) بفتح الباء والسين وبهمزة مكسورة من غير ياء ولا ألف على وزن «فَعِلَ».

وقرأ أبو المتوكل، وأبو رجاء: «بائسٍ» بألف ومَدَّة بعد الباء وبهمزة مكسورة بوزن «فاعِلٍ»(٦).

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٦)، والحجة (٤/ ٩٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، والتحصيل (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: المصادر السابقة.

(٣) انظر: الكامل في القراءات العشر (ص:٣٨٤) ونسبها للأعمش.

(٤) انظر: المحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٦٤-٢٦٥).

(٥) ليست في (ف).

(٦) انظر هذه القراءات التي أوردها الإمام ابن الجوزي في: مختصر ابن خالويه (ص:٥٢)، والمحتسب؛ لابن جني (١/ ٢٦٤- ٢٦٧)، والتحصيل؛ للمهدوي (٣/ ١١٥- ١١٧)، وإعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٥٧٠-٥٧٣)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤٦٩- ٤٧٠)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٢٩٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٢٠٥).

قال أبو عبيدة: البئيس: الشَّديد، وأنشد[١]: [من الكامل]

حَقًّا عَلَيَّ وما تَرَى لِي فِيهُمُ أَثَرًا بَئِيسَا

وقال الزَّجَّاج: يقال: بَئس يبأس بأسًا، والعاتي: الشديد الدخول في الفساد، المتمرد الذي لا يقبل موعظة[٢].

وقال ابن جرير: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾ أي: تمردوا فيما نُهوا عنه[٣].

وقد ذكرنا في «سورة البقرة»: قصة مسخهم[٤].

وكان الحسن البصري يقول: والله ما لحوم هذه الحيتان بأعظم عند الله من دماء قوم مسلمين.

قوله: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أعلم، قاله الحسن، وابن قتيبة، وقال: هو من آذنتك بالأمر[٥].

---

(١) البيت لذي الإصبع العدواني كما نسبه إليه أبو عبيدة في مجاز القرآن (ص:٢٣١)، والطبري في تفسيره (١/ ٥٢٧)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٠٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٢٨).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٥).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٤).

وقال ابن الأنباري: «تأذن» بمعنى آذن، كما يقال: تعلَّم أن فلانًا قائم، أي: اعلم.

وقال أبو سليمان الدمشقي: أي: أعلم أنبياء بني إسرائيل.

والثاني: حتم، قاله عطاء.

والثالث: وعد، قاله قطرب.

والرابع: تألَّى، قاله الزَّجَّاج(١).

قوله: ﴿لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: على اليهود.

وقال مجاهد: على اليهود والنصارى بمعاصيهم(٢).

﴿مَن يَسُومُهُمۡ﴾ أي: يوليهم سُوءَ الْعَذابِ.

وفي المبعوث عليهم قولان:

أحدهما: أنه محمد ﷺ وأمته، قاله ابن عباس.

والثاني: العرب، كانوا يجبونهم الخراج، قاله سعيد بن جبير، قال: [٢٨٨/ب] ولم يجْبِ الخراجَ نبيٌّ قط إلا موسى، جباه ثلاث عشرة سنة، ثم أُمسك إلى النبي ﷺ(٣).

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٨٧).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٣) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٠٣) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس: قوله عز وجل: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، قال: هم اليهود بعث الله عليهم العرب يجبوا منهم الخراج فهو سوء العذاب، ولم يكن نبيٌّ جبا الخراج إلا=

وقال السدي: بعث الله عليهم العرب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم(١).

وفي ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: الجزية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: المسكنة والجزية، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: الخراج، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والرابع: أنه القتال حتى يُسلموا، أو يُعطوا الجزية.

قوله تَعَالَى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨].

قوله: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾.

قال أبو عبيدة: فرَّقناهم فِرقًا(٢).

قال ابن عباس: هم اليهود، ليس من بلد إلا وفيه منهم طائفة(٣).

=موسى ﷺ، فجباه ثلاث عشرة سنة، ثم كف عنه، وإلا النبي ﷺ.

وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٢٩٩)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٠٩) من كلام سعيد بن جبير.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٣٢) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣١).

(٣) رواه الطبري (١٠/ ٥٣٣)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٠٥) في تفسيرهما من رواية جعفر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٢٦).

وقال مقاتل: هم بنو إسرائيل[١].

وقيل: معناه: شتات أمرهم وافتراق كلمتهم.

﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهم المؤمنون بعيسى ومحمد ﷺ.

﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ وهم الكفار.

وقال ابن جرير: إنما كانوا على هذه الصفة قبل أن يبعث عيسى، وقبل ارتدادهم[٢].

قوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ أي: اختبرناهم.

﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ وهي الخير، والخصب، والعافية.

﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي الجدب، والشر، والشدائد.

فالحسنات والسيئات تحث على الطاعة، أما النعم فلطلب الازدياد منها، وخوف زوالها، والنقمُ فلكشفها، والسلامة منها.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: لكي يتوبوا.

قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٣٣).

قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ أي: من بعد الذين وصفناهم ﴿خَلۡفٌ﴾.

وقرأ الجوني، والجحدري: «خَلَفٌ» بفتح اللام[1].

قال أبو عبيدة: الخَلْفُ والخَلَفُ واحد، وقوم يجعلون المحرَّك اللام، للصالح، والمسكَّن، لغير الصالح[2].

وقال ابن قتيبة: الخَلْفُ: الرديء من الناس، ومن الكلام، يقال: هذا خَلْفٌ من القول[3].

وقال ابن الأنباري: أكثر ما تستعمل العرب الخَلْفَ، بإسكان اللام، في الرديء المذموم، وتفتح اللام في الفاضل الممدوح، وقد يوقع الخَلْفُ على الممدوح، والخلَفُ على المذموم، غير أن المختار ما ذكرناه[4].

وفي المراد بهذا الخَلْف ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم اليهود، قاله ابن عباس، وابن زيد.

والثاني: النصارى.

والثالث: أن الخَلْفَ من أُمة محمد ﷺ، والقولان عن مجاهد.

---

(١) انظر: إعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٥٧٣) قال: «يُقرأ بفتح اللام»، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٢) نسبها لبعض السلف.

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٤).

(٤) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٠٦).

فإن قيل: الخَلْفُ واحد، فكيف [قال][١]: ﴿يَأْخُذُونَ﴾ وكذلك قال في «مريم» ﴿أَضَاعُوا﴾ [مريم:٥٩]؟

فقد ذكر ابن الأنباري عنه جوابين:

أحدهما: أن الخَلْف جمع خالف، كما أن الركب جمع راكب، والشَّرْب جمع شارب.

والثاني: أن الخَلْف مصدر يكون للاثنين والجميع، والمذكر والمؤنث[٢].

قوله: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ أي: انتقل إليهم انتقال الميراث من سلف إلى [٢٨٩/أ] خلف.

فيخرج في الكتاب ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التوراة.

والثاني: الإنجيل.

والثالث: القرآن.

قوله: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: هذه الدنيا، وهو ما يعرض لهم منها.

وقيل: سمَّاه عرضًا، لقلة بقائه.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ٥٠٦).

قال ابن عباس: يأخذون ما أحبُّوا من حلال أو حرام(١).

وقيل: هو الرِّشوة في الحكم(٢).

وفي وصفه بالأدنى قولان:

أحدهما: أنه من الدُّنُوِّ.

والثاني: أنه من الدناءة.

قوله: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى: إنا لا نؤاخَذ، تمنِّيًا على الله الباطلَ.

والثاني: أنه ذنْب يغفره الله لنا، تأميلًا لرحمة الله تعالى.

وفي قوله: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ قولان:

أحدهما: أن المعنى: لا يشبعهم شيء، فهم يأخذون لغير حاجة، قاله الحسن.

والثاني: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد.

قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٣٩) قال: حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يقول: يأخذون ما أصابوا، ويتركون ما شاءوا من حلال أو حرام، ويقولون: سيغفر لنا.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٧٥).

قال ابن عباس: وكّد الله عليهم في التوراة أن لا يقولوا على الله إلا الحق، فقالوا الباطل، وهو ما أوجبوا على الله من مغفرة ذنوبهم التي لا يتوبون منها، وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار[1].

قوله: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ معطوف على ﴿وَرِثُوا﴾.

ومعنى ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾: قرءوه، فكأنه قال: خالفوا على علم.

﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: ما فيها من الثواب.

﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني.

قرأ ابن عامر، ونافع، وحفص عن عاصم: بالتاء، والباقون بالياء[2].

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف: ١٧٠].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٤٠) عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ قال: فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها.

وفي التفسير البسيط؛ للواحدي (٩/ ٤٣٤): «قال عطاء عن ابن عباس: وكّد الله في التوراة ﴿أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾، فقالوا الباطل».

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٥٦)، والحجة (٣/ ٢٩٥)، والمبسوط (ص:١٩٣)، والتيسير (ص:١٠٢).



قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: [﴿يُمَسِّكُونَ ﴾] (١) مشدَّدة. وقرءوا ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠] مخفَّفة.

وقرأهما أبو عمرو بالتشديد.

وروى أبو بكر عن عاصم أنه خففهما(٢).

ويقال: مسَّكتُ بالشيء، وتمسَّكت به، واستمسكت به، وامتسكت به.

وهذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب الذين حفظوا حدوده ولم يُحرِّفوه، منهم عبد الله بن سلام وأصحابه.

قال ابن الأنباري: وخبر «الذين»: «إنا» وما بعده، وله ضمير مقدَّر بعد «المصلحين» تأويله: والذين يمسِّكون بالكتاب إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم، ولهذه العلة وَعَدَهُم حفظَ الأجر بشرطٍ، إذ كان منهم من لم يصلح.

قال: وقال بعض النحويين: المصلحون يرجعون على الذين، وتلخيص المعنى عنده: والذين يمسِّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجرهم، فأظهرت كنايتهم بالمصلحين، كما يقال: علي لقيتُ

(١) ليست في الأصل، وهي من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٧)، والحجة (٤/ ١٠٢-١٠٣)، و(٦/ ٢٨٦)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والتيسير (ص:١١٤)، والتحصيل (٣/ ١١٧).

الكسائي، وأبو سعيد رويت عن الخدري، يراد: لقيتُهُ ورويت عنه.

قال الشاعر(١):[من الطويل] [٢٨٩/ ب]

فَيَا رَبَّ لَيْلَى أَنْتَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَنْتَ الذي في رَحْمَةِ الله أَطْمَعُ

أراد في رحمته، فأظهر ضمير الهاء.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [الأعراف: ١٧١].

قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: واذكر لهم إذ نتقنا الجبل، أي: رفعناه.

قال مجاهد: أُخرج الجبل من الأرض، ورفع فوقهم كالظُّلَّة، فقيل لهم: لتؤمنُنَّ أو ليقعنَّ عليكم(٢).

وقال قتادة: نزلوا في أصل جبل، فرُفع فوقهم، فقال: لتأخُذُنَّ أمري، أو لأرمينَّكم به(٣).

---

(١) البيت لمجنون بني عامر كما في شرح شواهد المغني (٢/ ٥٥٩)، والمقاصد النحوية (١/ ٤٩٧)، وليس في ديوانه؛ وبلا نسبة في شرح الأشموني (١/ ٦٧)؛ وشرح التصريح (١/ ١٤٠)، ومغني اللبيب (١/ ٢١٠)، وهمع الهوامع (١/ ٨٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: «رفع الجبل فوقهم كالسحابة، فقيل لهم: لتؤمننَّ أو ليقعنَّ عليكم، فآمنوا». وذكره الماوردي في النكت والعيون (١/ ١٣٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٤٩)، و(١٠/ ٥٤٤) من رواية بشر بن معاذ، عن يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة به.

قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أنه الظن المعروف.

والثاني: أنه بمعنى اليقين.

وباقي الآية مفسر في «[سورة][1] البقرة»[2].

قوله تعالَى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

روى ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَخَذَ اللهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ**» -[ونعمان قريب من عرفة، ذكره ابن قتيبة][3]- «**فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا، فَنَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالذَّرِّ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبَلًا**، وقال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾»[4].

---

(١) من (ف).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٣).

(٣) ما بين المعكوفين ليس في الأصل، وهو زيادة من (ف)، وفي (ر): (ذكر ابن قتيبة في الغريب أن نعمان قريب من عرفة).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٤٧)، وأحمد في مسنده (٢٤٥٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٢٧)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٠٢)، والحاكم في المستدرك (١/ ٨٠) (٧٥)، و(٢/ ٥٩٣) (٤٠٠٠) من رواية جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن=

ومعنى الآية: وإذ أخذ ربكم من ظهور بني آدم.

فقوله: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل من ﴿بَنِيٓ ءَادَمَ﴾.

وقيل: إنما قال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهر آدم، لأنه أخرج بعضهم من ظهور بعض، فاستغنى عن ذكر ظهر آدم؛ لأنه قد علم أنهم بنوه، وقد أُخرجوا من ظهره.

وقوله: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على التوحيد.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «ذُرِّيَّاتِهِم» على الجمع[1].

قال أبو علي: الذُّرِّية تكون جمعًا، وتكون واحدًا[2].

=سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

قال النسائي: «وكلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ».

وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٥): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».

وقد رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣) من رواية جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفًا عليه.

وقد رجَّح الحافظ ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٠١) وقفه على ابن عباس.

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٧-٢٩٨)، والحجة (٤/ ١٠٤)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والتحصيل (٣/ ١٣٣)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٧٥).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٠٥).

وفي قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أشهدهم على أنفسهم بإقرارهم، قاله مقاتل[١].

والثاني: دلَّهم بخلقه على توحيده، قاله الزَّجَّاج[٢].

والثالث: أنه أشهد بعضهم على بعض بإقرارهم بذلك، قاله ابن جرير[٣].

قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

والمعنى: وقال لهم: ألست بربكم؟ وهذا سؤال تقرير. قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا.

قال السدي: قوله: ﴿شَهِدْنَآ﴾ خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم[٤].

ويحسن الوقف على قوله: ﴿بَلَىٰ﴾؛ لأن كلام الذرية قد انقطع.

وزعم الكلبي أن الذُّرِّيَّة لَمَّا قالت: ﴿بَلَىٰ﴾، قال الله تعالى للملائكة: «اشْهَدُوا» فقالوا: ﴿شَهِدْنَآ﴾[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٤٦).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٦٢)، والثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٠٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٥١).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٥٠-٤٥١).

وروى أبو العالية عن أُبَيِّ بن كعب قال: جمعهم جميعًا، فجعلهم أزواجًا، ثم صوَّرهم، ثم استنطقهم، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ أنك إلهنا. قال: فإني أُشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأُشهد عليكم أباكم آدم ﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ﴾ لم نعلم بهذا[1].

وقال السدي: أجابته طائفة طائعين، وطائفة كارهين تقيةً[2].

قوله: ﴿أَن تَقُولُوا﴾.

قرأ أبو عمرو: «أن يقولوا»، «أو يقولوا» بالياء فيهما. [٢٩٠/أ]

وقرأ الباقون بالتاء فيهما[3].

قال أبو علي: حجة أبي عمرو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، وحجة من قرأ بالتاء، أنه قد جرى في الكلام خطاب: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[4].

ومعنى قوله: ﴿تَقُولُوا﴾: لئلَّا تقولوا، ومثله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل:١٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٥٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٣٧) من رواية أبي جَعْفَرٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ رُفَيْعٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ.

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٠٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٨)، والحجة (٤/ ١٠٧)، والمبسوط (ص:٢١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٧٦)، والتحصيل (٣/ ١٣٣).

(٤) انظر: الحجة (٤/ ١٠٧).

وفي قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ قولان:

أحدهما: أنه إشارة إلى الميثاق والإقرار.

والثاني: أنه إشارة إلى معرفة أنه الخالق.

قال المفسرون: وهذه الآية تذكير من الله تعالى بما أخذ على جميع المكلَّفين من الميثاق، واحتجاج عليهم لئلَّا يقول الكفار: إنا كنَّا عن هذا الميثاق غافلين لم نذكره، ونسيانهم لا يُسقط الاحتجاج بعد أن أخبر الله تعالى بذلك على لسان النبي ﷺ الصادق، وإذا ثبت هذا بقول الصادق، قام في النفوس مقام الذِّكر، فالاحتجاج به قائم.

قوله تَعَالَى: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٣].

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاتَّبعنا منهاجهم على جهلٍ منَّا بإلهيتك ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ في دعواهم أن معك إلهًا.

فقطع الله احتجاجهم بمثل هذا، إذ ذكَّرهم أخذ الميثاق على كل واحد منهم.

وجماعة أهل العلم على ما شرحنا من أنه استنطق الذُّرِّيَّة، وركَّب فيهم عقولًا وأفهامًا عرفوا بها ما عرض عليهم.

وقد ذكر بعضهم أن معنى أخذ الذرية: إخراجهم إلى الدنيا بعد كونهم نطفًا، ومعنى إشهادهم على أنفسهم: اضطرارهم إلى العلم بأنه خالقهم بما أظهر لهم من الآيات والبراهين.

ولما عرفوا ذلك ودعاهم كلُّ ما يرون ويشاهدون إلى التصديق، كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهِدين على أنفسهم بصحته، كما قال: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٧] يريدهم بمنزلة الشاهدين، وإن لم يقولوا: نحن كفرة، كما يقول الرجل: قد شهدتْ جوارحي بصدقك، أي: قد عرفته.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:١٨] أي: بيَّن وأعلم، وقد حكى نحو هذا القول ابن الأنباري، والأول أصح، لموافقة الآثار.

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤].

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: وكما بيَّنَّا في أخذ الميثاق والآيات، ليتدبَّرها العباد فيعملوا بموجبها.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: ولكي يرجعوا عمَّا هم عليه من الكفر إلى التوحيد.

قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قوله: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا نسق على ما قبله، والمعنى: اتل عليهم إذ أخذ ربك، ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾[١].

وفيه ستة أقوال:

أحدها: أَنَّه رجل من بني إِسرائيل يقال له: بَلْعَمُ بنُ أَبَّرَ، قاله ابن مسعود.

وقال ابن عباس: بَلْعَمُ بنُ بَاعُورَاء[٢]. [٢٩٠/ب]

وروي عنه: أنه بلعام بن باعور، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والسدي.

وروى العوفي عن ابن عباس أن بلعمًا من أهل اليمن[٣].

وروى عنه ابن أبي طلحة أنه من مدينة الجبَّارين[٤].

والثاني: أنه أُميَّة بن أبي الصلت، قاله عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وأبو روق، وزيد بن أسلم[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٤٥، ٨٥٥١، ٨٥٥٢) عن ابن عباس ﷺ.

وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٠٤)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٥٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨٥٥٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨٥٤٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٥٧٠-٥٧١)، وتفسير الثعلبي (٤/ ٣٠٦)، والبحر المحيط (٥/ ٢٢١).

وكان أمية قد قرأ الكتب، وعلم أن الله مرسِل رسولًا، ورجا أن يكون هو، فلما بعث النبي ﷺ، حسده وكفر.

والثالث: أنه أبو عامر الراهب، روى الشعبي عن ابن عباس قال: الأنصار تقول: هو الراهب الذي بُني له مسجد الشِّقاق[(١)].

وروي عن ابن المسيب نحوه[(٢)].

والرابع: أنه رجل كان في بني إسرائيل، أُعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيهن، وكانت له امرأة له منها ولد، وكانت سمجة دميمة، فقالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فدعا الله لها، فلما علمت أن ليس في بني إسرائيل مثلها، رغبت عن زوجها وأرادت غيره، فلما رغبت عنه، دعا الله أن يجعلها كلبة نَبَّاحَةً، فذهبت منه فيها دعوتان، فجاء بنوها وقالوا: ليس بنا على هذا صبر أن صارت أُمُّنا كلبةً نبَّاحة يعيِّرنا الناس بها، فادع الله أن يردَّها إلى الحال التي كانت عليها أولًا، فدعا الله، فعادت كما كانت، فذهبت فيها الدعوات الثلاث، رواه عكرمة عن ابن عباس[(٣)].

والذي روي لنا في هذا الحديث: «وكانت سَمِجة» بكسر الميم.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٤٧).

(٢) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٢٢).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٤٩) من رواية عكرمة، عن ابن عباس ﷺ.
وانظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/ ٣٠٧)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/ ٤٧٧)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٢٢١).



وقد روى سيبويه عن العرب أنهم يقولون: رجل سَمْج: بتسكين الميم، ولم يقولوا: سَمِج بكسرها.

والخامس: أنه المنافق، قاله الحسن.

والسادس: أنه كل من انسلخ من الحق بعد أن أُعطيَه من اليهود والنصارى والحنفاء، قاله عكرمة.

وفي الآيات خمسة أقوال:

أحدها: أنه اسم الله الأعظم، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال ابن جبير.

والثاني: أنها كتاب من كتب الله ﷻ.

روى عكرمة عن ابن عباس قال: هو بلعام، أوتي كتابًا فانسلخ منه[1].

والثالث: أنه أوتي نبوَّة، فَرَشاهُ قومه على أن يسكت، ففعل، وتركهم على ما هم عليه، قاله مجاهد، وفيه بُعدٌ، لأن الله تعالى لا يصطفي[2] لرسالته إلا معصومًا عن مثل هذه الحال.

والرابع: أنها حُجج التوحيد، وفهم أدلَّته.

والخامس: أنها العلم بكتب الله ﷻ.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٧٣، ٥٨٤) من رواية عكرمة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٢) في الأصل: (لا يعطي)، والمثبت من (ف)، و(ر).

والمشهور في التفسير أنه بلعام، وكان من أمره على ما ذكره المفسرون أن موسى عليه السلام غزا البلد الذي هو فيه، وكانوا كفارًا، وكان هو مجاب الدعوة، فقال ملكهم: ادع على موسى، فقال: إنه من أهل [٢٩١/أ] ديني، ولا ينبغي لي أن أدعوَ عليه، فأمر الملك أن تنحت خشبة لصَلبه، فلما رأى ذلك، خرج على أتان ليدعوَ على موسى، فلما عاين عسكرهم، وقفت الأتان فضربها، فقالت: لم تضربني، وهذه نار تتوقَّد قد منعتني أن أمشي؟ فارجع، فرجع إلى الملك فأخبره، فقال: إما أن تدعو عليهم، وإما أن أصلبك، فدعا على موسى باسم الله الأعظم أن لا يدخل المدينة، فاستجاب الله له، فوقع موسى وقومه في التيه بدعائه، فقال موسى: يا ربِّ، بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال: بدعاء بلعم. فقال موسى: يا رب، فكما سمعت دعاءه عليَّ، فاسمع دعائي عليه، فدعا اللهَ أن ينزع منه الاسم الأعظم، فنزع منه.

وقيل: إنه أمر قومه أن يزيِّنوا النساء ويرسلوهنَّ في العسكر ليَفشو الزنا فيهم، فيُنصروا عليهم.

وقيل: إن موسى عليه السلام قتله بعد ذلك.

وروى السدي عن أشياخه أن بلعم أتى إلى قومه متبرِّعًا، فقال: لا ترهبوا بني إسرائيل، فإنكم إذا خرجتم لقتالهم، دعوتُ عليهم فهلكوا، فكان فيما شاء عندهم من الدنيا، وذلك بعد مضي الأربعين سنة التي تاهوا فيها، وكان نبيهم يوشع، لا موسى(١).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٧٢، ٥٨١) من رواية أسباط عن السدي به.



قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ أي: خرج من العلم بها.

قوله: ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾.

قال ابن قتيبة: أدركه. يقال: اتَّبعتُ القوم: إذا لحقتُهم، وتبعتُهم: سرتُ في أثرهم[١].

وقرأ طلحة بن مصرِّف: «فاتَّبعه» بالتشديد[٢].

وقال اليزيدي: أتْبعه واتَّبعه: لغتان. وكأن «أتبعه» خفيفة بمعنى: قفاه، و«اتَّبعه» مشددة: حذا حذوه. ولا يجوز أن تقول: أتبعناك، وأنت تريد: اتَّبعناك، لأن معناها: اقتدينا بك[٣].

وقال الزَّجَّاج: يقال: تبع الرجل الشيء واتَّبعه بمعنى واحد، قال الله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾ [البقرة:٣٨] وقال: ﴿فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ﴾ [يونس: ٩٠].

قوله: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٤).

(٢) انظر: الكامل في القراءات العشر؛ للهذلي (ص:٣٨٤) ونسبها للحسن، وقَتَادَة، وطَلْحَة، والزَّعْفَرَانِي، وأيوب، وأبان وهارون عن أَبِي عَمْرٍو، وفي التحصيل؛ للمهدوي (٣/ ١٣٤) عزاها للحسن، وقتادة، وغيرهما، ورواها حسين عن أبي عمرو، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٧٧): «وقرأ الحسن فيما روى عنه هارون «فاتَّبعه» بصلة الألف وشد التاء، وكذلك طلحة بن مصرف بخلاف».

(٣) انظر: الغريبين في القرآن والحديث؛ لأبي عبيد الهروي (١/ ٢٤٧)، ومشارق الأنوار على صحاح الآثار؛ للقاضي عياض (١/ ١١٨).

فيه قولان:

أحدهما: من الضالين، قاله مقاتل[(١)].

والثاني: من الهالكين الفاسدين، قاله الزَّجّاج[(٢)].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

قوله: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا ﴾.

في هاء الكناية في «رفعناه» قولان:

أحدهما: أنها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور. فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علَّمناه.

والثاني: أنها تعود إلى الكفر بالآيات، فيكون المعنى: لو شئنا لرفعنا عنه الكفر بآياتنا، وهذا المعنى مروي عن مجاهد.

وقال الزَّجّاج: لو شئنا لحُلْنا بينه وبين المعصية[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١).

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ركن إلى الدنيا وسكن.

قال الزَّجَّاج: يقال: أخلد وخلد، والأول أكثر في اللغة(١).

[٢٩١/ب] والأرض هاهنا عبارة عن الدنيا، لأن الدنيا هي الأرض بما عليها.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنه رَكَن إلى أهل الدنيا، ويقال: إنه أرضى امرأته بذلك؛ لأنها حملته عليه.

وقيل: أرضى بني عمِّه وقومَه.

والثاني: أنه ركن إلى شهوات الدنيا، وقد بُيِّن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، والمعنى أنه انقاد لما دعاه إليه الهوى.

قال ابن زيد: كان هواه مع قومه(٢).

وهذه الآية من أشد الآيات على أهل العلم إذا مالوا عن العلم إلى الهوى.

قوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾.

معناه: أن هذا الكافر، إن زجرتَه لم ينزجر، وإن تركتَه لم يهتد، فالحالتان عنده سواء كحالتي الكلب، فإنه إن طُرد وحُمل عليه بالطرد كان لاهثًا، وإن تُرك وربض، كان أيضًا لاهثًا.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩١).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٢٠) عن ابن زيد به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٦٨).

والتشبيه بالكلب اللاهث خاصة، فالمعنى: فمثله كمثل الكلب لاهثًا، وإنما شبَّهه بالكلب اللاهث، لأنه أخسُّ الأمثال على أخس الحالات وأبشعها.

وقال ابن قتيبة: كل لاهث إنما يلهث من إعياء أو عطش، إلا الكلب، فإنه يلهث في حال راحته وحال كلاله، فضربه الله مثلًا لمن كذَّب بآياته، فقال: إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال[1]، كالكلب إن طردته وزجرته فسعى لهث، أو تركته على حاله رابضًا لهث[2].

قال المفسرون: زُجِرَ في منامه عن الدعاء على بني إسرائيل فلم ينزجر، وخاطبتْه أتانه فلم ينته، فضُرب له هذا المثل ولسائر الكفَّار، فذلك قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾؛ لأن الكافر إن وعظته فهو ضال، وإن تركتَه فهو ضال، وهو مع إرسال الرسل إليه كمن لم يأته رسول ولا بيِّنة.

قوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾.

قال عطاء: قَصَصَ الذين كفروا وكذَّبوا أنبياءهم[3].

قوله تعالى: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: ١٧٧، ١٧٨].

---

(١) قوله: (وإن لم تعظه فهو ضال)، ليس في (ف).

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٢١٦).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٧٢).

قوله: ﴿سَآءَ مَثَلًا﴾.

يقال: ساء الشيء يسوء: إذا قَبُح، والمعنى: ساء مثلًا مثل القوم، فحُذِف المضاف، فنُصب «مثلًا» على التمييز.

قوله: ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ أي: يضُرُّون بالمعصية.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قوله: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ أي: خلقنا.

قال ابن قتيبة: ومنه ذرية الرجل، إنما هي الخلق منه، ولكن همزها يتركه أكثر العرب[1].

قوله: ﴿لِجَهَنَّمَ﴾ هذه اللام يسميها بعض أهل المعاني لام العاقبة، كقوله: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨].

ومثله قول الشاعر[2]: [من البسيط]

أمْوالُنَا لِذَوِي المِيْرَاثِ نَجْمَعُهَا ... وَدُوْرُنَا لِخَرَابِ الدَّهْرِ نَبْنِيْهَا

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعزِّيه بموت ابنه.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٥).

(٢) البيت لسابق البربري في كتاب اللامات؛ للزجاجي (ص:١٢٠)، وبلا نسبة في لسان العرب (١٢/ ٥٦٢) مادة (لوم)، وتاج العروس (٣٣/ ٤٥١).

فقال[1]: [من الطويل]

تَعَـزَّ أَمِـيْرَ الْمُؤْمِنِـينَ فإِنَّـهُ لِمَا قَـدْ تَـرَى يُغْـذَى الصَّغِـيْرُ ويُوْلَـدُ

وقـد أخـبر الله ﷻ في هـذه الآيـة بنفـاذ عِلمـه فيهـم أنهـم يصـيرون إليهـا بسـبب كفرهـم.

قوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾.

لَّمـا أعـرض القـوم عـن الحـق والتفكـر فيـه، كانـوا بمنزلـة مـن لم يفقـه ولم [٢٩٢/أ] يُبـصر ولم يسـمع.

وقـال محمـد بـن القاسـم النحـوي: أراد بهـذا كلـه أمـر الآخـرة، فإنهـم يعقلـون أمـر الدنيـا.

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ شبَّههم بالأنعام لأنها تسمع وتبصر ولا تعتبر.

ثـم قـال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن الأنعـام تبـصر منافعهـا ومضارهـا، فتلـزم بعـض مـا تبـصره، وهـؤلاء يعلـم أكثرهـم أنـه معانـد فيُقـدِم عـلى النـار.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عن أمر الآخرة.

قولـه تعـالَى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعـراف: ١٨٠].

---

(١) البيـت بـلا نسـبة في عيـون الأخبـار؛ لابـن قتيبـة (٣/ ٦٢)، والتعـازي؛ للمـبرد (ص:٧٨)، والكامـل في اللغـة والأدب (٤/ ١٦).



قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

سبب نزولها:

أن رجلًا دعا الله في صلاته، ودعا الرحمنَ، فقال أبو جهل: أليس يزعم محمد وأصحابه أنهم يعبدون ربًّا واحدًا، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فأنزل الله هذه الآية، قاله مقاتل[1].

فأما ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فهي تأنيث الأحسن.

ومعنى الآية أن أسماء الله حسنى، وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن.

وذكر الماوردي أن المراد بذلك ما مالت إليه النفوس من ذكره بالعفو والرحمة دون السخط والنِّقمة[2].

وقوله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي: نادوه بها، كقوله: يا الله، يا رحمن.

قوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء، وكذلك في «النحل» و«السجدة»[3].

وقرأ حمزة: «يَلحَدون» بفتح الحاء والياء فيهن، ووافقه الكسائي، وخلف في «النحل»[4].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٨٢).

(٣) يعني سورة فصلت آية ٤٠.

(٤) انظر: السبعة (ص:٢٩٨، ٣٧٥)، والحجة (٤/ ١٠٧-١٠٨)، و(٥/ ٧٨)، والمبسوط (ص:٢١٦، ٢١٧، ٢٦٥)، والتيسير (ص:١١٤، ١٣٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨١)، والتحصيل (٣/ ١٣٤).

قال الأخفش: أَلْحَد ولَحَدَ: لغتان فمن قرأ بهما أراد الأخذ باللغتين، فكأن الإلحاد: العدول عن الاستقامة.

وقال ابن قتيبة: يجورون عن الحق ويعدلون، ومنه لَحْدُ القبر، لأنه في جانب(١).

قال الزَّجَّاج: ولا ينبغي لأحد أن يدعوه بما لم يسمِّ [به](٢) نفسه، فيقول: يا جواد، ولا يقول: يا سخي، ويقول: يا قوي، ولا يقول: يا جلْد، ويقول: يا رحيم، ولا يقول: يا رقيق، لأنه لم يصف نفسه بذلك(٣).

قال أبو سليمان(٤) الخطابي: ودليل هذه الآية أن الغلط في أسمائه والزيغ عنها إلحادٌ، ومما يُسمع على ألسنة العامة قولهم: يا سبحانُ، يا برهانُ، وهذا مهجور مستهجن لا قدوة فيه، وربما قال بعضهم: يا رب طه ويس(٥).

وقد أنكر ابن عباس على رجل قال: يا رب القرآن(٦).

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٥).

(٢) زيادة من (ف)، و(ر).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٢).

(٤) قوله: (أبو سليمان)، ليس في (ف).

(٥) انظر: شأن الدعاء (ص:١٧).

(٦) قال الخطابي في شأن الدعاء (ص:١٧): «وأولُ من أنْكَرَ ذلك ابنُ عباسٍ ﷺ فإنهُ سَمِعَ رَجُلاً، يقولُ عنْدَ الكَعْبَةِ: يا ربَّ القرآن. فقال: مَهْ! إنَّ القرآنَ لا رَبَّ لَهُ، إن كُل مربوبٍ مخلوقٌ».



وروي عن ابن عباس أن إلحادهم في أسمائه أنهم سمَّوا بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزَّى من العزيز، ومناة من المنَّان[1].

فَصْلٌ

والجمهور على أن هذه الآية محكمة، لأنها خارجة مخرج التَّهديد، كقوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر:١١].

وقد ذهب بعضهم إلى أنها منسوخة بآية القتال، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ يقتضي الإعراض عن الكفار، وهذا [٢٩٢/ ب] قول ابن زيد.

قوله تعالَى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨١].

قوله: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: يعملون به.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ أي: وبالعمل به يعدلون.

وفيمن أُريد بهذه الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان من هذه الأمة، قاله ابن عباس.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٥٨٤) عن ابن عباس رضي الله عنه به. وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٢).

وكان ابن جريج يقول: ذُكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هَـٰذِهِ أُمَّتِي، بِالْحَقِّ يَأْخُذُونَ وَيُعْطُونَ وَيَقْضُونَ»(١).

وقال قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ كان إذا تلا هذه الآية قال: «هَـٰذِهِ لَكُمْ وَقَدْ أُعْطِيَ الْقَوْمُ مِثْلَهَا» ثم يقرأ: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾»(٢).

والثاني: أنهم من جميع الخلق، قاله ابن السائب.

والثالث: أنهم الأنبياء.

والرابع: أنهم العلماء، ذكر القولين الماوردي(٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾.

قال أبو صالح عن ابن عباس: هم أهل مكة(٤).

وقال مقاتل: نزلت في المستهزئين من قريش(٥).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٠) عن ابن جريج مرسلاً به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٠) عن قتادة مرسلاً به.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٨٣).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٤) وعزاه للكلبي.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٧).

قوله: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾.

قال الخليل بن أحمد: سنطوي أعمارهم في اغترار منهم[١].

وقال أبو عبيدة: الاستدراج: أن يُتدرج إلى الشيء في خُفية قليلًا قليلًا ولا يُهجم عليه، وأصله من الدَّرَجة، وذلك أن الراقي والنازل يرقى وينزل مَرقاة مرقاة، ومنه: دَرَجَ الكتاب: إذا طواه شيئًا بعد شيء، ودرج القوم: إذا ماتوا بعضُهم في إثر بعض[٢].

وقال اليزيدي: الاستدراج: أن يأتيه من حيث لا يعلم[٣].

وقال ابن قتيبة: هو أن يذيقهم من بأسه قليلًا قليلًا من حيث لا يعلمون، ولا يباغتهم به ولا يجاهرهم[٤].

وقال الأزهري: سنأخذهم قليلًا قليلًا من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النَّعيم ما يغتبطون به ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرَّتهم أغفل ما يكونون[٥].

قال الضحاك: كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة[٦].

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٣٣).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٣).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٣١٢).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:٤٨١).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٤١).

(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٢)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٦).

وفي قوله: ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: من حيث لا يعلمون بالاستدراج.

والثاني: بالهلكة.

قوله: ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾ الإملاء: الإمهال والتأخير.

قوله: ﴿إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ﴾.

قال ابن عباس: إن مَكري شديد[١].

وقال ابن فارس: الكيد: المكر، فكل شيء عالجته فأنت تَكيدُه[٢].

قال المفسرون: مكر الله وكيده: مجازاة أهل المكر والكيد.

على نحو ما بيَّنا في «[سورة][٣] البقرة»، و«آل عمران» من ذِكر الاستهزاء والخداع والمكر[٤].

قوله تعالَى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ١٨٤ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ١٨٥ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعراف: ١٨٤، ١٨٦].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٤٨٧)، والتفسير الوسيط (٢/ ٤٣٢).

(٢) انظر: مجمل اللغة (١/ ٧٧٤).

(٣) زيادة من (ف).

(٤) انظر: سورة البقرة الآية رقم (٩، ١٥، ١٤)، وسورة آل عمران الآية رقم (٥٤).

قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾.

سبب نزولها:

أن رسول الله ﷺ علا على الصفا ليلة، ودعا قريشًا فخذًا فخذًا: يا بني فلان، فحذَّرهم بأس الله وعقابه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون، بات يصوِّت حتى الصباح، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، وقتادة[1].

[٢٩٣/أ] ومعنى الآية: أو لم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جِنة، أي: جنون، فحثَّهم على التفكر في أمره ليعلموا أنه بريء من الجنون، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هو ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أي: مخوِّف ﴿مُّبِينٌ﴾ يبيِّن طريق الهدى.

ثم حثهم على النظر المؤدي إلى العلم فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ليستدلوا على أن لها صانعًا مدبرًا.

وقد سبق بيان الملكوت في «سورة الأنعام»[2].

قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾.

وقرأ ابن مسعود، وأبيٌّ، والجحدري: «آجالهم»[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٢) من رواية سعيد، عن قتادة قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان على الصفا، فدعا قريشًا، فجعل يفخذهم فخذًا فخذًا: يا بني فلان، يا بني فلان، فحذرهم بأس الله، ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوِّت إلى الصباح، أو حتى أصبح.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية (٧٥).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣) نسبها لأبي معين المكي، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٦) بلا نسبة.

ومعنى الآية: أولم ينظروا في الملكوت وفيما خلق [الله][1] من الأشياء كلِّها، وفي أنْ عسى أن تكون آجالهم قد قربت فيهلِكوا على الكفر، ويصيروا إلى النار.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني القرآن، وما فيه من البيان.

ثم ذكر سبب إعراضهم عن الإيمان، فقال: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: «ونذرهم» بالنون والرفع.

وقرأ أبو عمرو بالياء وبالرفع.

وقرأ حمزة والكسائيّ: «ويذرْهُم» بالياء مع الجزم خفيفة[2].

فمن قرأ بالرفع استأنف، ومن جزم «ويذرْهم» عطفَ على موضع الفاء.

قال سيبويه: وموضعها جزْم، فالمعنى: من يضلل الله يَذَرْه[3].

وقد سبق في «سورة البقرة» معنى الطُّغيان والعَمَه[4].

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٨-٢٩٩)، والحجة (٤/ ١٠٩-١١٠)، والمبسوط (ص:٢١٧)، والتيسير (ص:١١٥)، والتحصيل (٣/ ١٣٤).

(٣) انظر: الكتاب (٣/ ٩٠).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥).



قولـه تعَـالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعـراف: ١٨٧].

قوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن قومًا من اليهود قالوا: يا محمد، أخبرنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس(١).

والثاني: أن قريشًا قالت: يا محمد، إن بيننا وبينك قرابة، فبيِّن لنا متى الساعة؟ فنزلت هذه الآية، قاله قتادة(٢).

وقال عروة: الذي سأله عن الساعة عتبة بن ربيعة.

والمراد بالسَّاعة هاهنا التي يموت فيها الخلق.

قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٨).

وروى الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٠٤) من رواية سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال حمل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله ﷺ: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًّا كما تقول، فإنا نعلم متى هي، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [الأعراف: ١٨٧] إلى قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٨).

قال أبو عبيدة: أي: متى مُرساها؟ أي: منتهاها. ومرسى السفينة: حيث تنتهي[١].

وقال ابن قتيبة: «أيَّان» بمعنى: متى، و«متى» بمعنى: أيَّ حين، ونرى أن أصلها: أيَّ أوانٍ، فحذفت الهمزة، وجعل الحرفان واحدًا، ومعنى الآية: متى ثبوتها؟ يقال: رسا في الأرض، أي: ثبت، ومنه قيل للجبال: رواسي[٢].

قال الزَّجَّاج: ومعنى الكلام: متى وقوعها؟[٣].

قوله: ﴿قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: قد استأثر بعلمها.

﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾ أي: لا يظهرها في وقتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾.

قوله: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: ثِقَل وقوعها على أهل السماوات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكلَّ يخافونها، محسنهم ومسيئهم.

والثاني: عظُم شأنها في السماوات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج.

والثالث: خفي أمرها، فلم يُعلم متى كونها، قاله السدي. [٢٩٣/ ب]

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٣٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ١٧٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٣).

والرابع: أن «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثقلت على السماوات والأرض، قاله قتادة.

قوله: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ أي: فجأة.

قوله: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه من المقدَّم والمؤخَّر، فتقديره: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ، أي: برٌّ بهم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧].

قال العوفي عن ابن عباس[١]، وأسباط عن السدي[٢]: كأنك صديق لهم.

والثاني: كأنك حفيٌّ بسؤالهم، مجيب لهم.

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: كأنك يعجبك سؤالهم[٣].

وقال خُصَيف عن مجاهد: كأنَّك تحبُّ أن يسألوك عنها[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٧) عن ابن عباس ﷺ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٢) عن أسباط، عن السدي به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٦) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٩) عن خُصَيْفٍ عَنْ مُجَاهِدٍ به.

وقال الزَّجَّاج: كأنك فَرِح بسؤالهم[١].

والثالث: كأنك عالم بها، قاله الضحاك عن ابن عباس[٢]، وهو قول ابن زيد[٣]، والفراء[٤].

والرابع: كأنك استحفيت السؤال عنها حتى علمتها، قاله ابن أبي نجيح عن مجاهد.

وقال عكرمة: كأنَّك مسؤول عنها[٥].

وقال ابن قتيبة: كأنك معنيٌّ بطلب علمها[٦].

وقال ابن الأنباري: فيه تقديم وتأخير، تقديره: يسألونك عنها كأنك حفيٌّ بها، والحفيُّ في كلام العرب: المعنيُّ.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي: لا يعلمها إلا هو.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال مقاتل في آخرين: المراد بالنَّاس هاهنا أهل مكَّة[٧].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦١٥).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦١٤).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٩٩).

(٥) في تفسير ابن أبي حاتم (٨٦٢٠) عَنْ سِمَاكٍ عَنْ عِكْرِمَةَ في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ قَالَ: قَدْ أَتَيْنَا مِنْكَ وَبَحَثْنَا عَلَيْكَ.

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٥).

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٨).

وفي قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ قولان:

أحدهما: لا يعلمون أنها كائنة، قاله مقاتل(١).

والثاني: لا يعلمون أن هذا مما استأثر الله بعلمه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨٨].

قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾.

سبب نزولها.

أن أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري فتربح، وبالأرض التي تريد أن تُجدب، فترتحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فنزلت هذه الآية، روي عن ابن عباس(٢).

وفي المراد بالنفع والضر قولان:

أحدهما: أنه عامٌّ في جميع ما ينفع ويضر، قاله الجمهور.

والثاني: أن النفع: الهدى، والضَّر: الضلالة، قاله ابن جريج.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٧٨).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٣-٣١٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٢٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥٠٧)، وفي أسباب النزول (ص:٢٢٨) وعزاه للكلبي.

قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي، ومن هو على هذه الصفة فكيف يعلم علم الساعة؟.

قوله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: لو كنت أعلم بجدب الأرض وقحط المطر قبل كون ذلك لهيَّأت لسنة الجدب ما يكفيها، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: لو كنت أعلم ما أربح فيه إذا اشتريته لاستكثرت من الخير، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: لو كنت أعلم متى أموت؛ لاستكثرت من العمل الصالح، قاله مجاهد.

والرابع: لو كنت أعلم ما أسأل عنه من الغيب لأَجبت عنه.

﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾ أي: لم يلحقني تكذيب، قاله الزَّجَّاج[١].

فأما «الغيب» فهو كل ما غاب عنك. [٢٩٤/أ]

ويخرج في المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه العمل الصالح.

والثاني: المال.

والثالث: الرزق.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٤).



قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه الفقر، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه كل ما يسوء، قاله ابن زيد.

والثالث: الجنون، قاله الحسن.

والرابع: التكذيب، قاله الزَّجَّاج(١).

فعلى قول الحسن، يكون هذا الكلام مبتدأ، والمعنى: وما بي من جنون إنما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلِّقًا بما قبله.

قوله تعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩١].

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني بالنفس: آدم، وبزوجها: حواء.

ومعنى ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليأنس بها ويأتي إليها.

﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي: جامعها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٤).

قال الزَّجَّاج: وهذا أحسن كناية عن الجماع[١].

والحَمل، بفتح الحاء: ما كان في بطن، أو أخرجتْه شجرة، والحِمل، بكسر الحاء: ما يُحمل.

والمراد بالحمل الخفيف: الماء.

قوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ أي: استمرَّت به، قعدت وقامت ولم يُثقلها.

وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وابن عباس، والضحاك: «فاستمرت به»[٢].

وقرأ أُبَيُّ بن كعب، والجَوني: «فاستمارَّت به» بزيادة ألف[٣].

وقرأ عبد الله بن عمرو، والجحدري: «فمارَّت به» بألف وتشديد الراء[٤].

وقرأ أبو العالية، وأيوب، ويحيى بن يعمر: «فَمَرَتْ به» خفيفة

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣)، وفي المحتسب (١/ ٢٧٠)، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٨) ثلاثتهم نسبوها لابن عباس، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٩) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٤٦) نسبها لسعد بن أبي وقاص، وابن عباس، والضحاك.

(٣) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٩) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٤٦) نسبها لأبي بن كعب، والجرمي.

(٤) في المحتسب (١/ ٢٧٠)، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٦٨) كلاهما نسبها لعبد الله بن عمرو بن العاص، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٤٦) نسبها لعبد الله بن عمرو بن العاص، والجحدري، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٧٨) بلا نسبة، وفي التحصيل (٣/ ١٤٧) نسبها لعبد الله بن عمرو، لكن قال: «بألفٍ والتخفيف».



الـراء[1]، أي: شـكَّت وتمـارت أحملـت، أم لا؟.

﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ أي: صار حملها ثقيلًا.

وقال الأخفش: صارت ذا ثقل، يقال: أثمرنا، أي: صرنا ذوي ثمر[2].

قوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ يعني آدم وحواء ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا﴾.

وفي المراد بالصالح قولان:

أحدهما: أنه الإنسان المشابه لهما، وخافا أن يكون بهيمة، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أنه الغلام، قاله الحسن، وقتادة.

شرح السبب في دعائهما

ذكـر أهـل التفسـير أن إبليـس جـاء حـواء، فقـال: مـا يدريـك مـا في بطنـكِ، لعلـه كلـب أو خنزيـر أو حمـار؟ ومـا يدريـك مـن أيـن يخـرج، أيشـق بطنـك، أم يخـرج مـن فيـك، أو مـن منخريـك؟ فأحزنهـا ذلـك، فدعـوا الله حينئـذ، فجـاء إبليـس فقـال: كيـف تجدينـك؟ قالـت: مـا أسـتطيع القيـام إذا قعـدت، قـال: أفرأيـت إن دعـوت الله، فجعلـه إنسـانًا مثلـك ومثـل آدم، أتسـمينه باسـمي؟ قالـت: نعـم. فلـما ولدتـه سـويًّا، جاءهـا إبليـس فقـال: لم لا تُسـمِّينه بي كـما وعدتنـي، فقالـت: ومـا اسـمك؟ قـال: الحـارث، وكان

---

(١) في المحـرر الوجيـز (٢/ ٤٦٨) نسـبها ليحيـى بـن يعمـر، وابـن عبـاس، وفي التحصيـل (٣/ ١٤٧)، ومختـصر ابـن خالويـه (ص:٥٣) كلاهمـا نسـبها ليحيـى بـن يعمـر ، وفي إعـراب القـراءات الشـواذ (١/ ٥٧٩) بـلا نسـبة، وفي البحـر المحيـط (٥/ ٢٤٦) نسـبها لابـن عبـاس، وأبي العاليـة، ويحيـى بـن يعمـر، وأيـوب.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٣).

اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته: عبد الحارث، وقيل: عبد شمس برضى آدم، فذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾[1].

قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿شُرَكَآءَ﴾ بضم الشين والمدِّ، جمع شريك.

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «شِركًا» مكسورة الشين على المصدر، لا على الجمع[2].

قال أبو علي: من قرأ «شِرْكًا» حذف المضاف، كأنه أراد: جعلا له ذا شِرك، وذوي شريك، فيكون المعنى: جعلا لغيره شِركًا، لأنه إذا كان التقدير: جَعلا له ذوي شرك، فالمعنى: جعلا لغيره شركًا، وهذه القراءة في المعنى كقراءة من قرأ «شركاء»[3].

وقال غيره: معنى «شركاء»: شريكًا، فأوقع الجمع موقع الواحد، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣].

والمراد بالشريك: إبليس، لأنهما أطاعاه في الاسم، فكان الشرك في الطاعة، لا في العبادة، ولم يقصدا أن الحارثَ ربُّهما، لكن قصدا أنه سبب

---

(١) هذه القصة يظهر عليها أنها من آثار أهل الكتاب، وقد أعلّها أهل الحديث، رغم ورودها فى كتب الحديث،وفي السند أسباط عن السدي، وعليهما تدور الروايات، وأسباط لم يتفقوا عليه، راجع تفسير: ابن كثير (٢/ ٢٧٥)، والإسرائيليات والموضوعات للشيخ أبى شهبة (ص: ١٧٩).

(٢) انظر: السبعة (ص:٢٩٩)، والحجة (٤/ ١١١)، والمبسوط (ص:٢١٧)، والتحصيل (٣/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٧).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ١١١).

نجاة ولدهما، وقد يُطلَق العبد على من ليس بمملوك.

قال الشاعر(١): [من الطويل]

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وما فيَّ إلا تِلْكَ مَنْ شِيْمَةِ العَبْدِ

[٢٩٤/ب] وقال مجاهد: كان لا يعيش لآدم ولد، فقال الشيطان: إذا وُلد لكما ولد فسمياه عبد الحارث، فأطاعاه في الاسم، فذلك قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾(٢)، هذا قول الجمهور.

وفيه قول ثان، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما أشرك آدم، إن أول الآية لَشكر، وآخرها مَثَل ضربه الله لمن يعبده في قوله ﷻ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾(٣).

وروى قتادة عن الحسن قال: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوَّدوهم ونصَّروهم(٤).

(١) البيت منسوب لقيس بن عاصم المنقري في الكامل في اللغة والأدب؛ للمبرد (٢/ ١٣٣)، وقواعد الشعر؛ لثعلب (ص:٤٤)، والجليس الصالح الكافي (ص:٦٠)، ومنسوب للمقنع الكندي في شرح ديوان الحماسة (ص:٨٢٩)، ومحاضرات الأدباء (١/ ٧٥١)، والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٤) بلفظ:

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما شيمة لي غيرها تشبه العبدا

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٢٦) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.
وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٥٢) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦) أيضًا لابن المنذر.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٥٩) من رواية قتادة عن الحسن به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٦٢٦) أيضًا لعبد بن حميد، وابن المنذر.=

وروي عن الحسن[(١)]، وقتادة قالا[(٢)]: الضمير في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ عائد إلى النفس وزوجه من ولد آدم، لا إلى آدم وحواء.

وقيل: الضمير راجع إلى الولد الصالح، وهو السليم الخلْق، فالمعنى: جعل له ذلك الولدُ شركاء.

وإنما قال: «جعلا»؛ لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكرًا وأُنثى.

قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء، فتأويل الآية: فلما آتاهما صالحًا، جعل أولادُهما له شركاء، فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف:٨٢].

وذهب السدي إلى أن قوله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في مشركي العرب خاصة، وأنها مفصولة عن قصة آدم وحواء[(٣)].

=وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥٢٠).

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٢٩) عن معمر، قال. قال الحسن: «عنى بهذا ذرية آدم، من أشرك منهم بعده». وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣١٦)، والواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥١٩-٥٢٠). وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٧٦) بعد أن أورد هذا الأثر والذي قبله عن الحسن، قال: «وَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ عَنِ الحسن ﷺأَنَّهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ».

(٢) الوارد عن قتادة في تفسير هذه الآية: ما رواه الطبري (١٠/ ٦٢٦)، وابن أبي حاتم (٨٦٥٩) في تفسيرهما عَنْ قَتَادَةَ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ فَكَانَ شِرْكًا فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ شِرْكًا فِي عِبَادَتِهِ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٦١) عن السدي= =قَالَ: هَذِهِ فَصْلٌ مِنْ آيَةِ آدَمَ، خَاصَّةً فِي آلِهَةِ الْعَرَبِ.



قوله تَعَالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾ [الأعراف: ١٩١].

قوله: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾.

قال ابن زيد: هذه لآدم وحواء حيث سمَّيا ولدهما عبد شمس، والشمس لا تخلق شيئًا[1].

وقال غيره: هذا راجع إلى الكفار حيث أشركوا بالله الأصنام، وهي لا تخلق شيئًا.

وقوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ أي: وهي مخلوقة.

قال ابن الأنباري: وإنما قال: «ما» ثم قال: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ لأن «ما» تقع على الواحد والاثنين والجميع، وإنما قال: «وهم» وهو يعني الأصنام، لأن عابديها ادَّعوا أنها تعقل وتميِّز، فأجريت مجرى الناس، فهو كقوله تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ [النمل:١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠].

قال الشاعر[2]: [من الطويل]

تمَزَّزْتُها والدِّيكُ يَدْعُو صَباحَهُ ... إذَا مَا بَنُو نَعْشٍ دنَوْا فتصوَّبُوا

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٦٤) عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ به.

(٢) البيت للنابغة الذبياني الجعدي في ديوانه (٤)، والصاحبي في فقه اللغة (ص:١٩٢- ١٩٣)، وفقه اللغة (ص:٢٦٥)، ولسان العرب (٦/ ٣٥٥)، والتذكرة الحمدونية (٧/ ٣٤٠)، وقوله: «تمَزَّزْتُها»: أي: شربتها.

وأنشد ثعلب لعبدة بن الطبيب[1]: [من البسيط]

إذْ أشْرَفَ الدِّيكُ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَتِه   لَدَى الصَّبَاحِ وَهُمْ قَوْمٌ مَعَازِيْلُ

لمَّا جعله يدعو، جعل الدِّيَكَة قومًا، وجعلهم معازيل، وهم الذين لا سلاح معهم، وجعلهم أسرة، وأسرة الرجل: رهطه وقومه.

قوله تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩٢].

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ يقول: إن الأصنام لا تستطيع نصر مَنْ عبدها، ولا تمنع من نفسها.

قوله تَعَالَى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف: ١٩٣].

قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾. [٢٩٥/أ]

فيه قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الأصنام، فالمعنى: وإن دعوتم أيها المشركون أصنامكم إلى سبيل رشاد لا يتبعوكم، لأنهم لا يعقلون.

---

(١) البيت في ديوان عبدة بن الطبيب (ص: ٧٩)، وفقه اللغة (ص:٢٦٦)، ولسان العرب (١١/ ٤٤١) مادة (عزل)، وتاج العروس (٢٩/ ٤٦٥) مادة (عزل).
وأما المَعازيلُ: فهم القوم الذين لا رماح معهم. والمِعْزالُ أيضًا: الضعيف الأحمق. والمِعْزالُ أيضًا: الذي يعتزل أهل الميسر لؤمًا. كما في الصحاح (٥/ ١٧٦٤).

والثاني: أنها ترجع إلى الكفار، فالمعنى: وإن تدع يا محمد هؤلاء المشركين إلى الهدى، لا يتَّبعوكم، فدعاؤكم إياهم وصمتكم عنهم سواء، لأنهم لا ينقادون إلى الحق.

وقرأ نافع: «لا يَتْبعوكم» بسكون التاء[1].

قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٦].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني الأصنام.

﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ في أنهم مسخَّرون مذلَّلون لأمر الله.

وإنما قال: ﴿عِبَادٌ ﴾ وقال: ﴿فَٱدْعُوهُمْ ﴾ وإن كانت الأصنام جمادًا، لما بيَّنا عند قوله: ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

قوله: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي: فليجيبوكم.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أنَّ لكم عندهم نفعًا وثوابًا.

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾ في المصالح.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٩٩)، والحجة (٤/ ١١٣)، والمبسوط (ص:٢١٧)، والتيسير (ص:١١٥)، والتحصيل (٣/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٨).

﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ في دفع ما يؤذي.

وقرأ أبو جعفر: «يبطُشون» بضمِّ الطَّاء هاهنا، وفي «القصص»، و«الدخان»[1].

﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ المنافع من المضار.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ تضرعكم ودعاءكم؟ وفي هذا تنبيه على تفضيل العابدين على المعبودين، وتوبيخ لهم حيث عبدوا مَنْ هم أفضل منه.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ قال الحسن: كانوا يخوِّفونه بآلهتهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تؤخِّروا ذلك.

وكان ابن كثير، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي يقرءون: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ بغير ياء في الوصل والوقف.

وقرأ أبو عمرو، ونافع في رواية ابن حماد بالياء في الوصل.

وروى ورش، وقالون، والمسيِّبي بغير ياء في الوصل، ولا وقف[2][3].

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢١٧)، والكامل (ص:٥٥٧)، والتحصيل (٣/ ١٤٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٩).

(٢) في (ف): (في الوصل والوقف)، وفي (ر): (ووصل ووقف).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٩٩-٣٠٠)، والحجة (٤/ ١١٤)، والمبسوط (ص:٢١٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٨٩).



فأما ﴿تُنظِرُونِ﴾ فأثبت فيها الياء يعقوب في الوصل والوقف[1].

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ أي: ناصري.

﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهو القرآن، أي: كما أيدني بإنزال الكتاب ينصرني.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الأعراف: ١٩٧].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعني الأصنام.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يمنعون أنفسهم من سوء أريد بهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف: ١٩٨].

قوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾.

في المراد بهؤلاء قولان:

أحدهما: أنهم الأصنام.

ثم في قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ **قولان:**

أحدهما: يواجهونك، تقول العرب: داري تنظر إلى دارك.

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢١٨)، والكامل (ص:٤٣٤).

﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ لأنه ليس فيهم أرواح.

والثاني: وتراهم كأنهم ينظرون إليك، لأن لهم أعينًا مصنوعة، فأسقط كاف التشبيه، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج:٢] أي: كأنهم سكارى، ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ في الحقيقة، وإنما أخبر عنهم بالهاء والميم، لأنهم على هيئة بني آدم. [٢٩٥/ب]

والقول الثاني: أنهم المشركون، فالمعنى: وتراهم ينظرون إليك بأعينهم ولا يبصرون بقلوبهم.

قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قوله: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ العفو: الميسور.

وقد سبق شرحه في «سورة البقرة»[(١)].

وفي الذي أُمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال:

أحدها: أخلاق الناس، قاله ابن الزبير، والحسن، ومجاهد، فيكون المعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء.

والثاني: أنه المال.

وفيه قولان:

أحدهما: أن المراد بعفو المال: الزكاة، قاله مجاهد في رواية، والضحاك.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢١٩).



والثاني: أنها صدقة كانت تؤخذ قبل فرض الزكاة، ثم نُسخت بالزكاة، روي عن ابن عباس.

والثالث: أن المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثم نسخ بآية السيف، قاله ابن زيد.

قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي بالمعروف.

وفي قوله: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم المشركون، أُمر بالإعراض عنهم، ثم نُسخ ذلك بآية السيف.

والثاني: أنه عام فيمن جهل، أُمر بصيانة النفس عن مقابلتهم على سفههم، وإن وجب عليه الإنكار عليهم.

وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة، وعند بعضهم أن وسطها محكم وطرفيها منسوخان على ما بيَّنا.

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠، ٢٠١].

قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾.

قال ابن زيد: لما نزلت: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ قال النبي ﷺ: **«يا رَبِّ كَيْفَ بِالْغَضَبِ؟»** فنزلت هذه الآية[1].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٤٦) عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «فكيف بالغضب يا رب»؟ قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فأمَّا قوله: ﴿وَإِمَّا﴾ فقد سبق بيانه في «البقرة»[١] في قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ [الآية:٣٨].

وقال أبو عبيدة: ومجاز الكلام: وإما تستخفَّنَّك منه خفة وغضب وَعَجَلة[٢].

وقال السدي: النزغ: الوسوسة وحديث النفس[٣].

قال الزَّجَّاج: النزغ: أدنى حركة تكون، تقول: قد نزغته: إذا حركته[٤].

وقد سبق معنى الاستعاذة.

قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو، والكسائي: «طيف» بغير ألف.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «طائف» بألف ممدودًا مهموزًا[٥].

وقرأ ابن عباس، وابن جبير، والجحدري، والضحاك: «طَيِّفٌ» بتشديد الياء من غير ألف[٦].

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٦).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/ ٤٣٥)، من رواية أسباط، عن السدي به.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦).

(٥) انظر: السبعة (ص:٣٠١)، والحجة (٤/ ١٢٠)، والمبسوط (ص:٢١٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٩٢)، والتحصيل (٣/ ١٤٩).

(٦) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣) نسبها لابن عباس، وسعيد، وفي التحصيل (٣/ ١٤٩) نسبها لابن عباس، وابن جبير، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٢) بلا نسبة،=

وهل الطائف والطيف بمعنى واحد، أم يختلفان؟

فيه قولان:

أحدهما: أنهما بمعنى واحد، وهما ما كان كالخيال والشيء يُلم بك، حكي عن الفراء[1].

وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطَّائف.

قال الشاعر[2]: [من المتقارب]

أَلا يَا لَقَوْمٍ لِطَيْفِ الخَيَالِ　　　أَرَقَ[3] مِنْ نَازِحٍ ذي دَلاَلِ

=وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٢) نسبها لسعيد بن جبير.

(١) الذي في معاني القرآن له (١/ ٤٠٢): «وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾، وقرأ إِبْرَاهِيم النخعي: (طَيْف) وهو اللَّمم والذنب».
وهذه العبارة التي أوردها المصنف حكاها الطبري في تفسيره عن بعض البصريين، يقول الطبري (١٠/ ٦٤٧): «قال بعض البصريين: الطائف والطيف سواء، وهو ما كان كالخيال والشيء يلم بك».

(٢) البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي كما في الكتاب (٢/ ٢١٦)، وخزانة الأدب (٢/ ٤٢٩، ٤٣٥)، وشرح أبيات سيبويه (١/ ٤٦٧)، وشرح أشعار الهذليين (٢/ ٤٩٤) ولسان العرب (١/ ٧٨٩) مادة (هيب)، وتاج العروس (٢٤/ ١١٠) مادة (طيف)؛ ولأبي أمية في المقاصد النحوية (٤/ ٦٣)، وبلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة (ص ٧٦).
وأمية بن أبى عائذ الهذلي: هو أحد بنى عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية، وقد مدح بنى مروان. انظر: الأغاني (٢٠/ ١١٥).

(٣) تكررت هذه الكلمة في الأصل.

والثاني: أن الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللَّمة والوسوسة والخَطْرة، حكي عن أبي عمرو.

وروي عن ابن عباس أنه قال: الطائف: اللَّمة من الشيطان، والطيف: الغضب[1]. [٢٩٦/أ]

وقال ابن الأنباري: الطائف: الفاعل من الطيف، والطيف عند أهل اللغة: اللَّمم من الشيطان.

ويزعم مجاهد أنه الغضب.

قوله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ **فيه ثلاثة أقوال**:

أحدها: تذكَّروا الله إذا همُّوا بالمعاصي فتركوها، قاله مجاهد.

والثاني: تفكَّروا فيما أوضح الله لهم من الحجة، قاله الزَّجَّاج[2].

والثالث: تذكَّروا غضب الله، والمعنى: إذا جرَّأهم الشيطان على ما لا يحل، تذكَّروا غضب الله فأمسكوا، فإذا هم مبصرون لمواضع الخطأ بالتَّفكر.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٤٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٩٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: «قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾ الطائف: اللمة من الشيطان».
وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٦٩٥) من رواية عكرمة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ قال ابن عباس: «الطائف: الغضب»

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٦).

قولــه تَعَـالَى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [الأعـراف: ٢٠٢].

قوله: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾.

في هذه الهاء والميم قولان:

أحدهما: أنها عائدة على المشركين فتكون هذه الآية مقدَّمة على التي قبلها، والتقدير: وأعرض عن الجاهلين، وإخوان الجاهلين، وهم الشياطين.

﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ﴾.

قرأ نافع: «يُمِدونهم» بضم الياء وكسر الميم.

والباقون: بفتح الياء وضم الميم[1].

قال أبو علي: عامة ما جاء في التنزيل فيما يُحمَد ويُستَحب: أمددت، على أفعلت، كقوله تعالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ [النمل:٣٦]، ﴿أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ﴾ [المؤمنون:٥٥] ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ [الطور:٢٢]، وما كان على خلافه يجيء على: مددت، كقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة:١٥][2].

فهذا يدل على أن الوجه فتح الياء، إلَّا أنَّ وجه قراءة نافع أنها بمنزلة: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران:٢١].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠١)، والحجة (٤/ ١٢٢)، والمبسوط (ص:٢١٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٤٩٣)، والتحصيل (٣/ ١٤٩).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٢٢).

قال المفسرون: ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾ أي: يزيِّنونه لهم، ويريدون منهم لزومه، فيكون معنى الكلام: إن الذين اتَّقَوا إذا جرَّهم الشيطان إلى خطيئة، تابوا منها، وإخوان الجاهلين وهم الشياطين ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ﴾، هذا قول الأكثرين من العلماء، وقال بعضهم: الهاء والميم ترجع إلى الشياطين، وقد جرى ذكرهم كقوله: ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فالمعنى: وإخوان الشياطين يَمدُّونهم.

والثاني: أن الهاء والميم ترجع إلى المتقين، فالمعنى: وإخوان المتقين من المشركين، وقيل: من الشياطين يمدونهم في الغي، أي: يريدون من المسلمين أن يدخلوا معهم في الكفر، ذكر هذا القول جماعة، منهم ابن الأنباري.

فإن قيل: كيف قال: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ وليسوا على دينهم؟

فالجواب: أنا إن قلنا: إنهم المشركون، فجائز أن يكونوا إخوانهم في النسب، أو في كونهم من بني آدم، أو لكونهم يظهرون النصح كالإخوان، فإن قلنا: إنهم الشياطين، فجائز أن يكونوا لكونهم مصاحبين لهم، والقول الأول أصح.

قوله: ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾.

وقرأ الزهري وابن أبي عبلة: «لا يقصِّرون» بالتشديد[1].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٣) نسبها للزهري، ويحيى، وإبراهيم، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٢) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٣)، وفي البحر المحيط (٥/ ٢٦٠) كلاهما نسبها لابن أبي عبلة، وعيسى بن عمر.



قال الزَّجَّاج: يقال: أقصر يُقْصِر، وقصَّر يقصِّر[(١)].

قال ابن عباس: لا الإنس يقصِّرون عما يعملون من السيئات، ولا الشياطين تُقصِر عنهم[(٢)]. [٢٩٦/ ب]

فعلى هذا يكون قوله: ﴿يُقۡصِرُونَ﴾ من فعل الفريقين، وهذا على القول المشهور، ويخرَّج على القول الثاني أن يكون هذا وصفًا للإخوان فقط.

قوله تعالَى: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٠٣﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

قوله: ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ﴾ يعني به المشركين.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: إذا لم تأتهم بآية، سألوها تعنتًا، قاله ابن السائب.

والثاني: إذا لم تأتهم بآية لإبطاء الوحي، قاله مقاتل[(٣)].

وفي قوله: ﴿لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَا﴾ قولان:

أحدهما: هلَّا افتعلتها من تلقاء نفسك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء[(٤)]، والزَّجَّاج[(٥)]، وابن قتيبة[(٦)] في آخرين.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٧٠٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (٩/ ٥٥٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٨٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٧).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٦).

وحكي عن الفراء أنه قال: العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته: إذا افتعلته من قبل نفسك[(١)].

والثاني: هلَّا طلبتها لنا قبل مسألتك؟ ذكره الماوردي[(٢)]، والأول أصح.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾ أي: ليس الأمر لي.

قوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ يعني القرآن.

قال أبو عبيدة: البصائر بمعنى الحجج والبرهان والبيان، واحدتها: بصيرة[(٣)].

وقال الزَّجَّاج: معنى البصائر: ظهور الشيء وبيانه[(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾.

اختلفوا في نزولها على خمسة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ قرأ في الصلاة المكتوبة، فقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[(٥)].

---

(١) وهذا الكلام حكاه عنه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٥٦) قال: «وحكي عن الفراء أنه كان يقول: اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته: إذا افتعلته من قبل نفسك. حدثني بذلك الحارث، قال: ثنا القاسم، عنه». وانظر أيضًا: معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٠٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٩٠).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٦-٢٣٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٧).

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٤) من رواية ابن لهيعة، عن ابن هبيرة، عن ابن عباس ﷺ به، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٣٠).

والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله ﷺ إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب.

والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلَّما قرأ النبي ﷺ شيئًا، قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري[1].

والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم أول ما فُرضت، فيجيء الرجل فيقول لصاحبه: كم صليتم؟ فيقول: كذا وكذا، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[2].

والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة، روي عن عائشة، وسعيد بن جبير[3]، وعطاء[4]، ومجاهد[5]، وعمرو بن دينار[6] في آخرين.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٥٩) من رواية أشعث، عن الزهري به، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦١) من رواية سعيد، عن قتادة به، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٢٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٦) من رواية ثابت بن عجلان، عن سعيد بن جبير به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٥) من رواية جابر، عن عطاء به.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٦٦٤) من رواية سعيد بن مسروق، عن مجاهد به.

(٦) قال الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٣٠): «وقال سعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعمرو بن دينار، وجماعة: نزلت في الإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة».

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾.

في هذا الذكر أربعة أقوال:

أحدها: أنه القراءة في الصلاة، قاله ابن عباس.

فعلى هذا، أُمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار.

والثاني: أنه القراءة خلف الإمام سرًّا في نفسه، قاله قتادة.

والثالث: أنه ذِكْرُ الله باللسان.

والرابع: أنه ذِكر القلب باستدامة الفكر، لئلَّا يغفل عن الله تعالى، ذكر القولين الماوردي[1].

وفي المخاطب بهذا الذِّكر قولان:

أحدهما: أنه المستمع للقرآن، إما في الصلاة، وإما من الخطيب، قاله ابن زيد.

والثاني: أنه خطاب النبي ﷺ، ومعناه عام في جميع المكلفين. [٢٩٧/أ]

قوله: ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾.

التَّضرُّع: الخشوع في تواضع، والخيفة: الحذر من عقابه.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٩٠).

قوله: ﴿وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾.

الجهر: الإعلان بالشيء، ورجل جهير الصوت: إذا كان صوته عاليًا.

وفي هذا نصٌّ على أنه الذِّكر باللسان، ويحتمل وجهين:

أحدهما: قراءة القرآن.

والثاني: الدعاء.

وكلاهما مندوب إلى إخفائه، إلا أن صلاة الجهر قد بُيِّن أدبها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ [الإسراء:١١٠].

فأما «الغدوُّ»: فهو جمع غُدوة.

و«الآصال»: جمع أُصُل، والأُصُل جمع أصيل، فالآصال جمع الجمع، والآصال: العشـيَّات.

وقال أبو عبيدة: هي ما بين العصر إلى المغرب.

وأنشد[١]: [من الطويل]

لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْبَيْتُ أُكْرِمُ أَهْلَهُ ... وَأَقْعُدُ فِي أَفْيَائِهِ بِالْأَصَائِلِ

وروي عن ابن عباس أنه قال: يعني بالغدوِّ: صلاة الفجر، وبالآصال: صلاة العصر[٢].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٣٩).

والبيت لأبي ذؤيب الهذلي في إصلاح المنطق (ص ٢٢٨)؛ وخزانة الأدب (٥/ ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٤٩٧)، وشرح أشعار الهذليين (١/ ١٤٢)، ولسان العرب (١١/ ١٦) مادة (أصل).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٣٢٠) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

قولـه تعـالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [الأعـراف: ٢٠٦].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ يعني الملائكة.

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لا يتكبَّرون ويتعظَّمون.

﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.

وفي هذه العبادة قولان:

أحدهما: الطاعة.

والثاني: الصلاة والخضوع فيها.

وفي قوله: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ **قولان:**

أحدهما: ينزِّهونه عن السوء.

والثاني: يقولون: سبحان الله.

قوله: ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يصلُّون.

وقيل: سبب نزول هذه الآية:

أن كفار مكة قالوا: أنسجد لما تأمُرنا؟ فنزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأنًا، لا يتكبَّرون عن عبادة الله.

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ، أُمِرَ هَذَا بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**»(١).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٨١) من رواية أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ به.



سورة الأنفال

وهي مدنيَّة بإجماعهم، وحكى الماورديُّ عن ابن عباس أنَّ فيها سبع آيات مكِّيَّات، أوَّلها: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: ٣٠][1].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ ۖ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾ [الأنفال: ١].

قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، وَمَنْ أَسَرَ أَسِيرًا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا**»، فأما المشيخة، فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان، فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقال المشيخة للشبان: أشركونا معكم، فإنا كنا لكم ردءًا فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت «سورة الأنفال»، رواه عكرمة عن ابن عباس[2].

---

(١) وذكر الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٢٤) أنها مدنية، وقال ابن عطية في المحرر الوجيز (٢/ ٤٩٦): «هي مدنية كلها كذا قال أكثر الناس، وقال مقاتل هي مدنية غير آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: ٣٠] الآية كلها».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٦٦١)، وأبو داود في سننه (٢٧٣٧)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٢٠٨، ٥٣٦٨)، والحاكم في مستدركه (٢٥٩٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٧١٢، ١٢٨١٧) من رواية داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس به.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح فقد احتج البخاري بعكرمة وقد احتج مسلم=

والثاني: أن سعد بن أبي وقاص أصاب سيفًا يوم بدر، فقال: يا رسول [٢٩٧/ب] الله، هبه لي، فنزلت هذه الآية، رواه مصعب بن سعد عن أبيه[١].

وفي رواية أخرى عن سعد قال: قتلت سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله ﷺ، فقال: «**اذْهَبْ فَاطْرَحْهُ فِي الْقَبَضِ**» فرجعت، وبي ما لا يعلمه إلا الله، فما جاوزت إلا قريبًا حتى نزلت «سورة الأنفال»، فقال: «**اذْهَبْ فَخُذْ سَيْفَكَ**»[٢].

وقال السدي: اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف، فسألوا النبي ﷺ، فأخذه النبي ﷺ منهم، فنزلت هذه الآية[٣].

والثالث: أن الأنفال كانت خالصة لرسول الله ﷺ، ليس لأحد منها شيء، فسألوه أن يعطيهم منها شيئًا، فنزلت هذه الآية، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[٤].

=بداود بن أبي هند ولم يخرجاه».

وقال الذهبي: «هو على شرط البخاري».

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥)، وأحمد في مسنده (١٥٣٨)، ومسلم في صحيحه (١٧٤٨)، وأبو داود في سننه (٢٧٤٠)، والترمذي في سننه (٣٠٧٩)، والنسائي في الكبرى (١١١٣٢) من رواية مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٠٨٥)، وأحمد في مسنده (١٥٥٦)، والبزار في مسنده (١٢٣٩) من رواية محمد بن عبيد الله الثقفي، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه به.

وإسناده منقطع؛ محمد بن عبيد الله الثقفي لم يدرك سعد بن أبي وقاص، وانظر: مراسيل ابن أبي حاتم (٦٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢١) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٣) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨) أيضًا لابن=

وفي المراد بالأنفال ستة أقوال:

أحدها: أنها الغنائم، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك، وأبو عبيدة[١]، والزَّجَّاج[٢]، وابن قتيبة[٣] في آخرين.

وواحد الأنفال: نفل.

قال لبيد[٤]: [من الرمل]

إِنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَعَجَلْ

والثاني: أنه ما نفَّله رسول الله ﷺ القاتلَ من سلَبِ قتيله.

والثالث: أنها ما شذَّ[٥] من المشركين إلى المسلمين من عَبْد أو دابة بغير قتال، قاله عطاء.

وهذا والذي قبله مرويان عن ابن عباس أيضًا.

=المنذر، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٧).

(٤) البيت للبيد في ديوانه (ص: ١٧٤)، وجمهرة أشعار العرب (ص:٢١)، وفقه اللغة (ص:٢٣١)، والصحاح (٥/ ١٨٣٣)، ولسان العرب (١١/ ٦٧٠) مادة (نفل)؛ ومقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤)، وتاج العروس (٣١/ ١٦) مادة (نفل).

(٥) في (ف)، و(ر): (شذَّ).

والرابع: أنه الخُمس الذي أخذه رسول الله ﷺ من الغنائم، قاله مجاهد.

والخامس: أنه أنفال السرايا، قاله علي بن صالح بن حيٍّ.

وحكي عن الحسن قال: هي السرايا التي تتقدم أمام الجيوش[1].

والسادس: أنها زيادات يُؤْثِرُ بها الإِمام بعضَ الجيش لما يراه من المصلحة، ذكره الماوردي[2].

وفي «عن» قولان:

أحدهما: أنها زائدة، والمعنى: يسألونك الأنفال، وكذلك قرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب، وأبو العالية: «يسألونك الأنفال» بحذف «عن»[3].

والثاني: أنها أصل، والمعنى: يسألونك عن الأنفال لمن هي؟ أو عن حكم الأنفال؟.

وقد ذكرنا في سبب نزولها ما يتعلق بالقولين.

وذُكر أنهم إنما سألوا [رسول الله ﷺ][4] عن حكمها؛ لأنها كانت حرامًا على الأُمم قبلهم.

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٢٩٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٢٩٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٤) نسبها لابن مسعود، وفي المحتسب (١/ ٢٧٢) نسبها لابن مسعود، وسعد بن أبي وقاص، وعلي بن الحسين، وأبي جعفر محمد بن علي، وزيد بن علي، وجعفر بن محمد، وطلحة بن مصرف.

(٤) ما بين المعكوفين من (ف).



فَصْلٌ

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية:

فقال بعضهم: إنها ناسخة من وجه، منسوخة من وجه، وذلك أن الغنائم كانت حرامًا في شرائع الأنبياء المتقدمين، فنسخ الله ذلك بهذه الآية، وجعل الأمر في الغنائم إلى ما يراه الرسول ﷺ، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال:٤١].

[٢٩٨/أ] وقال آخرون: المراد بالأنفال شيئان:

أحدهما: ما يجعله الرسول ﷺ لطائفة من شجعان العسكر ومتقدميه، يستخرج به نصحهم، ويحرِّضهم على القتال.

والثاني: ما يفضُل من الغنائم بعد قسمتها، كما روي عن ابن عمر قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريَّة، فغنمنا إبلًا، فأصاب كل واحد منَّا اثنى عشر بعيرًا، ونفَّلنا بعيرًا بعيرًا(١).

فعلى هذا هي محكمة، لأن هذا الحكم باقٍ إلى وقتنا هذا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤٣٣٨) من حديث ابن عمر ﷺ، بلفظ: «بعث النبي ﷺ سرية قبل نجد فكنت فيها، فبلغت سهامنا اثني عشر بعيرًا، ونفلنا بعيرًا بعيرًا، فرجعنا بثلاثة عشر بعيرًا».

ورواه أيضًا: أبو داود في سننه (٢٧٤٥)، وأحمد في مسنده (٦٤٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٧٩٤).

فَصْلٌ

ويجوز النَّفَل قبل إحراز الغنيمة، وهو أن يقول الإمام: من أصاب شيئًا فهو له، وبه قال الجمهور.

فأما بعد إحرازها، ففيه عن أحمد روايتان.

وهل يستحق القاتل سَلَبَ المقتول إذا لم يشرطه له الإمام؟

فيه قولان:

أحدهما: يستحقه، وبه قال الأوزاعي، والليث، والشافعي.

والثاني: لا يستحقه، ويكون غنيمة للجيش، وبه قال أبو حنيفة، ومالك، وعن أحمد روايتان كالقولين.

قوله: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: يحكمان فيها ما أرادا.

﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بترك مخالفته.

﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: معنى ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ حقيقة وصلكم[1].

والبين: الوصل كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

ثم في المراد بالكلام قولان:

أحدهما: أن يَرُدَّ القويُّ على الضعيف، قاله عطاء.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٠).

والثاني: ترك المنازعة تسليمًا لله ورسوله.

قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ أي: اقبلوا ما أُمرتم به في الغنائم وغيرها.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: إذا ذُكِرتْ عظمتُه وقدرتُه وما خوَّف به من عصاه، فزعت قلوبهم.

قال الشاعر[1]: [من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُ ... عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوَّلُ

يقال: وجِل يَوْجَل وياجَل ويَيْجَل ويِيجَل، هذه أربع لغات حكاها سيبويه. وأجودها: يَوْجَل[2].

---

(١) البيت لمعن بن أوس في ديوانه (ص ٣٩)، والزاهر (١/ ٣٠)، وتهذيب اللغة (١٠/ ١٢٢)، وخزانة الأدب (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٨٩، ٢٩٤)، وشرح التصريح (٢/ ٥١)، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ١١٢٦)، ولسان العرب (١٢٧/ ٥) مادة (كبر)، (١١/ ٧٢٢) مادة (وجل)؛ والمقاصد النحوية (٣/ ٤٩٣)، ودرة الغواص (ص:١٤٩)، وبلا نسبة في العين (٦/ ١٨٢)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٠٠)، والأشباه والنظائر (٨/ ١٤٠)، وأوضح المسالك (٣/ ١٦١)، وجمهرة اللغة (١/ ٤٩٣)، وخزانة الأدب (٦/ ٥٠٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٠).



وقال السدي: هو الرجل يهمُّ بالمعصية، فيذكر الله فينزِع عنها[١].

قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: آيات القرآن.

وفي قوله: ﴿زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تصديقًا، قاله ابن عباس.

والمعنى: أنهم كلما جاءهم شيء عن الله آمنوا به، فيزدادوا إيمانًا بزيادة الآيات.

والثاني: يقينًا، قاله الضحاك.

والثالث: خشية الله، قاله الربيع بن أنس.

وقد ذكرنا معنى التَّوكُّل في «آل عمران»[٢].

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [الأنفال: ٣].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٩) عن السدي، في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنفال: ٢] قال: هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهم بمعصية أحسبه قال: فينزع عنه.
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٥) أيضًا، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٣)، وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٢٧).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٢٢).

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

قال ابن عباس: يعني الصلوات الخمس[(١)].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يعني الزكاة.

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٤].

قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

قال الزَّجَّاج: «حقًّا» منصوب بمعنى دلت عليه الجملة، والجملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فالمعنى: أحَقَّ ذلك حقًّا[(٢)].

وقال مقاتل: المعنى: أولئك هم المؤمنون لا شكَّ في إيمانهم كشكِّ المنافقين[(٣)].

قوله: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

[٢٩٨/ب] قال عطاء: درجات الجنة يرتقونها بأعمالهم[(٤)].

والرزق الكريم: ما أُعدَّ لهم فيها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٥٦) من رواية= علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﵄ به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٠).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٢٨)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٤).

قولــه تعَــالَى: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾ [الأنفــال: ٥، ٦].

قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ﴾.

في متعلَّق هذه الكاف خمسة أقوال:

أحدها: أنها متعلقة بالأنفال.

ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدهــا: أن تأويلـه: امـض لأمـر الله في الغنائـم وإن كرهـوا، كـما مضيـت في خروجـك مـن بيتـك وهـم كارهـون، قالـه الفـراء[1].

والثــاني: أن الأنفــال لله والرســول ﷺ بالحــق الواجــب، كــما أخرجـك ربـك بالحـق، وإن كرهــوا ذلــك، قالــه الزَّجَّــاج[2].

والثالــث: أن المعنـى: يسـألونك عـن الأنفـال مجادلـة، كـما جادلـوك في خروجـك، حـكاه جماعـة مـن المفسريـن.

والثــاني: أنهــا متعلقــة بقولــه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ﴾، والمعنــى: إن التقـوى والإصـلاح خـير لكـم، كـما كان إخـراج الله نبيـه محمـدًا خـيرًا لكـم وإن كرهــه بعضكــم، هــذا قــول عكرمــة.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٣٩٩).



والثالث: أنها متعلِّقة بقوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ﴾، فالمعنى: مجادلتهم إياك في الغنائم كإخراج الله إياك إلى بدر وهم كارهون، قاله الكسائي.

والرابع: أنها متعلِّقة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، والمعنى: وهم المؤمنون حقًّا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، ذكره بعض ناقلي التفسير.

والخامس: أن «كما» في موضع قَسَم، معناها: والذي أخرجك من بيتك، قاله أبو عبيدة[1]، واحتج بأن «ما» في موضع «الذي»، ومنه قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل:٣]، قاله ابن الأنباري.

وفي هذا القول بُعْدٌ؛ لأن الكاف ليست من حروف الأقسام.

وفي هذا الخروج قولان:

أحدهما: أنه خروجه إلى بدر، وكره ذلك طائفة من أصحابه، لأنهم علموا أنهم لا يظفرون بالغنيمة إلا بالقتال.

والثاني: أنه خروجه من مكة إلى المدينة للهجرة.

وفي معنى قوله: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قولان:

أحدهما: أنك خرجت ومعك الحق.

والثاني: أنك خرجت بالحق الذي وجب عليك.

وفي قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ قولان:

أحدهما: كارهون خروجك.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٠).

والثاني: كارهون صرف الغنيمة عنهم، وهذه كراهة الطبع لمشقة السفر والقتال، وليست كراهةً لأمر الله تعالى.

قوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾.

يعني في القتال يوم بدر، لأنَّهم خرجوا بغير عدَّة، فقالوا: هلَّا أخبرتنا بالقتال لنأخذ العُدَّة، فجادلوه طلبًا للرخصة في ترك القتال.

وفي قوله: ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تبيَّن لهم فرضُه.

والثاني: تبيَّن لهم صوابه.

والثالث: تبيَّن لهم أنك لا تفعل إلا ما أُمِرتَ به.

وفي «المجادلين» قولان:

أحدهما: أنهم طائفة من المسلمين، قاله ابن عباس، والجمهور.

والثاني: أنهم المشركون، قاله ابن زيد.

فعلى هذا، يكون جدالهم في الحق الذي هو التوحيد، لا في القتال. [٢٩٩/أ]

فعلى الأول، يكون معنى قوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ أي: في لقاء العدو ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾، لأن أشد حال من يساق إلى الموت أن يكون ناظرًا إليه، وعالمًا به.

وعلى قول ابن زيد: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ حين يُدعَوْن إلى الإسلام لكراهتهم إيَّاه.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الأنفال: ٧، ٨].

قوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ ﴾.

قال أهل التفسير: أقبل أبو سفيان من الشام في عير لقريش، حتى إذا دنا من بدر، نزل جبريل فأخبر النبي ﷺ بذلك، فخرج في جماعة من أصحابه يريدهم، فبلغهم ذلك، فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثًا، فخرجت قريش للمنع عنها، ولحق أبو سفيان بساحل البحر، ففات رسولَ الله ﷺ، ونزل جبريل بهذه الآية: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[١].

والمعنى: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين.

والطائفتان: أبو سفيان وما معه من المال، وأبو جهل ومن معه من قريش، فلما سبق أبو سفيان بما معه كتب إلى قريش: إن كنتم خرجتم لتُحرِزوا ركائبكم فقد أحرزتُها لكم. فقال أبو جهل: والله لا نرجع، وسار رسول الله ﷺ يريد القوم، فكره أصحابه ذلك وودُّوا أن لو نالوا

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٥) بلفظ مقارب عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: أقبلت عير أهل مكة يريد: من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك، فخرجوا ومعهم رسول الله ﷺ يريدون العير، فبلغ ذلك أهل مكة، فسارعوا السير إليها لا يغلب عليها النبي ﷺ وأصحابه، فسبقت العير رسول الله ﷺ، وكان الله وعدهم إحدى الطائفتين، فكانوا أن يلقوا العير أحب إليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنمًا. فلما سبقت العير، وفاتت رسول الله ﷺ، سار رسول الله ﷺ بالمسلمين يريد القوم، فكره القوم مسيرهم لشوكة في القوم.

الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال، فذلك قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي: ذاتِ السلاح. يقال: فلان شاكي السلاحِ بالتخفيف، وشاكٌّ في السلاح بالتشديد، وشائك.

قال أبو عبيدة: ومجاز الشوكة الحَدُّ، يقال: ما أشد شوكةَ بني فلان، أي: حَدَّهم[1].

وقال الأخفش: إنما أَنَّث ﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ لأنه يعني الطائفة[2].

قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾.

في المراد بالحق قولان:

أحدهما: أنه الإسلام، قاله ابن عباس في آخرين.

والثاني: أنه القرآن، والمعنى: يُحِق ما أنزل إليك من القرآن.

قوله: ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ أي: بِعداتِه التي سبقت من إعزاز الدِّين، كقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣].

قوله: ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: يجتث أصلهم.

وقد بَيَّنَّا ذلك في «الأنعام»[3].

قوله: ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ المعنى: ويريد أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٤٥).

وفي هذا الحق القولان المتقدمان.

فأما ﴿ٱلْبَـٰطِلَ﴾ فهو الشرك.

و﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ هاهنا: المشركون.

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

قوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾.

سبب نزولها:

ما روى عمر بن الخطَّاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر، نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلاثمائة ونيِّف، ونظر إلى المشركين وهم ألف وزيادة، فاستقبل القبلة، ثم مدَّ يديه وعليه رداؤه وإزاره، ثم قال: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ أَنْجِزْ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ لَا تُعبَدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا**» فما زال يستغيث ربه ويدعوه، حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر الصديق فأخذ رداءه فردَّاه به، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]. [٢٩٩/ب]

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١)، وابن حبان (٤٧٩٣)، والبغوي في شرح السنة (٣٧٧٧)، وأحمد في مسنده (٢٠٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٥٨٣، ٣٦٦٨٤)، وعبد بن حميد في مسنده (٣١)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨٢٥) وغيرهم عن عمر بن الخطاب ﷺ.

قوله: ﴿إِذْ﴾.

قال ابن جرير: هي من صلة «يبطل»[١].

وفي قوله: ﴿تَسْتَغِيثُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تستنصرون.

والثاني: تستجيرون.

والفرق بينهما أن المستنصر يطلب الظفر، والمستجير يطلب الخلاص.

وفي المستغيثين قولان:

أحدهما: أنه رسول الله ﷺ والمؤمنون[٢]، قاله الزُّهري.

والثاني: أنه رسول الله ﷺ، قاله السدي.

فأما الإمداد فقد سبق في «آل عمران»[٣].

وقوله: ﴿بِأَلْفٍ﴾.

قرأ الضحاك، وأبو رجاء: «بآلاف» بهمزة ممدودة وبألف على الجمع[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٠).

(٢) في (ف)، و(ر): (والمسلمون).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٢٤).

(٤) في التحصيل (٣/ ١٦٦) نسبها لجعفر بن محمد، والجحدري، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤) نسبها لعاصم الجحدري فقط، وفي الكامل (١/ ٥٥٨) قال: «على الجمع المُعَلَّى عن أبي بكر، واختيار الزَّعْفَرَانِيّ».

وقرأ أبو العالية، وأبو المتوكل: «بأُلُوف» برفع الهمزة واللام وبواو بعدها على الجمع[١].

وقرأ ابن حَذْلَم، والجحدري: «بأُلُفٍ» بضم الألف واللام من غير واو ولا ألف[٢].

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «بِيَلْفٍ» بياء مفتوحة وسكون اللام من غير واو ولا ألف[٣].

فأما قوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾.

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «مردِفين» بكسر الدال[٤].

---

(١) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٦) بلا نسبة، وفي شواذ القراءة (ص:٩٤) نسبها للجحدري.

(٢) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٨٦) بلا نسبة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٤) نسبها للجحدري.

(٤) انظر: السبعة (ص:٣٠٤)، والحجة (٤/ ١٢٤)، والمبسوط (ص:٢٢٠)، والتيسير (ص:١١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧).

قال ابن عباس[(١)]، وقتادة[(٢)]، والضحاك[(٣)]، وابن زيد[(٤)]، والفراء[(٥)]: هم المتتابعون.

وقال أبو علي: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكونوا مردفين مثلهم، تقول: أردفت زيدًا دابتي، فيكون المفعول الثاني محذوفًا في الآية.

والثاني: أن يكونوا جاءوا بعدهم، تقول العرب: بنو فلان مردفونا، أي: هم يجيئون بعدنا[(٦)].

قال أبو عبيدة: مردفين: جاءوا بعدُ[(٧)][(٨)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨٢٨) من رواية هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس به.
قال ابن أبي حاتم: «وروي عن قتادة وأبي مالك ومحمد بن كعب والسدي والضحاك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحو ذلك».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٥) من رواية سعيد، عن قتادة به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٣٠) لعبد بن حميد أيضًا.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٦) من رواية عبيد بن سليمان، عن الضحاك به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٥) من رواية ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾ قال: المردفين: بعضهم على إثر بعض، يتبع بعضهم بعضًا.

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٤).

(٦) انظر: الحجة (٤/ ١٢٥).

(٧) في (ف): (بعدهم).

(٨) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤١).

وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «مردَفين» بفتح الدال[١].

قال الفراء: أراد: فُعِلَ ذلك بهم[٢]، أي: إن الله أردف المسلمين بهم.

وقرأ معاذ القارئ، وأبو المتوكل الناجي، وأبو مجلز: «مُرَدَّفين» بفتح الراء والدال مع التشديد[٣].

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران: «مُرُدِّفين» برفع الراء وكسر الدال[٤].

وقال الزَّجَّاج: يقال: ردفت الرجلَ: إذا ركبتُ خلفه، وأردفتُه: إذا أركبتُه خلفي. ويقال: هذه دابة لا تُرادِف، ولا يقال: لا تُردِف. ويقال: أردفتُ الرجلَ: إذا جئتَ بعده[٥].

فمعنى «مردفين»: يأتون فرقة بعد فرقة. ويجوز في اللغة: مُرَدِّفين ومُرُدِّفين ومُرِدِّفين، فالدال مكسورة مشددة على كل حال، والراء يجوز فيها الفتح والضم والكسر.

[٣٠٠/أ] قال سيبويه: الأصل مرتدفين، فأدغمت التاء في الدال فصارت مُرَدِّفين لأنك طرحت حركة التاء على الراء وإن شئت لم تطرح حركة

---

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٠٤)، والحجة (٤/ ١٢٤)، والمبسوط (ص: ٢٢٠)، والتيسير (ص: ١١٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٤).

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٥٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧)، والمحتسب (١/ ٢٧٣)، والبحر المحيط (٥/ ٢٧٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤).

(٤) انظر: البحر المحيط (٥/ ٢٧٩)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤)، والمحتسب (١/ ٦٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٢).

التاء، وكسرت الراء لالتقاء الساكنين، والذين ضموا الراء، جعلوها تابعة لضمة الميم[١].

وقد سبق في «آل عمران» تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ﴾[٢] [الآية:١٢٦].

وكان مجاهد يقول: ما أمدَّ اللهُ النبي ﷺ بأكثر من هذه الألف التي ذُكرت في «سورة[٣] الأنفال»، وما ذَكَر الثلاثةَ والخمسةَ إلَّا بشرى، ولم يُمَدُّوا بها[٤].

والجمهور على خلافه.

وقد ذكرنا اختلافهم في عدد الملائكة في «سورة آل عمران»[٥].

قوله تعالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

---

(١) انظر: الكتاب (٤/ ٤٤٤).

(٢) انظر: سورة آل عمران الآية رقم (١٢٦).

(٣) ليست في (ف).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٣٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: «إنما جعلهم ليستبشروا بهم، وليطمئنوا إليهم، ولم يقاتلوا معهم يومئذ، يعني يوم أحد» قال مجاهد: ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده إلا يوم بدر. وانظر: الدر المنثور (٢/ ٣١١).

(٥) انظر: سورة آل عمران الآية رقم (١٢٤-١٢٥).

قوله: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: «إذ» موضعها نصب على معنى: وما جعله الله[١] إلا بشرى، في ذلك الوقت، ويجوز أن يكون المعنى: اذكروا إذ يغشاكم النعاس[٢].

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «إذ يَغْشَاكم» بفتح الياء وجزم الغين وفتح الشين وألف، «النعاسُ» بالرفع.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «يُغَشِّيكم» بضم الياء وفتح الغين مشددة الشين مكسورة، «النعاسَ» بالنصب.

وقرأ نافع: «يُغْشِيكم» بضم الياء وجزم الغين وكسر الشين، «النعاسَ» بالنصب[٣].

وقال أبو سليمان الدمشقي: الكلام راجع على قوله: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ إذ يغشيكم النعاس.

قال الزَّجَّاج: و«أمنةً» منصوب: مفعول له، كقولك: فعلت ذلك حذر الشر. يقال: أمنتُ آمَنُ أمْنًا وأمانًا وأمَنَةً[٤].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ف).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٣).

(٣) انظر: السبعة (ص:٢٨٢، ٣٠٤)، والتحصيل (٣/ ١٦٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٠٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٣).

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو المتوكل، وأبو العالية، وابن يعمر، وابن محيصن: «أَمْنَةً منه[١]» بسكون الميم[٢].

قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾.

قال ابن عباس: نزل النبي ﷺ يوم بدر، وبينه وبين الماء رملة، وغلبهم المشركون على الماء، فأصاب المسلمينَ الظمأُ، وجعلوا يصلون محدِثين، وألقى الشيطان في قلوبهم الوسوسة، يقول: تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله، وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلُّون محدِثين، فأنزل الله عليهم مطرًا، فشربوا وتطهَّروا، واشتد الرمل حين أصابه المطر، وأزال الله رجز الشيطان، وهو وسواسه، حيث قال: قد غلبكم المشركون على الماء[٣].

وقال ابن زيد: رجز الشيطان: كيده، حيث أوقع في قلوبهم أنه ليس لكم بهؤلاء القوم طاقة[٤].

وقال ابن الأنباري: ساءهم عدم الماء عند فقرهم إليه، فأرسل الله السماء، فزالت وسوسة الشيطان التي تُكسب عذابَ الله وغضبه، إذ الرجز: العذاب.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في المحتسب (١/ ٢٧٣) نسبها لابن محيصن، وفي إعراب القراءات (١/ ٥٨٨) بلا نسبة.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٨٦٧) عن ابن زيد به.

قوله: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾.

الربط: الشد، و«على» في قول بعضهم صلة، فالمعنى: وليربط قلوبكم.

وفي الذي ربط به قلوبهم وقوّاها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الصبر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنه الإيمان، قاله مقاتل[1].

[٣٠٠/ب] **والثالث:** أنه المطر الذي أرسله يثبِّت به قلوبهم بعد اضطرابها بالوسوسة التي تقدم ذكرها.

قوله: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾.

في هاء «به» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الماء، فإن الأرض كانت رَمِلة، فاشتدت بالمطر، وثبتت عليها الأقدام، قاله ابن عباس، ومجاهد، والسدي في آخرين.

والثاني: أنها ترجع إلى الربط، فالمعنى: ويثبت بالربط الأقدام، ذكره الزَّجّاج[2].

قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٣) ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ (١٤)﴾ [الأنفال: ١٢، ١٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٤).

قوله: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: «إذ» في موضع نصب، والمعنى: وليربط إذ يوحي[١].

ويجوز أن يكون المعنى: واذكروا إذ يوحي.

قال ابن عباس: وهذا الوحي إلهام[٢].

قوله: ﴿إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ وهم الذين أمدَّ بهم المسلمين.

﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة.

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: قاتلوا معهم، قاله الحسن.

والثاني: بشِّروهم بالنصر، فكان الملك يسير أمام الصف في صورة الرجل، ويقول: أبشروا فإن الله ناصركم، قاله مقاتل[٣].

والثالث: ثبِّتوهم بأشياء تُلْقُونها في قلوبهم تَقوى بها، ذكره الزَّجَّاج[٤].

والرابع: صحِّحوا عزائمهم ونياتهم على الجهاد، ذكره الثعلبي[٥].

فأما ﴿ٱلرُّعْبَ﴾ فهو الخوف.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٤).

(٢) انظر: النكت والعيون؛ للماوردي (٤/ ٢٣٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٤).

(٥) انظر: الكشف والبيان (٤/ ٣٣٣).



قال السائب بن يسار: كنا إذا سألنا يزيد بن عامر السُّوائيَّ عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوب المشركين كيف؟ كان يأخذ الحصى فيرمي به الطَّست فيطِنُّ، فيقول: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا[١].

قوله: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ﴾.

في المخاطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم الملائكة.

قال ابن الأنباري: لم تعلم الملائكة أين تقصد بالضرب من الناس، فعلَّمهم الله تعالى ذلك.

والثاني: أنهم المؤمنون، ذكره جماعة من المفسرين[٢].

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: فاضربوا الأعناق، و«فوق» صلة، وهذا قول عطية، والضحاك، والأخفش[٣]، وابن قتيبة[٤].

وقال أبو عبيدة: «فوق» بمعنى «على»، تقول: ضربته فوق الرأس، وضربته على الرأس[٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٤) عن سعيد بن السائب الطائفي، عن أبيه به.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٧١).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٦).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٧).

(٥) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٢).

والثاني: اضربوا الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، وبه قال عكرمة.

وفي المراد بالبنان ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الأطراف، قاله ابن عباس، والضحاك.

وقال الفراء: علَّمَهم مواضع الضرب، فقال: اضربوا الرؤوس والأيدي والأرجل[١].

وقال أبو عبيدة[٢]، وابن قتيبة[٣]: البنان: أطراف الأصابع.

قال ابن الأنباري: واكتفى بهذا من جملة اليد والرِّجل.

والثاني: أنه كل مَفْصِل، قاله عطية، والسدي.

والثالث: أنه الأصابع وغيرها من جميع الأعضاء، والمعنى: أنه أباحهم قتلهم بكل نوع، هذا قول الزَّجَّاج[٤].

قال: واشتقاق البنان من قولهم: أَبَنَّ بالمكان: إذا أقام به، فالبنان به يُعتمل كلُّ ما يكون للإقامة والحياة.

قوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الضرب. [٣٠١/أ]

و﴿شَآقُّواْ﴾ بمعنى: جانبوا، فصاروا في شقِّ المؤمنين.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٧).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٥).

قوله: ﴿ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ ﴾ خطاب للمشركين، والمعنى: ذوقوا هذا في عاجل الدنيا.

وفي فتح «أنَّ» قولان:

أحدهما: بإضمار فعل، تقديره: ذلكم فذوقوه واعلموا أن للكافرين.

والثاني: أن يكون المعنى: ذلك بأن للكافرين عذاب النار.

فإذا ألقيت الباء، نصبت، وإن شئت جعلت «أن» في موضع رفع يريد: ذلكم فذوقوه، وذلكم أن للكافرين عذاب النار، هذا معنى قول الفراء[1].

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾.

الزحف: جماعة يزحفون إلى عدوهم، قاله الليث.

والتزاحف: التداني والتقارب.

قال الأعشى[2]: [من الكامل]

لِمَنِ الظَّعَائِنُ سَيْرُهُنَّ تَزَحُّفُ ....

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) البيت لأعشى همدان في أساس البلاغة (١/ ١٢٦) مادة (جدف)؛ والفرج بعد الشدة؛ للتنوخي (٢/ ١٢٣)، وبلا نسبة في البيان والتبيين (٣/ ١٢٩)، وكتاب الأفعال (٣/ ٤٤٧)، وتاج العروس (٢٣/ ٣٧٥) مادة (زحف)، وعجزه: «عَوْمَ السَّفِينِ إذا تَقَاعَسَ يَجْدِفُ».

قال الزَّجَّاج: ومعنى الكلام: إذا واقفتموهم للقتال فلا تُدبروا[١].

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ﴾ يوم حربهم ﴿دُبُرَهُۥ﴾ إلا أن يتحرف ليقاتل، أو يتحيز إلى فئة فـ﴿مُتَحَرِّفًا﴾، و﴿مُتَحَيِّزًا﴾ منصوبان على الحال.

ويجوز أن يكون نصبهما على الاستثناء، فيكون المعنى: إلا رجلًا متحرفًا أو متحيزًا، وأصل متحيز: مُتْحَيْوِز فأدغمت الياء في الواو.

قوله: ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ أي: مرجعه إليها، ولا يدل ذلك على التخليد.

فَصْلٌ

اختلف العلماء في حكم هذه الآية:

فقال قومٌ: هذه خاصة في أهل بدر، وهو مروي عن ابن عباس، وأبي سعيد الخدري، والحسن، وابن جبير، وقتادة، والضحاك.

وقال آخرون: هي على عمومها في كل منهزم، وهذا مروي عن ابن عباس أيضًا.

وقال آخرون: هي على عمومها، غير أنها نسخت بقوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الأنفال:٦٦] فليس للمسلمين أن يفرُّوا من مِثلَيهم، وبه قال عطاء بن أبي رباح.

وروى أبو طالب عن أحمد أنه سئل عن الفرار من الزحف، فقال: لا يفر رجل من رجلين، فإن كانوا ثلاثة، فلا بأس.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٥).



وقد نُقل نحو هذا عن ابن عباس.

وقال محمد بن الحسن: إذا بلغ الجيش اثني عشر ألفًا، فليس لهم أن يفروا من عدوهم، وإن كثُر عددهم.

ونُقل نحو هذا عن مالك.

ووجهه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا هُزِمَ قَومٌ إِذَا بَلَغُوا اثْنَي عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ إِذَا صَبَرُوا وَصَدَقُوا»(١).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦٨٢، ٢٧١٨، ٢٦٨٢)، والدارمي (٢٤٨٢)، وأبو داود (٢٦١١)، والترمذي (١٥٥٥)، وابن خزيمة (٢٥٣٨)، وابن حبان (٤٧١٧)، والحاكم في مستدركه (١٦٢١، ٢٤٨٩)، والبيهقي في الكبرى (١٨٤٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٢٧١٤)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٧٣)، والقضاعي في مسند الشهاب (١٢٣٩)، وابن عساكر في معجم الشيوخ (١٥٨٨) وغيرهم من رواية الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُ مِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ إِذَا صَبَرُوا وَصَدَقُوا».

هذا، وقد رواه عبد الرزاق في مصنفه (٩٦٩٩) من رواية معمر، عن الزهري، عن النبي ﷺ.

وكذلك رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٣٨٧) من رواية عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ.

قال أبو داود: «والصحيح أنه مرسل».

وقد رواه في كتابه المراسيل (٣١٤) من رواية يونس، عن عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ. ثم قال: «قد أُسند هذا ولا يصح، أسنده جرير بن حازم وهو خطأ».

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب، لا يُسنده كبير أحد غير جرير بن حازم. وإنما روي هذا الحديث عن الزهري، عن النبي ﷺ مرسلاً».

وقال البيهقي: «تفرد به جرير بن حازم موصولاً، ورواه عثمان بن عمر عن يونس،=

قوله تعالَى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال: ١٧، ١٨].

قوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.

وقرأ ابن عامر، وأهل الكوفة إلا عاصمًا: «ولكِنِ اللهُ قتلهم»، «ولكنِ اللهُ رمى»، بتخفيف النون ورفع اسم الله فيهما[١].

وسبب نزول هذا[٢] الكلام:

أن أصحاب رسول الله ﷺ لما رجعوا عن بدر جعلوا يقولون: قَتَلْنا وقَتَلْنا، هذا معنى قول مجاهد.

فأما قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.

ففي سبب نزوله ثلاثة أقوال: [٣٠١/ ب]

أحدها: أن النبي ﷺ قال لعلي: «**نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ حَصْبَاءَ[٣]**»، فناوله، فرمى به في وجوه القوم، فما بقي منهم أحد إلا وقعت في عينه حصاة[٤].

=عن عقيل، عن الزهري، عن النبي ﷺ منقطعًا».

(١) انظر: السبعة (ص:١٦٨)، والحجة (٢/ ١٦٩، ١٧٠)، والمبسوط (ص:١٣٤)، والتيسير (ص:٧٥).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): (حصى).

(٤) رواه الطبراني في معجمه الكبير (١١/ ٢٨٥) (١١٧٥٠) من رواية عكرمة، عن ابن عباس به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٤) (٩٩٩٩): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».



وقيل: أخذ قبضة من تراب، فرمى بها، وقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» فما بقي مشرك إلا شُغل بعينه يعالج التراب الذي فيها، فنزلت: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾[1] وذلك يوم بدر، هذا قول الأكثرين[2].

وقال ابن الأنباري: وتأويل شاهت: قبحت، يقال: شاه وجهه يشوه شَوهًا وشُوهة، ويقال: رجل أشوه، وامرأة شوهاء: إذا كانا قبيحين.

والثاني: أن أُبي بن خلف أقبل يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده، فاعترض له رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ، فخلَّوا سبيله، وطعنه النبي ﷺ بحربته، فسقط أُبيٌّ عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا: إنما هو خدش، فقال: والذي نفسي بيده، لو كان الذي بي بأهل الحجاز لماتوا أجمعون، فمات قبل أن يَقْدَم مكة، فنزلت هذه الآية، رواه سعيد بن المسيب عن أبيه[3].

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير (٣/ ٢٠٣) (٣١٢٨) من حديث حكيم بن حزام، قال: لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ، فأخذ كفًّا من الحصباء فاستقبلنا به، فرمانا بها، وقال: «شاهت الوجوه» ، فانهزمنا، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٨٤) (٩٩٩٨): «رواه الطبراني، وإسناده حسن».

(٢) في (ف): (وهذا قول ابن عباس).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٦٣) عن سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: أقبل أُبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده، فاعترض رجال من المؤمنين، فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أُبي من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته فسقط أُبي عن فرسه، ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعًا من أضلاعه، فأتاه أصحابه وهو يخور خوار=

والثالث: أن رسول الله ﷺ رمى يوم خيبر بسهم، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو على فراشه، فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي في آخرين.

قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.

اختلفوا في معنى[(١)] إضافة قتلهم إليه على أربعة أقوال:

أحدها: أنه قتلهم بالملائكة الذين أرسلهم.

والثاني: أنه أضاف القتل إليه؛ لأنه تولَّى نصرهم.

والثالث: لأنه ساقهم إلى المؤمنين، وأمكنهم منهم.

والرابع: لأنه ألقى الرعب في قلوبهم.

وفي قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى: وما ظفرت أنت ولا أصبت، ولكن الله أظفرك وأيدك، قاله أبو عبيدة[(٢)].

=الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش؛ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «بل أنا أقتل أُبيًّا» ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين. فمات أبي إلى النار، فسحقًا لأصحاب السعير قبل أن يقدم مكة فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] الآية.

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه».

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٤٤).

والثاني: وما بلغ رميُك كفًّا من تراب أو حصى أن تملأ عيون ذلك الجيش الكثير، إنما الله تولى ذلك، قاله الزَّجّاج[١].

والثالث: وما رميت قلوبهم بالرعب إذ رميت وجوههم بالتراب، ذكره ابن الأنباري.

قوله: ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾ أي: لينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والأجر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعائهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بنيَّاتهم.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾.

قال الزَّجّاج[٢]: موضعه رفع، والمعنى: الأمر ذلكم[٣].

وقال غيره: «ذلكم» إشارة إلى القتل والرمي والبلاء الحسن.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: واعلموا أن الله.

والذي ذكرناه في فتح «أنَّ» في قوله: ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الأنفال:١٤] هو مذكور في فتح «أنَّ» هذه.

قوله: ﴿مُوهِنُ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «مُوَهِّنٌ» بفتح الواو وتشديد الهاء منونة، «كيدَ» بالنصب. [٣٠٢/أ]

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٦).

(٢) قوله: (قال الزجاج)، ليس في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٧).

وقرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «مُوْهِنٌ» ساكنة الواو، «كيدَ» بالنصب.

وروى حفص عن عاصم: «موهنُ كيدِ» مضاف(١).

والموهن: المضعف، والكيد: المكر.

قوله تعالَى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنفال: ١٩، ٢٠].

قوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أن أصحاب رسول الله ﷺ استنصروا الله وسألوه الفتح، فنزلت هذه الآية، وهذا المعنى مرويٌّ عن أبي بن كعب، وعطاء الخراساني(٢).

والثاني: أن أبا جهل قال: اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره اليوم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس(٣).

---

(١) انظر هذه القراءات والروايات كلها في: السبعة (ص:٣٠٤-٣٠٥)، والحجة (٤/ ١٢٧)، والمبسوط (ص:٢٢٠-٢٢١)، والتيسير (ص:١١٦)، والتحصيل (٣/ ١٦٨)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥١٢).

(٢) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٧٩).

(٣) لم نقف عليه عن ابن عباس، ولكن رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩١-٩٤) عن=



والثالث: أن المشركين أخذوا بأستار الكعبة قبل خروجهم إلى بدر، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم القبيلتين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي[1].

والرابع: أن المشركين قالوا: اللهم إنا لا نعرف ما جاء به محمد، فافتح بيننا وبينه بالحق، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة[2].

والخامس: أنهم قالوا بمكة: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال:٣٢]، فعذِّبوا يوم بدر، قاله ابن زيد[3].

فخرج من هذه الأقوال أن في المخاطَبين بقوله تعالى: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم المؤمنون.

والثاني: المشركون، وهو الأشهر.

=الزهري، وعبد الله بن ثعلبة بن صعير، والضحاك، وعطية العوفي، ويزيد بن رومان، ورواه ابن أبي حاتم (٨٩١٧، ٨٩١٩، ٨٩٢٠) عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير، وعروة بن الزبير، وعطية العوفي.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٢) من رواية أسباط، عن السدي به. وقد ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٧٦).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٧٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٢) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

وفي الاستفتاح قولان:

أحدهما: أنه الاستنصار، قاله ابن عباس، والزَّجَّاج[1] في آخرين.

فإن قلنا: إنهم المسلمون، كان المعنى: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر بالملائكة.

وإن قلنا: هم المشركون، احتمل وجهين:

أحدهما: إن تستنصروا فقد جاء النصر عليكم.

والثاني: إن تستنصروا لأحب الفريقين إلى الله، فقد جاءكم النصر لأحب الفريقين.

والثاني: أن الاستفتاح: طلب الحكم، والمعنى: إن تسألوا الحكم بينكم وبين المسلمين، فقد جاءكم الحكم، وإلى هذا المعنى ذهب عكرمة، ومجاهد، وقتادة.

فأما قوله تعالى: ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فهو خطاب للمشركين على قول الجماعة.

وفي معناه قولان:

أحدهما: إن تنتهوا عن قتال محمد ﷺ والكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٨).



والثاني: إن تنتهوا عن استفتاحكم فهو خير لكم، لأنه كان عليهم لا لهم، ذكره الماوردي[(١)].

وفي قوله: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ قولان:

أحدهما: وإن تعودا إلى القتال، نَعُدْ إلى هزيمتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: وإن تعودوا إلى الاستفتاح، نعد إلى الفتح لمحمد ﷺ، قاله السدي.

قوله: ﴿وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا﴾ أي: جماعتكم وإن كثرت.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٣٠٢/ب] وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، وأبو بكر عن عاصم: «وإن الله» بكسر الألف.

وقرأ نافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم: «وأن» بفتح الألف[(٢)].

فمن قرأ بكسر «أن» استأنف.

قال الفراء: وهو أحب إليَّ من فتحها[(٣)].

ومن فتحها، أراد: ولأن الله مع المؤمنين.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٠٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٥)، والحجة (٤/ ١٢٨)، والمبسوط (ص:٢٢١)، والتحصيل (٣/ ١٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

قوله: ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: لا تولَّوا عن رسول الله ﷺ.

والثاني: لا تولَّوا عن أمر رسول الله ﷺ ﴿وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾ ما نزل من القرآن، روي القولان عن ابن عباس.

قوله تعالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢﴾ [الأنفال: ٢١، ٢٢].

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس[(١)].

والثاني: في اليهود، قريظة والنضير، روي عن ابن عباس أيضًا[(٢)].

والثالث: في المنافقين، قاله ابن إسحاق[(٣)]، والواقدي[(٤)]، ومقاتل[(٥)].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣٦) من رواية مجاهد، عن ابن عباس به. وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٤١)، والماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٠٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٨٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣٢) من رواية سلمة، عن ابن إسحاق به. وذكره الواحدي في التفسر البسيط (١٠/ ٨٢).

(٤) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٧٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٧).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنهم قالوا: سمعنا، ولم يتفكَّروا فيما سمعوا، فكانوا كمن لم يسمع، قاله الزَّجَّاج[١].

والثاني: أنهم قالوا: سمعنا سماع من يقبل، وليسوا كذلك، حكي عن مقاتل[٢].

قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصي، قاله أبو صالح عن ابن عباس[٣].

والثاني: في المنافقين، قاله ابن إسحاق[٤]، والواقدي[٥].

و﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾: اسم كل حيوان يَدِبُّ.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٠٧).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩١٨٠) من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ﴾. قال ابن عباس: «هم نفر من قريش من بني عبد الدار».

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٣٢) من رواية سلمة، عن ابن إسحاق به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٨٢).

(٥) انظر: مغازي الواقدي (١/ ٧٢).

وقد بينا في «سورة[1] البقرة» معنى الصُّمِّ والبُكْم، ولم سماهم بذلك[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

قوله: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: ولو علم فيهم صدقًا وإسلامًا.

والثاني: لو علم فيهم خيرًا في سابق القضاء.

والثالث: لو علم أنهم يَصْلُحون.

والرابع: لو علم أنهم يُصْغون.

وفي قوله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لأسمعهم جواب كلِّ ما يسألون عنه، قاله الزَّجَّاج[3].

والثاني: لرزقهم الفهم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

والثالث: لأسمعهم كلام الموتى يَشهدون بنبوَّتك، حكاه الماوردي[4].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٩).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٠٧).

وفي قوله: ﴿وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: مكذِّبون، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: وهم معرضون عمَّا أسمعهم لمعاندتهم، قاله الزَّجَّاج[1].

قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الأنفال: ٢٤].

قوله: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾ أي: أجيبوا.

قوله: ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ يعني الرسول ﷺ.

﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ **وفيه ستة أقوال:**

أحدها: أن الذي يحييكم: كلُّ ما يدعو الرسولُ ﷺ إليه، وهو معنى قول أبي صالح عن ابن عباس.

وفي أفراد البخاري من حديث أبي سعيد بن[2] المعلَّى قال: كنت أصلِّي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه، ثم أتيتُه فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلِّي، فقال: «أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾؟» قلت[3]: بلى، ولا أعود إن شاء الله[4].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٩).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): (قال).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤٤٧٤، ٤٦٤٧، ٤٧٠٣، ٥٠٠٦) من حديث أبي سعيد بن المعلَّى ﷺ.

والثاني: أنه الحق، رواه شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثالث: أنه الإيمان، رواه ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه [٣٠٣/ أ] قال السدي.

والرابع: أنه اتِّباع القرآن، قاله قتادة، وابن زيد.

والخامس: أنه الجهاد، قاله ابن إسحاق.

وقال ابن قتيبة: هو الجهاد الذي يحيي دينَهم ويعليهم(١).

والسادس: أنه إحياء أمورهم، قاله الفراء(٢).

فيخرَّج في إحيائهم خمسة أقوال:

أحدها: أنه إصلاح أمورهم في الدنيا والآخرة.

والثاني: بقاء الذكر الجميل لهم في الدنيا، وحياة الأبد في الآخرة.

والثالث: أنه دوام نعيمهم في الآخرة.

والرابع: أنه كونهم مؤمنين، لأن الكافر كالميِّت.

والخامس: أنه يحييهم بعد موتهم، وهو على قول من قال: هو الجهاد، لأن الشهداءَ أحياءٌ، ولأن الجهاد يُعِزُّهم بعد ذُلِّهم، فكأنَّهم صاروا به أحياءً.

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٩٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

قوله: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾.

وفيه عشرة أقوال:

أحدها: يحول بين المؤمن وبين الكفر، وبين الكافر وبين الإيمان، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير.

والثاني: يحول بين المؤمن وبين معصيته، وبين الكافر وبين طاعته، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء[1].

والثالث: يحول بين المرء وقلبه حتى لا يتركه يعقل، قاله مجاهد.

قال ابن الأنباري: المعنى يحول بين المرء وعقله، فبادروا الأعمال، فإنكم لا تأمنون زوال العقول، فتحصُلون على ما قدمتم.

والرابع: أن المعنى: هو قريب من المرء، لا يخفى عليه شيء من سرِّه، كقوله: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وهذا معنى قول قتادة.

والخامس: يحول بين المرء وقلبه، فلا يستطيع إيمانًا ولا كفرًا إلا بإذنه، قاله السدي.

والسادس: يحول بين المرء وبين هواه، ذكره ابن قتيبة[2].

والسابع: يحول بين المرء وبين ما يتمنَّى بقلبه من طول العمر والنَّصر وغيره.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٨).

والثامن: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فبادروا الأعمال قبل وقوعه.

والتاسع: يحول بين المرء وقلبه بعلمه، فلا يضمر العبد شيئًا في نفسه إلا والله عالم به، لا يقدر على تغييبه عنه.

والعاشر: يحول بين ما يوقعه في قلبه من خوف أو أمن، فيأمن بعد خوفه، ويخاف بعد أمنه، ذكر معنى هذه الأقوال ابن الأنباري.

وحكى الزَّجَّاج أنهم لما فكَّروا في كثرة عدوِّهم وقلة عددهم، فدخل الخوف قلوبهم، أعلمهم الله تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدله بالخوفِ الأمنَ، ويبدل عدوَّه بالقوَّة الضَّعف، وقد أعلمت هذه الآية أن الله تعالى هو المقلِّب للقلوب، المتصرِّف فيها[1].

قوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ أي: للجزاء على أعمالكم.

قوله تعالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥].

قوله: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أصحاب النبي ﷺ خاصة، قاله ابن عباس، [٣٠٣/ب] والضحاك.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٠٩-٤١٠).

وقال الزبير بن العوام: لقد قرأناها زمانًا، وما نُرى أنَّا مِن أهلها، فإذا نحن المَعْنِيُّون بها[١].

والثاني: أنها نزلت في رجلين من قريش، قاله أبو صالح عن ابن عباس[٢]، ولم يسمِّهما.

والثالث: أنها عامة.

قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: في هذه الآية، أمر الله المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم، فيعمهم الله بالعذاب[٣].

وقال مجاهد: هذه الآية لكم أيضًا[٤].

والرابع: أنها نزلت في علي، وعمار، وطلحة، والزبير، قاله الحسن[٥].

وقال السدي: نزلت في أهل بدر خاصة، فأصابتهم يوم الجمل[٦].

وفي الفتنة هاهنا سبعة أقوال:

أحدها: القتال.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٦٢) من رواية عقبة بن صهبان، عن الزبير بن العوام ﷺ.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٠٣).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٦٤) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٥) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٣) من رواية داود بن أبي هند، عن الحسن به.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١١٥) من رواية أسباط، عن السدي به.

والثاني: الضلالة.

والثالث: السكوت عن إنكار المنكر.

والرابع: الاختبار.

والخامس: الفتنة بالأموال والأولاد.

والسادس: البلاء.

والسابع: ظهور البدع.

فأمّا قوله: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾.

فقال الفراء: أمرهم، ثم نهاهم، وفيه طرف من الجزاء، وإن كان نهيًا، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ [النمل:١٨] أمرهم، ثم نهاهم، وفيه تأويل الجزاء[١].

وقال الأخفش: ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ ليس بجواب، وإنما هو نهي بعد نهي، ولو كان جوابًا ما دخلت النون[٢].

وذكر ابن الأنباري فيها قولين:

أحدهما: أن الكلام تأويله تأويل الخبر، إذ كان المعنى: إن لا يتّقوها، تُصِبْ الذين ظلموا، أي: وغيرهم، أي: لا تقع بالظالمين دون غيرهم، لكنها تقع بالصالحين والطالحين، فلما ظهر الفعل ظهور النهي، والنهي

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٧).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٤٧).

راجع إلى معنى الأمر، إذ القائل يقول: لا تقم، يريد: دع القيام، ووقع مع هذا جوابًا للأمر، أو كالجواب له، فأُكِّد له شبه النهي، فدخلت النون المعروف دخولها في النهي وما يضارعه.

والثاني: أنها نهي محض، معناه: لا يقصدنَّ الظالمون هذه الفتنة، فيهلكوا، فدخلت النون لتوكيد الاستقبال، كقوله تعالى: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾.

وللمفسرين في معنى الكلام قولان:

أحدهما: لا تصيبن الفتنةُ الذين ظلموا.

والثاني: لا يصيبن عقاب الفتنة.

فإن قيل: فما ذنب مَن لم يظلم؟

فالجواب: أنه بموافقته للأشرار، أو بسكوته عن الإنكار، أو بتركه للفرار، استحق العقوبة.

وقد قرأ عليٌّ، وابن مسعود، وأُبيُّ بن كعب: «لَتصيبنَّ الذين ظلموا» بغير ألف[1].

قوله تعالَى: ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٤) نسبها لابن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي العالية، وفي التحصيل (٣/ ١٨٨) نسبها لعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٩١) بلا نسبة، وفي المحتسب (١/ ٢٧٧) نسبها لعلي، وزيد بن ثابت، وأبي جعفر محمد بن علي، والربيع بن أنس، وأبي العالية، وابن جماز.

قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ﴾.

قال ابن عباس: نزلت في المهاجرين خاصة، كانت عِدَّتُهم قليلةً، وهم مقهورون في أرض مكة، يخافون أن يستلبهم المشركون[1].

وفي المراد بالناس ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أهل مكة، قاله ابن عباس.

والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبِّه.

والثالث: أنهم المشركون الذين حضروا بدرًا، والمسلمون قليلون يومئذ، قاله قتادة. [٣٠٤/أ]

قوله: ﴿فَـَٔاوَىٰكُمۡ﴾ فيه قولان:

أحدهما: فآواكم إلى المدينة بالهجرة، قاله ابن عباس، والأكثرون.

والثاني: جعل لكم مأوى تسكنون فيه آمنين، ذكره الماوردي[2].

وفي قوله: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ قولان:

أحدهما: قوَّاكم بالملائكة يوم بدر، قاله الجمهور.

والثاني: عضدكم بنصره في بدر وغيرها، قاله أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ١١٧).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣١٠).

وفي قوله: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنها الغنائم التي أحلَّها لهم، قاله السدي.

والثاني: أنها الخيرات التي مكَّنهم منها، ذكره الماوردي[1].

قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

قوله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وذاك أن النبي ﷺ لما حاصر قريظة سألوه أن يصالحهم على ما صالح عليه بني النضير، على أن يسيروا إلى أرض الشام، فأبى أن يعطيَهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ، فأبَوا، وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة، وكان مناصحًا لهم، لأن ولده وأهله كانوا عندهم، فبعثه إليهم، فقالوا: ما ترى، أننزل على حكم سعد بن معاذ؟ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه: إنه الذبح، فلا تفعلوا، فأطاعوه، فكانت تلك خيانته، قال أبو لبابة: فما زالت قدمايَ حتى عَرفتُ أني قد خنت الله ورسوله، ونزلت هذه الآية، هذا قول ابن عباس[2]، والأكثرين.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣١٠).

(٢) عزاه الواحدي لابن عباس كما في التفسير البسيط (١٠/ ١٠٦)، ولم نقف عليه عنه ﷺ، وإنما هو عن عبد الله بن أبي قتادة كما عند الطبري في تفسيره (١١/ ١٢٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٧٥)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٢٠٥) (٩٨٧)، ورواه=

وروي أن أبا لبابة ربط نفسه بعد نزول هذه الآية إلى سارية من سواري المسجد، وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموتَ أو يتوب الله عليَّ، فمكث سبعة أيام كذلك، ثم تاب الله عليه، فقال: والله لا أَحُلُّ نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يَحُلُّني، فجاء فحلَّه بيده، فقال أبو لبابة: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب، وأن أنخلع من مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**يُجْزِئُكَ الثُّلُثُ**»[1].

والثاني: أن جبريل أتى رسولَ الله ﷺ فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**اخْرُجُوا إِلَيْهِ وَاكْتُمُوا**»، فكتب إليه رجل من المنافقين: إن محمدًا يريدكم، فخذوا حذركم، فنزلت هذه الآية، قاله جابر بن عبد الله[2].

=الطبري (١١/ ١١/ ١٢١) أيضًا عن الزهري، والذي وقفنا عليه عن ابن عباس في هذه الآية هو ما رواه الطبري (١١/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٨٩٧٤، ٨٩٧٨) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ﴾ يقول: بترك فرائضه ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ يقول: بترك سننه وارتكاب معصيته.

(١) رواه الطبري (١١/ ١١/ ١٢١) عن الزهري قوله: ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٧] قال: نزلت في أبي لبابة، بعثه رسول الله ﷺ فأشار إلى حلقه أنه الذبح. قال الزهري: فقال أبو لبابة: لا والله لا أذوق طعامًا ولا شرابًا حتى أموت أو يتوب الله علي، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعامًا ولا شرابًا، حتى خر مغشيًّا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: يا أبا لبابة قد تيب عليك قال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني، فجاءه فحلَّه بيده. ثم قال أبو لبابة: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالي قال: «**يجزيك الثلث أن تصدق به**».

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٢١) من رواية عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبد الله ﷺ به.

والثالث: أنها نزلت في قتل عثمان بن عفان، قاله المغيرة بن شعبة[١].

والرابع: أن قومًا كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ، فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت هذه الآية، قاله السدي[٢].

وفي خيانة اللهِ قولان:

أحدهما: ترك فرائضه.

والثاني: معصية رسوله.

وفي خيانة الرسول قولان:

[٣٠٤/ب] **أحدهما**: مخالفته في السِّرِّ بعد طاعته في الظاهر.

والثاني: ترك سنَّته.

وفي المراد بالأمانات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الفرائض، قاله ابن عباس[٣].

وفي خيانتها قولان:

أحدهما: تنقيصها.

والثاني: تركها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٢٢) من رواية محمد بن عبد الله بن عون الثقفي، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٢٣) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٣) رواه الطبري (١١/ ١٢٥)، وابن أبي حاتم (٨٩٧٤، ٨٩٧٨) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

والثاني: أنها الدِّين، قاله ابن زيد.

فيكون المعنى: لا تُظهروا الإيمان وتُبطنوا الكفر.

والثالث: أنها عامة في خيانة كلِّ مُؤتَمَنٍ، ويؤكِّده نزولها في ما جرى لأبي لبابة.

قوله تعالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٨، ٢٩].

قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

قال ابن عباس: هذا خطاب لأبي لبابة، لأنه كانت له أموال وأولاد عند بني قريظة[1].

فأما الفتنة، فالمراد بها: الابتلاء والامتحان الذي يُظهر ما في النفس من اتِّباع الهوى أو تجنُّبِه.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ خير من الأموال والأولاد.

قوله: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: بترك معصيته، واجتناب الخيانة لله ورسوله.

---

(١) لم نقف عليه.



قوله: ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾.

فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه المخرج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وعكرمة، والضحاك، وابن قتيبة[1].

والمعنى: يجعل لكم مخرجًا في الدين من الضلال.

والثاني: أنه النجاة، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والسدي.

والثالث: أنه النصر، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الفراء[2] [3].

والرابع: أنه هدى في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل، قاله ابن زيد، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠].

قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

هذه الآية متعلِّقة بقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ فالمعنى: أَذْكِرِ المؤمنين ما مَنَّ الله به[4] عليهم، واذكر إذ يمكر بك الذين كفروا.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٨).

(٢) قوله: (وبه قال الفراء)، ليس في (ف).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٠٨).

(٤) ليست في (ف).

الإشارة إلى كيفية مكرهم

قال أهل التفسير: لَمَّا بويع رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وأمر أصحابه أن يلحقوا بالمدينة، أشفقت قريش أن يعلوَ أمره، وقالوا: والله لكأنكم به قد كرَّ عليكم بالرجال.

فاجتمع جماعة من أشرافهم ليدخلوا دار الندوة فيتشاوروا في أمره، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ كبير، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا شيخ من أهل نجد، سمعت ما اجتمعتم له، فأردت أن أحضركم، ولن تعدموا من رأيي نصحًا، فقالوا: ادخل، فدخل معهم، فقالوا: انظروا في أمر هذا الرجل، فقال بعضهم: احبسوه في وَثاق، وتربَّصوا به ريب المنون. فقال إبليس: ما هذا برأي، يوشك أن يثب أصحابه فيأخذوه من أيديكم. فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم. فقال: ما هذا برأي، يوشك أن يجمع عليكم ثم يسير إليكم. فقال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة غلامًا، ثم نعطي كل غلام سيفًا فيضربوه به[1] ضربة رجل واحد، فيفرَّق دمه في القبائل، فلا أظن هذا الحي من قريش يقوى على حرب قريش كلِّها، فيقبلون العَقل ونستريح. فقال إبليس: هذا والله الرأي. فتفرَّقوا عن ذلك. [٣٠٥/أ]

وأتى جبريلُ رسولَ الله ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه، وأخبره بمكر القوم، فلم يبت في مضجعه تلك الليلة، وأمر عليًّا فبات في مكانه،

---

(١) ليست في (ف).



وبات المشركون يحرسونه، فلمَّا أصبح رسول الله ﷺ، أذن الله له في الخروج إلى المدينة، وجاء المشركون لَمَّا أصبحوا، فرأوا عليًّا، فقالوا: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصُّوا أثره حتى بلغوا الجبل، فمرُّوا بالغار، فرأوا نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخله لم يكن عليه نسج العنكبوت(١).

فأما قوله: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾.

فقال ابن قتيبة: معناه: ليحبسوك. يقال: فلان مثبت وجعًا: إذا لم يقدر على الحركة(٢).

وللمفسرين فيه قولان:

أحدهما: ليثبتوك في الوَثاق، قاله ابن عباس، والحسن في آخرين.

والثاني: ليثبتوك في الحبس، قاله عطاء، والسدي في آخرين.

وكان القومُ أرادوا أن يحبسوه في بيت ويسدوا عليه بابه ويلقوا إليه الطعام والشراب.

وقد سبق بيان معنى المكر في «آل عمران»(٣).

---

(١) رواه الطبري نحوه في تفسيره (١١/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٩٤) من رواية مجاهد، عن ابن عباس ﷺ به. وكذلك رواه بنحوه عبد الرزاق في مصنفه (٩٧٤٣) من رواية معمر عن عثمان الجزري عن مقسم مولى ابن عباس ﷺ به.

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٥٤).

قولـه تَعَـالَى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأنفـال: ٣١].

قوله: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا ﴾.

ذكـر أهـل التفسـير أن هـذه الآيـه نزلـت في النـضر بـن الحـارث بـن علقمـة بــن كلــدة، وأنــه لمَّــا ســمع رســول الله ﷺ يذكــر قصــص القــرون الماضيـة، قـال: لـو شـئت لقلـت مثـل هـذا(١).

وفي قوله: ﴿قَدْ سَمِعْنَا ﴾ قولان:

أحدهما: قد سمعنا منك ولا نطيعك.

والثـاني: قـد سـمعنا قبـل هـذا مثلـه، وكان النـضر يختلـف إلى فـارس تاجـرًا فيسـمع العبَّـاد يقـرءون الإنجيـل.

وقد بين التحدِّي كذب من قال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ﴾.

وقد سبق معنى الأساطير في «الأنعام»(٢).

قولـه تَعَـالَى: ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفـال: ٣٢].

---

(١) رواه الطـبري في تفسـيره (١١/ ١٤٣، ١٤٢)، وابـن أبي حاتـم (٩٠٠١، ٩٠٠٢) عـن ابـن جريـج، والسـدي، وسـعيد بـن جبـر.

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢٥).

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في النضر أيضًا، رواه جماعة عن ابن عباس[١]، وبه قال سعيد بن جبير[٢]، ومجاهد[٣]، وعطاء[٤]، والسدي[٥].

والثاني: أنها نزلت في أبي جهل، فهو القائل لهذا، قاله أنس بن مالك، وهو مخرَّج في «الصحيحين»[٦].

والثالث: أنها نزلت في قريش، قالوا هذا ثم ندموا فقالوا: غفرانك اللهم، فأنزل الله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ رواه أبو معشر عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس[٧].

وفي المشار إليه بقوله: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن.

والثاني: كل ما يقوله رسول الله ﷺ من الأمر بالتوحيد وغيره.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٠٨) من رواية رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري (١١/ ١٤٤) من رواية أبي بشر، عن سعيد بن جبير.

(٣) رواه الطبري (١١/ ١٤٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد.

(٤) رواه الطبري (١١/ ١٤٥) من رواية طلحة بن عمرو، عن عطاء.

(٥) رواه الطبري (١١/ ١٤٥) من رواية أسباط، عن السدي.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٤٩، ٤٦٤٨)، ومسلم في صحيحه (٢٧٩٦) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٧) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥١) من رواية أبي معشر، عن يزيد بن رومان، ومحمد بن قيس به.

والثالث: أنه إكرام محمد ﷺ بالنبوة من بين قريش.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣﴾ [الأنفال: ٣٣].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾.

في المشار إليه قولان:

أحدهما: أهل مكة.

وفي[١] معنى الكلام قولان:

أحدهما: وما كان الله ليعذبهم وأنت مقيم بين أظهرهم. [٣٠٥/ب]

قال ابن عباس: لم تُعذَّب قرية حتى يخرج نبيُّها والمؤمنون معه[٢].

والثاني: وما كان الله ليعذِّبهم وأنت حيٌّ، قاله أبو سليمان.

والثاني: أن المشار إليهم المؤمنون، والمعنى: وما كان الله[٣] ليعذب المؤمنين بضرب من العذاب الذي أهلك به مَن قبلهم وأنت حيٌّ، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) في (ف): (ثم في).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٥٥) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﵁ به.

(٣) قوله: (وما كان الله)، ليس في (ف).



فَصْلٌ

قال الحسن، وعكرمة[١]: هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾، وفيه بُعد؛ لأن النسخ لا يدخل على الأخبار.

وقال ابن أبزى: كان النبي ﷺ بمكة، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ فخرج إلى المدينة، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾. وكان أولئك البقية من المسلمين[٢] بمكة يستغفرون! فلما خرجوا أنزل الله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٣].

وجميع أقوال المفسرين تدلُّ على أنَّ قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ كلام مبتدأ من إخبار الله ﷻ.

وقد روي عن محمد بن إسحاق أنه قال: هذه الآية من قول المشركين، قالوا: والله إنَّ الله لا يعذبنا ونحن نستغفر، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٤].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٣٠) عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فنسختها الآية التي تليها: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فقوتلوا بمكة، فأصابهم فيها الجوع والحصر.

(٢) قوله: (من المسلمين)، ليس في (ف).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٤٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٢٧) من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن ابن أبزى به.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٥٢).

قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾.

في معنى هذا الكلام خمسة أقوال:

أحدها: وما كان الله معذِّب المشركين، وفيهم من قد سبق له أن يؤمن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، واختاره الزَّجَّاج[١].

والثاني: وما كان الله معذِّبَهم وهم يستغفرون الله، فإنهم كانوا يلبون ويقولون: غفرانك، وهذا مروي عن ابن عباس أيضًا، وفيه ضعف، لأن استغفار المشرك لا أثر له في القبول.

والثالث: وما كان الله معذِّبَهم، يعني المشركين، وهم - يعني: المؤمنين الذين بينهم - يستغفرون، روي عن ابن عباس أيضًا، وبه قال الضحاك، وابن مالك.

قال ابن الأنباري: وُصفوا بصفة بعضهم، لأن المؤمنين بين أظهرهم، فأوقع العموم على الخصوص، كما يقال: قتل أهل المسجد رجلًا، وأخذ أهل البصرة فلانًا، ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد.

والرابع: وما كان الله معذِّبهم وفي أصلابهم مَن يستغفر، قاله مجاهد.

قال ابن الأنباري: فيكون معنى تعذيبهم: إهلاكهم، فالمعنى: وما كان الله مهلكهم، وقد سبق في علمه أنه يكون لهم أولاد يؤمنون به ويستغفرونه، فوصفهم بصفة ذراريهم، وغُلِّبوا عليهم كما غُلِّب بعضهم على كلهم في الجواب الذي قبله.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).



والخامس: أن المعنى لو استغفروا لما عذَّبهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقُّوا العذاب، وهذا كما تقول العرب: ما كنت لأهينك وأنت تكرمني، يريدون: ما كنت لأهينك لو أكرمتني، فأما إذ لست تكرمني، فإنك مستحقٌّ لإهانتي، وإلى هذا القول ذهب قتادة، والسدي. [٣٠٦/أ]

قال ابن الأنباري: وهو اختيار اللغويين.

وذكر المفسرون في معنى هذا الاستغفار ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الاستغفار المعروف، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

والثاني: أنه بمعنى الصلاة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، ومنصور عن مجاهد، وبه قال الضحاك.

والثالث: أنه بمعنى الإسلام، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنفال: ٣٤].

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾.

هذه الآية أجازت تعذيبهم، والأُولى نفت ذلك.

وهل المراد بهذا: العذابُ الأولُ، أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: أنه هو الأول، إلا أن الأول امتنع بشيئين:

أحدهما: كون النبي ﷺ فيهم.

والثاني: كون المؤمنين المستغفرين بينهم، فلما وقع التمييز بالهجرة، وقع العذاب بالباقين يوم بدر، وقيل: بل وقع بفتح مكة.

والثاني: أنهما مختلفان، وفي ذلك قولان:

أحدهما: أن العذاب الثاني قَتْلُ بعضِهم يوم بدر، والأول استئصال الكُلِّ، فلم يقع الأول لِما قد عُلم من إيمان بعضهم، وإسلام بعضِ ذراريهم، ووقع الثاني.

والثاني: أن العذاب الأول عذاب الدنيا.

والثاني: عذاب الآخرة، قاله ابن عباس.

فيكون المعنى: وما كان اللهُ معذِّبَ المشركين لاستغفارهم في الدنيا، وما لهم ألا يعذبهم الله في الآخرة.

قوله: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى وهم يصدون عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أولياءَه[1].

وفي هاء الكناية في قوله: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى «المسجد الحرام»، وهو قول الجمهور.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام، فردَّ الله عليهم بهذا[(١)].

والثاني: أنها تعود إلى الله ﷻ، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ﴾ أي: ما أولياؤه.

﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ إِلَّا الْمُتَّقُونَ للشرك والمعاصي، ولكنَّ أكثر أهل مكة لا يعلمون من الأولى ببيت الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: ٣٥].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾.

سبب نزولها:

أنهم كانوا يطوفون بالبيت ويصفِّقون ويَصْفِرُون ويضعون خدودهم بالأرض، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عمر[(٢)].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٣٠).

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٣٦) من رواية قرة عن عطية، عن ابن عمر به. وقال ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٩٦): «وحكى ابن عمر: أنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفرون».

فأما المكاء ففيه قولان:

أحدهما: أنه الصَّفير، قاله ابن عمر، وابن عباس، وابن جبير، وقتادة، وأبو عبيدة[١]، والزَّجَّاج[٢]، وابن قتيبة[٣].

قال ابن فارس: يقال: مكا الطائر يمكو[٤] مُكاءً: إذا صَفَر، ويقال: مَكِيَتْ يده مَكىً[٥]، مقصور، أي: غلُظت وخشُنت، ويقال: تمكَّى: إذا توضَّأ[٦].

وأنشدوا[٧]: [من الرجز]

.... كَالمُتَمَكِّي بِدَمِ الْقَتِيلِ

وسئل أبو سلمة بن عبد الرحمن عن المكاء، فجمع كفَّيْه، وجعل يَصْفِر فيهما[٨].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٤) ليست في (ر).

(٥) ليست في (ر).

(٦) انظر: مجمل اللغة (١/ ٨٣٨).

(٧) البيت لعنترة الطائي في لسان العرب (١٥/ ٢٩٠) مادة (مكا)؛ وتاج العروس (٣٩/ ٥٥٣) مادة (مكا)؛ وبلا نسبة في تهذيب اللغة (١٠/ ٢٢٣)، والصحاح (٦/ ٢٤٩٦)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٤٥)، وصدره: «إِنَّكَ والجَوْرَ عَلَى سَبِيل».

(٨) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦٦) عن جعفر بن ربيعة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، في قوله: ﴿مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ قال: المكاء: النفخ، وأشار بكفه قبل فيه، والتصدية: التصفيق.

[٣٠٦/ ب] **والثاني**: أنه إدخال أصابعهم في أفواههم يخلطون به، وبالتَّصدية على محمد ﷺ صلاتَه، قاله مجاهد.

قال ابن الأنباري: أهل اللغة ينكرون أن يكون المكاء[1] إدخالَ الأصابع في الأفواه، وقالوا: لا يكون إلا الصفير.

وفي التصدية قولان:

أحدهما: أنها التَّصفيق، قاله ابن عمر، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والجمهور.

قال ابن قتيبة: يقال صدَّى: إذا صفَّق بيديه[2].

قال الراجز[3]: [من الرجز]

ضَنَّت بخَدٍّ وجَلَتْ عَنْ خَدِّ وَأَنَا مِنْ غَرْوِ الْهَوَى أُصَدِّي

الغرو: العجب، يقال: لا غرو من كذا، أي: لا عجب.

والثاني: أن التصدية: صدُّهم الناس عن البيت الحرام، قاله سعيد بن جبير.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٣) البيت لبشار بن برد كما في الشعر والشعراء (٢/ ٧٤٦)، والأشباه والنظائر (١/ ٢٤)، والتشبيهات لابن أبي عون (باب في الوجه والضياء)، والدر الفريد (٤/ ٧٨).

وقال ابن زيد: وهو صدُّهم عن سبيل الله ودينه[١].

وزعم مقاتل أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد الحرام، قام رجلان من المشركين من بني عبد الدار عن يمينه فيصفِّران، ورجلان عن يساره فيصفِّقان، فتختلط على النبي ﷺ صلاته وقراءته، فقتلهم الله ببدر، فذلك قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بتوحيد الله[٢].

فإن قيل: كيف سمى المكاءَ والتصديةَ صلاةً؟

فعنه جوابان ذكرهما ابن الأنباري:

أحدهما: أنهم جعلوا ذلك مكان الصلاة، ومشهور في كلام العرب أن يقول الرجل: زرت عبد الله، فجعل جفائي صِلَتي، أي: أقام الجفاء مقام الصِّلة.

قال الشاعر[٣]: [من الرجز]

قُلْتُ لَهُ اطْعِمني عَمِيْمُ تَمْرَا   فَكَانَ تَمْرِيْ كَهْرَةً وَزَبْرا

أي: أقام الصياح عليَّ مقام التمر.

والثاني: أن من كان المكاءُ والتصديةُ صلاتَه فلا صلاة له، كما تقول العرب: ما لفلان عيب إلا السخاء، يريدون: مَنِ السخاء عيبه، فلا عيب له.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٥٠) عن ابن زيد به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٤).

(٣) الرجز بلا نسبة في المخصص (١/ ٢٢٠)، والأضداد (ص:١٧٨)، وكتاب الأفعال (٣/ ٤٦٨). الكهرة: الانتهار. الزبر: الزجر.

قال الشاعر[1]: [من الطويل]

فَتــىً كَمُلَــتْ خيراتُــهُ غَــيْرَ أَنَّــهُ جَـوَادٌ فَـلَا يُبقِـي مِـنَ الْمَـالِ بَاقِيَـا

قولــه تعَــالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأنفـال: ٣٦].

قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدهــا: أنهــا نزلــت في المطعِمــين ببــدر، وكانــوا اثنــي عــشر رجــلًا يطعمــون النــاس الطعــام، كل رجــل يطعــم يومًــا، وهــم: عتبـة، وشـيبة، ومُنبِّه، ونُبَيــه ابنــا الحجــاج، وأبــو البَخْــتَري، والنــضر بــن الحــارث، وأبــو جهــل، وأخــوه الحــارث، وحكيــم بــن حــزام، وأُبَيٌّ بــن خلــف، وزمعــة بــن الأســود، والحــارث بــن عامــر بــن نوفــل، هــذا قــول أبي صالــح عــن ابــن عبــاس[2].

---

(١) البيــت للنابغــة الجعــدي في ديوانــه (ص ١٧٣)، والكتــاب (٢/ ٣٢٦)، والشــعر والشــعراء (١/ ٢٨٤)، وأمــالي القــالي (٢/ ٢)، وغريــب الحديــث؛ للخطــابي (٢/ ٥٣٧)، وأمــالي المرتــضى (١/ ٢٦٨)، وخزانــة الأدب (٣/ ٣٣٤، ٣٣٦)، والــدرر (٣/ ١٨٢)، وديــوان المعــاني (١/ ٣٦)، وشرح أبيــات ســيبويه (٢/ ١٦٢)، وشرح شــواهد المغنــي (٢/ ٦١٤)، ولســان العـرب (٢/ ٦٣١)، وبـلا نسـبة في الأشـباه والنظائـر (٨/ ١٩٣)، والصاحبـي في فقـه اللغـة (ص٢٦٧)، وهمــع الهوامــع (١/ ٢٣٤).

(٢) لم نقف عليه عن ابن عباس، وقد عزاه أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣١٦) لمقاتل والكلبي.

والثاني: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أُحُد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله ﷺ سوى من استجاش من العرب، قاله سعيد بن جبير[١].

وقال مجاهد: نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أُحُد[٢].

والثالث: أنها نزلت في أهل بدر، وبه قال الضحاك[٣]. [٣٠٧/أ]

فأمَّا ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فهو دين الله.

قوله: ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي تكون عاقبة نفقتهم ندامة، لأنهم لم يظفروا.

قوله تعالَى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ٣٧﴾ [الأنفال: ٣٧].

قوله: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «ليميز» خفيفة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٥٤) من رواية جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٧٢) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٧٤) من رواية عبيد بن سليمان، عن الضحاك به.

وقرأ حمزة، والكسائي: «ليميِّز» بالتشديد[١]، وهما لغتان: مِزْتُه وميَّزْتُه.

وفي لام ﴿لِيَمِيزَ﴾ قولان:

أحدهما: أنها متعلقة بقوله: ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ قاله ابن الأنباري.

والثاني: أنها متعلقة بقوله: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ قاله ابن جرير الطبري[٢].

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: ليميز أهل السعادة من أهل الشقاء، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقال السدي، ومقاتل[٣]: يميز المؤمن من الكافر.

والثاني: ليميِّز العمل الطيب من العمل الخبيث، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: ليميز الإنفاق الطيب في سبيله، من الإنفاق الخبيث في سبيل الشيطان، قاله ابن زيد، والزَّجَّاج[٤].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢٢٠، ٣٠٦)، والحجة (٣/ ١١٠)، و(٤/ ١٥٢)، والمبسوط (ص:١٧٢)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٢٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ١٧٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٥).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٢).

قوله: ﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي: يجمع بعضه فوق بعض، وهو قوله: ﴿فَيَرْكُمَهُ﴾.

قال الزَّجَّاج: الرَّكم: أن يُجعَل بعضُ الشيء على بعض، يقال: ركمت الشيء أركُمه رَكمًا، والرُّكام: الاسم، فمن قال: المراد بالخبيث: الكفار، فإنهم في النار بعضهم على بعض[1].

ومن قال: أموالهم، فله في ذلك قولان:

أحدهما: أنها أُلقيت في النار ليعذَّب بها أربابُها، كما قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة:٣٥].

والثاني: أنهم لَمَّا عظَّموها في الدنيا، أراهم هوانها بإلقائها في النار كما تُلقى الشمس والقمر في النار، لِيرى مَن عبدهما ذُلَّهما.

قوله تعالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨].

قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

نزلت في أبي سفيان وأصحابه، قاله أبو صالح عن ابن عباس[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٣).

(٢) عزاه الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٤٨) للكلبي، ومعلوم أنه أخذ تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس.

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة يُغْفَرْ لهم ما سلف من حربهم، فلا يُؤاخَذون به، وإن يعودوا إلى المحاربة، فقد مضت سنة الأولين في نصر الله أولياءه، وقيل: في قتل من قُتِل يوم بدر وأُسر.

والثاني: إن ينتهوا عن الكفر يُغْفَر لهم ما قد سلف من الإثم، وإن يعودوا إليه، فقد مضت سُنَّةُ الأولين من الأمم السالفة حين أُخذوا بالعذاب المستأصِل.

قال يحيى بن معاذ في هذه الآية: إنَّ توحيدًا لم يعجِزْ عن هدم ما قبله من كفر، لا يعجِزُ عن هدم ما بعده من ذنب[1].

قوله تعالَى: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنفال: ٣٩].

قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك.

وقال الزَّجَّاج: حتى لا يفتن الناس فتنة كفر، ويدلُّ عليه قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾[2].

قوله: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ أي: عن الكفر والقتال.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٥٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٤٩-١٥٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٣).

وقرأ يعقوب إلا روحًا: «بما تعملون» بالتاء[١].

قولــه تعــالَى: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٤٠].

قوله: ﴿ وَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ أي: أعرضوا عن الإيمان وعادوا إلى القتال.

﴿فَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ أي: وليكم وناصركم. [٣٠٧/ ب]

قال ابن قتيبة: ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ أي نعم الولي[٢].

﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ أي: الناصر، مثل قدير وقادر، وسميع وسامع.

قولــه تعــالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [الأنفال: ٤١].

قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾.

اختلفوا، هل الغنيمة والفيء بمعنى واحد، أم يختلفان؟

على قولين:

أحدهما: أنهما يختلفان.

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢٢١)، والبحر المحيط (٥/ ٣١٩)، والتحصيل (٣/ ١٨٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:٢٩٥).

ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن الغنيمة: ما ظُهر عليه من أموال المشركين، والفيء: ما ظُهر عليه من الأرضين، قاله عطاء بن السائب.

والثاني: أن الغنيمة: ما أُخذ عنوةً، والفيء: ما أُخذ عن صلح، قاله سفيان الثوري.

وقيل: بل الفيء: ما لم يوجَفْ عليه بخيلٍ ولا ركاب، كالعشور والجزية، وأموال المهادنة والصلح، وما هربوا عنه.

والثاني: أنهما واحد، وهما كل ما نيل من المشركين، ذكره الماوردي[١].

وقال الزَّجَّاج: الأموال ثلاثة أصناف فما صار إلى المسلمين من المشركين في حال الحرب، فقد سمَّاه الله تعالى: أنفالًا وغنائم، وما صار من المشركين من خراج أو جزية مما لم يؤخذ في الحرب، فقد سماه: فيئًا، وما خرج من أموال المسلمين، كالزكاة، والنذر، والقرب، سماه: صدقة[٢].

وأما قوله: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ فالمراد به: كل ما وقع عليه اسم شيء.

قال مجاهد: المِخْيَط من الشيء[٣].

قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣١٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٣-٤١٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٨٤) من رواية ليث، عن مجاهد به.

وروى عبد الوارث [عن أبي عمرو][١]: «خُمْسَهُ» بسكون الميم[٢].

وفي المراد بالكلام قولان:

أحدهما: أن نصيب الله مستَحَقٌّ يُصرف إلى بيته.

قال أبو العالية: كان يجاء بالغنيمة فيقسمها رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، فيقسم أربعة بين الناس ثم يجعل من السهم الخامس للكعبة، وهذا مما انفرد به أبو العالية فيما يقال[٣].

والثاني: أن ذكر الله هاهنا لأحد وجهين:

أحدهما: لأنه المتحكِّم فيه، والمالك له، والمعنى: فإن للرسول خمسهُ ولذي القربى، كقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.

والثاني: أن يكون المعنى: إن الخمس مصروف في وجوه القرب إلى الله تعالى، وهذا قول الجمهور.

فعلى هذا تكون الواو زائدة، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٤]، المعنى: ناديناه، ومثله كثير.

---

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (ف).

(٢) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٩٥) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٢٦) نسبها للحسن وعبد الوارث عن أبي عمرو.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٠٨٦) من رواية الربيع بن أنس، عن أبي العالية به.

فَصْلٌ

أجمع العلماء على أن أربعة أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة.

فأما الخمس الخامس، فكيف يقسم؟

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يقسم منه لله وللرسول ولمن ذكر في الآية، وقد ذكرنا أن هذا مما انفرد به أبو العالية، وهو يقتضي أن يقسم على ستة أسهم.

والثاني: أنه مقسوم على خمسة أسهم: سهم للرسول، وسهم لذوي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لأبناء السبيل، على ظاهر الآية، وبه قال الجمهور.

والثالث: أنه يقسم على أربعة أسهم: فسهم الله ﷻ وسهم رسوله [٣٠٨/أ] عائد على ذوي القربى، لأن رسول الله ﷺ لم يكن يأخذ منه شيئًا، وهذا المعنى رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

فَصْلٌ

فأما سهم الرسول ﷺ، فإنه كان يصنع فيه ما بيَّنَّا.

وهل سقط بموته أم لا؟

فيه قولان:

أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد، والشافعي في آخرين.

وفيما يُصنَع به قولان:

أحدهما: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة.

والثاني: أنه[1] يُصْرَفُ في المصالح، وبه قال أحمد، والشافعي.

والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط[2] الصفيُّ، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة.

وأما ذوو القربى، ففيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم جميع قريش.

قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم فأبى علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى[3].

والثاني: بنو هاشم وبنو المطلب، وبه قال أحمد، والشافعي.

والثالث: أنهم بنو هاشم فقط، قاله أبو حنيفة.

وبماذا يستحقون؟

فيه قولان:

أحدهما: بالقرابة وإن كانوا أغنياء، وبه قال أحمد، والشافعي.

والثاني: بالفقر لا بالاسم، وبه قال أبو حنيفة.

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في (ف): (سقط).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ١٩٤) من رواية أبي معشر، عن سعيد المقبري، عن ابن عباس ﷺ به.

وقد سبق في «البقرة» معنى اليتامى والمساكين وابن السبيل(١).

وينبغي أن تُعتبر في اليتيم أربعة أوصاف:

موت الأب: وإن كانت الأم باقية.

والصِّغَر: لقوله ﷺ: **«لا يُتْمَ بعد حُلُم»**(٢).

والإِسلام: لأنه مال للمسلمين.

والحاجة: لأنه معدٌّ للمصالح.

قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾.

هو يوم بدر، فُرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين.

والذي أُنزل عليه يومئذ قوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِ﴾ نزلت حين اختلفوا فيها.

فالمعنى: إن كنتم آمنتم بذلك، فاصدروا عن أمر الرسول ﷺ في هذا أيضًا.

---

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٢٨٧٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (١١٤٥٠، ١١٤٥١)، وسعيد بن منصور في سننه (١٠٣٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٦٥٨)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٩٠، ٦٥٦٤، ٧٣٣١)، وفي الصغير (٢٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١١٣٠٩)، والبغوي في شرح السنة (٢٣٥٠)، والضياء في المختارة (٦٨٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٨٣٩، ١٥٥٠، ٥٢٩٣) وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.
وفي الباب: عن جابر كما عند الطيالسي في مسنده (١٨٧٦)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٣٨٩٩)، وعن أنس كما عند البزار في مسنده (٦٢٤٣).

قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

قوله: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «بالعِدوة» و«العِدوة» العين فيهما مكسورة.

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: بضم العين فيهما[١].

قال الأخفش: لم يُسمع من العرب إلا الكسر[٢].

وقال ثعلب: بل الضم أكثر اللغتين[٣].

قال ابن السِّكِّيت: عُدوة الوادي وعِدوته: جانبه، والجمع: عُدىً وعِدىً[٤].

و﴿الدُّنْيَا﴾: تأنيث الأدنى وضدها: القصوى وهي تأنيث الأقصى، وما كان من النعوت على «فُعلى» من ذوات الواو، فإن العرب تحوِّلُه إلى الياء، نحو: الدنيا، من: دنوت، والعليا، من: علوت، لأنهم يستثقلون

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠٦)، والحجة (٤/ ١٢٨)، والمبسوط (ص:٢٢١)، والتيسير (ص:١١٦)، والتحصيل (٣/ ١٨٩).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٦٦)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٢٧)، وهو مخالف لما في كتابه معاني القرآن حيث أقرَّ اللغتين فقال: «وهما لغتان».

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٦٦)، ولم أجده في كتابه الفصيح.

(٤) انظر: إصلاح المنطق (ص:٩١).

الـواو مـع ضـم الأول، وليـس في هـذا اختـلاف، إلا أن أهـل الحجـاز قالـوا: القُصـوى، فأظهـروا الـواو، وهـو نـادر، وغيرهـم يقـول: القصيـا.

قـال المفـسرون: ﴿إِذْ أَنتُم﴾ بشـفير الـوادي الأدنـى مـن المدينـة، وعدوكـم بشـفيره الأقـصى إلى مكـة، وكان الجمعـان قـد نـزلا وادي بـدر عـلى [٣٠٨/ ب] هـذه الصفـة، ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾: أبـو سـفيان وأصحابـه.

قـال الزَّجَّـاج: مـن نصـب «أسـفلَ» أراد: والركـب مكانًـا أسـفل منكـم، ويجـوز الرفـع عـلى معنـى: والرَّكـب أشـدُّ تسـفُّلا منكـم[١].

قال قتادة: كان المسلمون أعلى الوادي، والمشركون أسفله[٢].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَـٰدِ﴾ قولان:

أحدهمـا: لـو تواعدتـم، ثـم بلغكـم كثرتهـم، لتأخَّرتـم عـن الميعـاد، قالـه ابـن إسـحاق.

والثـاني: لـو تواعدتـم عـلى الاجتـماع في المـكان الـذي اجتمعتـم فيـه مـن عِـدوتي وادي بـدر لاختلفتـم في الميعـاد، قالـه أبـو سـليمان.

وقـال المـاوردي: كانـت تقـع الزيـادة والنقصـان، أو التقـدم والتأخـر مـن غـير قصـد لذلـك[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٠٤) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٢).

قولـه: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ وهـو إعـزاز الإسـلام، وإذلال الـشرك.

قوله: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

وروى خلف عن يحيى: «ليُهلَك» بضم الياء وفتح اللام[1].

قوله: ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾.

قـرأ أبـو عمـرو، وابـن عامـر، وحمـزة، والكسـائي: «مـن حـيَّ» بيـاء واحـدة مشـددة، وهـذه روايـة حفـص عـن عاصـم، وقنبـل عـن ابـن كثـير.

وروى شِـبْلٌ عـن ابـن كثـير، وأبـو بكـر عـن عاصـم: «حيِـي» بياءيـن الأولى مكسـورة، والثانيـة مفتوحـة، وهـي قـراءة نافـع[2].

فمـن قـرأ بياءيـن، بـيَّن ولم يُدغـم، ومـن أدغـم يـاء «حيـي» فلاجتـماع حرفـين مـن جنـس واحـد.

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهمـا: ليُقتَـل مـن قُتـل مـن المشركـين عـن حُجـة، ويبقـى مـن بقـي منهـم عـن حُجـة.

والثاني: ليكفر من كفر بعد حُجة، ويؤمن من آمن عن حُجة.

---

(١) لم نقف عليها.

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٦-٣٠٧)، والحجة (٤/ ١٢٩)، والمبسوط (ص:١٠٠).



قولـه تعـالَى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنفـال: ٤٣].

قوله: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن نبي الله ﷺ رأى عسكر المشركين في المنام قبل لقائهم في قلَّة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

قال مجاهد: لما أخبر أصحابه بأنه رآهم في المنام قليلًا، كان ذلك تثبيتًا لهم[١].

قال أبو سليمان الدمشقي: والكلام متعلق بما قبله، فالمعنى: وإن الله لسميع لما يقوله أصحابك، عليم بما يضمرونه، إذ حدثتَهم بما رأيت في منامك.

والثاني: إذ يريكهم الله بعينك التي تنام بها، قاله الحسن.

قال الزَّجَّاج: وكثير من النحويين يذهبون إلى هذا المذهب، ومعناه عندهم: إذ يريكهم الله في موضع منامك، أي: بعينك، ثم حذف الموضع وأقام المنام مقامه[٢].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٠٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩١١٨) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤١٩).

قوله: ﴿لَفَشِلْتُمْ﴾ أي: لجبنتم وتأخَّرتم عن حربهم.

وقال مجاهد: لفشل أصحابك، ولرأوا ذلك في وجهك[١].

قوله: ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لاختلفتم في حربهم، فكان ذلك من دواعي هزيمتكم.

﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ من المخالفة والفشل.

قوله تعالَى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤].

قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾.

قال مقاتل: صدَّق الله رؤيا رسوله التي أخبر بها المؤمنين عن قلة [٣٠٩/أ] عدوهم قبل لقائهم، بأن قلَّلهم وقت اللقاء في أعينهم[٢].

وقال ابن مسعود: لقد قلُّوا في أعيننا، حتى قلت لرجل إلى جانبي: أتُراهم سبعين؟ قال: أُراهم مائة حتى أخذنا رجلًا منهم، فسألناه، فقال: كنَّا ألفًا[٣].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩١٢٠)من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢١٢) من رواية ابن جريج، عن ابن مسعود بلفظ: «قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل: أتراهم يكونون مائة؟».
وقد ذكره بلفظ المصنِّف: الثعلبي في الكشف والبيان (٣/ ٢٢)، و(٤/ ٣٦٢)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٣٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٧٨).

قال أبو صالح عن ابن عباس: استقلَّ المسلمون المشركين، والمشركون المسلمين، فاجترأ بعضهم على بعض[1].

فإن قيل: ما فائدة تكرير الرؤية هاهنا، وقد ذُكرت في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ﴾؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن الأولى كانت في المنام، والثانية في اليقظة.

والثاني: أن الأولى للنبي ﷺ خاصة، والثانية له ولأصحابه.

فإن قيل: تكثير المؤمنين في أعين الكافرين أولى، لمكان إعزازهم؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنهم لو كثروا في أعينهم، لم يقدموا عليهم، فلم يكن قتال، والقتال سبب النصر، فقلَّلهم لذلك.

والثاني: أنه قلَّلهم لئلا يتأهَّب المشركون كل التأهُّب فإذا تحقق القتال، وجدهم المسلمون غير مستعدين، فظفروا بهم.

والثالث: أنه قلَّلهم ليحمل الأعداء عليهم في كثرتهم، فيغلبهم المسلمون، فيكون ذلك آية للمشركين ومنبِّهًا على نصرة الحقِّ.

---

(١) في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ١٧٨): «قال ابن عباس: ليجترؤا عليكم ولا ينهزموا ولا يرجعوا عن قتالكم».

قولـه تعـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفـال: ٤٥، ٤٦].

قوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ الفئة: الجماعة.

﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: أنه الدعاء والنصر.

والثاني: ذكر الله على الإطلاق.

قوله: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾ قد سبق ذكر التنازع والفشل آنفًا.

قوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

وروى أبان: «ويذهبْ» بالياء والجزم[١].

وفيه أربعة أقوال:

أحدها: تذهب شدَّتكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

وقال السدي: حِدَّتكم وجدُّكم[٢].

---

(١) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٥٩٧) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٥٣٦)، والبحر المحيط (٥/ ٣٣٢) كلاهما نسبها لعيسى بن عمر، وانظر: التحصيل (٣/ ٢٠٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢١٥) من رواية أسباط،عن السدي بلفظ: «حربكم وجدكم». وذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٦٣) بلفظ: «جماعتكم وحدتكم»، وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٨٢) بلفظ: «جرأتكم».

وقال الزَّجَّاج: صولتكم وقوتكم[١].

والثاني: يذهب نصركم، قاله مجاهد، وقتادة.

والثالث: تتقطَّع دولتكم، قاله أبو عبيدة[٢].

وقال ابن قتيبة: يقال: هبَّت له ريح النصر: إذا كانت له الدولة. ويقال: له الريح اليوم: أي الدولة[٣].

والرابع: أنها ريح حقيقةً، ولم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله فتضرب وجوه العدو، ومنه قوله ﷺ: «**نُصِرتُ بالصَّبا، وأُهْلِكتْ عادٌ بالدَّبور**»[٤].

وهذا قول ابن زيد، ومقاتل[٥].

قوله تعالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال: ٤٧].

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا﴾.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٥).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٧).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٠٣٥، ٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، ومسلم في صحيحه (٩٠٠) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١١٨).

قال المفسرون: هم أبو جهل ومن خرج معه من مكة، خرجوا ليدفعوا عن عيرهم التي كانت مع أبي سفيان، ومعهم القيان والمعازف، وهم يشربون الخمور، فلما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز ما معه، كتب إليهم: إني قد أحرزت أموالكم فارجعوا، فقال أبو جهل: والله لا نفعل حتى نَرِدَ بدرًا فنقيم ثلاثًا، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، [٣٠٩/ب] وتسمع بنا العرب، فلا[١] يزالون يهابونا[٢].

فساروا إلى بدر، فكانت الوقعة، فسُقوا كؤوس المنايا مكان الخمر، وناحت عليهم النوائح مكان القيان.

فأما البطر فهو الطغيان في النعم، وترك شكرها.

والرياء: العمل من أجل رؤية الناس.

و﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هاهنا: دينه.

قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنفال: ٤٨].

---

(١) في (ف): (ولا).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢١٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٤).



قوله: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾.

قال عروة بن الزبير: لما أجمعت قريش المسير إلى بدر، ذكروا ما بينهم وبين كنانة من الحرب، فتبدَّى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك المدلجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعًا[١].

وفي المراد بـ ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: شركهم.

والثاني: مسيرهم إلى بدر.

والثالث: قتالهم لرسول الله ﷺ.

قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ أي: صارتا بحيث رأت إحداهما الأخرى.

وفي المراد بالفئتين قولان:

أحدهما: فئة المسلمين، وفئة المشركين، وهو قول الجمهور.

والثاني: فئة المسلمين، وفئة الملائكة، ذكره الماوردي[٢].

قوله: ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٢٢) من رواية يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير به.

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٥).



قال أبو عبيدة: رجع من حيث جاء(١).

وقال ابن قتيبة: رجع القهقري(٢).

قال ابن السائب: كان إبليس في صفِّ المشركين على صورة سراقة، آخذًا بيد الحارث بن هشام، فرأى الملائكة فنكص على عقبيه، فقال له الحارث: أفرارًا من غير قتال؟ فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾، فلما هُزم المشركون، قالوا: هَزَمَ الناسَ سراقةُ، فبلغه ذلك، فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم(٣).

قال قتادة: صدق عدوُّ الله في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾، ذُكر لنا أنه رأى جبريل ومعه الملائكة، فعلم أنه لا يد له بالملائكة، وكذب عدو الله في قوله: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾، والله ما به مخافة الله، ولكن علم أنه لا قوَّة له بهم(٤).

وقال عطاء: معناه: إني أخاف الله أن يهلكني(٥).

وقال ابن الأنباري: لما رأى نزول الملائكة، خاف أن تكون القيامة فيكون انتهاء إنظاره فيقع به العذاب.

ومعنى ﴿نَكَصَ﴾ رجع هاربًا بخزي وذلٍّ.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٧).

(٢) انظر: غريب القرآن(ص:١٧٩).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٩٠) من رواية الكلبي عن ابن عباس به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٢٣) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٤/ ٣٦٦)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ١٩٢).

واختلفوا في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ هل هو ابتداء كلام، أو تمام الحكاية عن إبليس، على قولين.

قوله تعالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال: ٤٩].

قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾.

قال ابن عباس: هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج[(١)].

فأما «الذين في قلوبهم مرض» ففيهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم قوم كانوا قد تكلَّموا بالإسلام بمكة فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كُرهًا، فلما رأوا قلَّة المسلمين وكثرة المشركين [٣١٠/أ] ارتابوا ونافقوا وقالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وإليه ذهب الشعبي في آخرين.

وعدَّهم مقاتل فقال: كانوا سبعة: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعلي بن أمية بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة[(٢)].

---

(١) في تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٧١٦) عن ابن عباس: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٤٩]، وهم يومئذ في المسلمين. وفي التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ١٩٣): «قال ابن عباس في رواية عطاء: المنافقون من الأوس والخزرج».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٠).

والثاني: أنهم المشركون، لما رأوا قلة المسلمين، قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال الحسن.

والثالث: أنهم قوم مرتابون، لم يظهروا عداوة النبي ﷺ، ذكره الماوردي(١).

والمرض هاهنا: الشَّكُّ.

والإشارة بقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إلى المسلمين، وإنما قالوا هذا، لأنهم رأوا قلَّة المسلمين، فلم يشكُّوا في أن قريشًا تغلبهم.

قوله تعالَى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ۝٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠].

قوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

قرأ الجمهور: «يتوفى» بالياء.

وقرأ ابن عامر: «تتوفى» بتاءين(٢).

قال المفسرون: نزلت في الرهط الذين قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡ﴾.

وفي المراد بالملائكة ثلاثة أقوال:

أحدها: ملك الموت وحده، قاله مقاتل(٣).

والثاني: ملائكة العذاب، قاله أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٦).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٧)، والحجة (٤/ ١٥٩)، والمبسوط (ص:٢٢١)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٠)، والتحصيل (٣/ ٢٠٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢١).

والثالث: الملائكة الذين قاتلوا يوم بدر، ذكره الماوردي[١].

وفي قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ **أربعة أقوال**:

أحدها: يضربون وجوههم ببدر لما قاتلوا، وأدبارهم لما انهزموا.

والثاني: أنهم جاءوهم من بين أيديهم ومن خلفهم، فالذين أمامهم ضربوا وجوههم، والذين وراءهم ضربوا أدبارهم.

والثالث: يضربون وجوههم يوم القيامة إذا لقوهم، وأدبارهم إذا ساقوهم إلى النار.

والرابع: أنهم يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت بسياط من نار.

وهل المراد نفس الوجوه والأدبار، أم المراد ما أقبل من أبدانهم وأدبر؟ فيه قولان.

وفي قوله: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ **قولان**:

أحدهما: أنه في الدنيا، وفيه إضمار «يقولون»، فالمعنى: يضربون ويقولون، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا﴾ [البقرة:١٢٧] أي: ويقولان.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٢٦).

قال النابغة[١]: [من الوافر]

كَأَنَّـكَ مِـنْ جِمَـالِ بَنـي أُقَيْـشٍ   يُقَعْقَـعُ خَلْـفَ رِجْلَيْـهِ بِشَـنِّ

والمعنـى: كأنَّـك جمـل مـن جمـال لبنـي أقيـش، هـذا قـول الفـراء، وأبي عبيـدة[٢].

والثـاني: أن الـضرب لهـم في الدنيـا، فـإذا وردوا يـوم القيامـة إلى النـار، قـال خزنتهـا: ذوقـوا عـذاب الحريـق، هـذا قـول مقاتـل[٣].

قولـه تَعَـالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ٥١﴾ [الأنفـال: ٥١].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: بما كسبتم من قبائح أعمالكم.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ لا يظلـم عبـاده بعقوبتهـم عـلى الكفـر، وإن كان كفرهـم بقضائـه، لأنـه مالـك، فلـه التَّـصرُّف في ملكـه كـما شـاء فيسـتحيل [٣١٠/ ب] نسـبة الظلـم إليـه.

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه (ص ١٢٦)، والكتاب ٢/ ٣٤٥، ومجاز القرآن (ص:٢٤٧)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٥٨)، وشرح المفصل (٣/ ٥٩)، ولسان العرب (٦/ ٣٧٣) مادة (وقش)، والمقاصد النحويَّة (٤/ ٦٧)، وخزانة الأدب (٥/ ٦٧، ٦٩)، وبلا نسبة في سر صناعة الإعراب (١/ ٢٨٤)، وشرح الأشموني (٢/ ٤٠١)، وشرح المفصل (١/ ٦١)، ولسان العرب (٤/ ٢٣١) مادة (خدر)، والمقتضب (٢/ ١٣٨).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٧).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢١).

قوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنفال: ٥٢].

قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: كعادتهم.

والمعنى: كذَّب هؤلاء كما كذَّب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك.

قال ابن عباس: أيقن آل فرعون أن موسى نبيُّ الله وكذَّبوه[1]، فكذلك هؤلاء في حق محمد ﷺ[2].

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ أي: ذلك الأخذ والعقاب بأن الله ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا﴾ بالكفران وترك الشكر.

قال مقاتل: والمراد بالقوم هاهنا أهل مكة، أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، ثم بعث فيهم محمدًا ﷺ، فلم يعرفوا المنعم عليهم، فغيَّر الله ما بهم[3].

---

(١) في (ف)، و(ر): (فكذبوه).

(٢) أخرج الطبري في تفسيره (٥/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٣٠) عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال: «كصنع آل فرعون».

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢١).

وقال السدي: كذَّبوا بمحمد، فنقله الله[١] إلى الأنصار[٢].

قال أبو سليمان الخطابي: والقوي يكون بمعنى القادر، فمن قوي على شيء فقد قدر عليه، وقد يكون معناه: التَّامُّ القُوَّة الذي لا يستولي عليه العجز في حال، والمخلوق وإن وُصف بالقُوَّة فقوَّته متناهية، وعن بعض الأمور قاصرة[٣].

قوله تعالَى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٤].

قوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أي: كذَّب أهل مكة بمحمد والقرآن، كما كذب آل فرعون بموسى والتوراة، وكذَّب مَنْ قبلهم بأنبيائهم.

قال مكي بن أبي طالب: الكاف في ﴿ كَدَأْبِ ﴾ في موضع نصب، نعت لمحذوف تقديره: غيَّرنا بهم لما غيروا تغييرًا مثل عادتنا في آل فرعون، ومثلها الآية الأولى، إلا أن الأولى للعادة في العذاب تقديره: فعلنا بهم ذلك فعلًا مثل عادتنا في آل فرعون[٤].

---

(١) لفظ الجلالة ليس في (ف).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٣٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧١٨) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٣) انظر: شأن الدعاء (ص:٧٧).

(٤) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٢٨٥١).



قولـه: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ يعنـي الأمـم المتقدمـة، بعضهـم بالرجفـة، وبعضهم بالريـح، فكذلـك أهلكنـا كفـار مكـة ببـدر.

وقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ الذين أهلكوا ببدر.

قولـه تعَـالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾ [الأنفـال: ٥٥].

قوله: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

قـال أبـو صالـح عـن ابـن عبـاس: نزلـت في بنـي قريظـة مـن اليهـود، منهـم كعـب بـن الأشرف وأصحابـه[1].

قولـه تعَـالَى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦﴾ [الأنفـال: ٥٦].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾.

في «مِنْ» أربعة أقوال:

أحدها: أنها صلة، والمعنى: الذين عاهدتهم.

والثـاني: أنهـا للتبعيـض، فالمعنـى: إن شرَّ الـدواب الكفـار، وشرُّهـم الذيـن عاهـدت ونقضـوا.

والثالث: أنها بمعنى «مع»، والمعنى: عاهدت معهم.

---

(١) لم نقف عليه.

والرابع: أنها دخلت، لأن العهد أُخذ منهم.

قوله: ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ أي: كلما عاهدتهم نقضوا.

وفي قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: لا يتَّقون نقض العهد.

والثاني: لا يتَّقون الله في نقض العهد. [٣١١/أ]

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ قد عاهد يهود قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه، فنقضوا العهد وأعانوا عليه مشركي مكة بالسلاح، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا، ثم عاهدوه الثانية، فنقضوا ومالؤوا الكفار يوم الخندق، وكتب كعب بن الأشرف إلى مكة يوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ.

قوله تعالَى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٧].

قوله: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾.

قال أبو عبيدة: مجازه: فإن تثقفنَّهم(١).

فعلى قوله، تكون «ما» زائدة.

وقد سبق بيان ﴿فَإِمَّا﴾ في «البقرة»(٢).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٨).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٨).

قال ابن قتيبة: فمعنى ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تظفر بهم[(١)].

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي: افعل بهم فعلًا من العقوبة والتنكيل يتفرَّق به من وراءهم من أعدائك.

قال: ويقال: شرِّد بهم، أي: سمِّع بهم، بلغة قريش[(٢)].

قال الشاعر[(٣)]: [من الوافر]

أُطَوِّفُ فِي الأَبَاطِحِ كُلَّ يَوْمٍ مَخَافَةَ أَنْ يُشَرِّدَ بِي حَكِيمُ

وقال ابن عباس: نَكِّل بهم تنكيلًا يشرد غيرهم من ناقضي العهد، لعلَّهم يذكرون النَّكال فلا ينقضون العهد[(٤)].

قوله تعالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٨].

قوله: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٧٩).

(٣) البيت بلا نسبة كما في العين (٦/ ٢٤٢)، والزاهر (١/ ٤١٥)، وشمس العلوم (٦/ ٣٤٤٦)، ومتخير الألفاظ (ص:٦٠)، الغريبين في القرآن والحديث (٣/ ٩٨٥)، وجمهرة اللغة (٢/ ٦٢٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٣٧) مادة (شرد)، وأُطَوِّفُ: أي: أَطُوفُ. وأن يُشرِّد بي: أي: أن يُسَمِّعَ بِي. وحَكِيمٌ: رَجُلٌ مِنْ بَنِي سُلَيْم كَانَتْ قُرَيْشٌ وَلَّتْهُ الأَخذ عَلَى أَيدي السُّفَهَاءِ. لسان العرب (٣/ ٢٣٧).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٠٧).

قال المفسرون: الخوف هاهنا بمعنى العلم، والمعنى: إن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانة، وهي نقض عهد.

وقال مجاهد: نزلت في بني قريظة[١].

وفي قوله: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: فألقِ إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنَّقض سواء، وهذا قول الأكثرين، واختاره الفراء[٢]، وابن قتيبة[٣]، وأبو عبيدة[٤].

والثاني: فانبذ إليهم جهرًا غير سرٍّ، ذكره الفراء أيضًا في آخرين.

والثالث: فانبذ إليهم على مهل، قاله الوليد بن مُسلم.

والرابع: فانبذ إليهم على عدل من غير حيف.

وأنشدوا[٥]: [من الرجز]

وَاضْرِبْ وُجُوهَ الْغُدَّرِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يُجِيبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ

ذكره أبو سليمان الدمشقي.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٨٢) لابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد به.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤١٤).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٠).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٤٩).

(٥) البيت بلا نسبة في تفسير الطبري (١١/ ٢٤٠)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ١٨٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٤).



قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)﴾ [الأنفال: ٥٩].

قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «ولا تحسِبن» بالتاء وكسر السين، إلا أن عاصمًا فتح السين.

وقرأ ابن عامر، وحمزة، وحفص عن عاصم: بالياء وفتح السين(١).

وفي الكافرين هاهنا قولان:

أحدهما: جميع الكفار، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين انهزموا يوم بدر، ذكره محمد بن القاسم النحوي وغيره.

و﴿سَبَقُوا﴾ بمعنى فاتوا.

قال ابن الأنباري: وذلك أنهم أشفقوا من هلكة تنزل بهم في بعض الأوقات فلما سلموا منها، قيل: لا تحسبنَّ أنهم فاتونا بسلامتهم الآن، فإنهم لا يعجزونا، أي: لا يفوتونا فيما يستقبلون من الأوقات.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

قرأ الجمهور: بكسر الألف.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٢١٩، ٢٢٠، ٣٠٧)، والحجة (٣/ ١٠٠، ١٠١)، و(٤/ ١٥٤)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٤).

وقرأ ابن عامر: بفتحها[١]، وعلى قراءته اعتراض. [٣١١/ ب]

لقائل أن يقول: إذا كان قد قرأ «يحسبن» بالياء، وقرأ «أنهم» بالفتح، فقد أقرَّهم على أنهم لا يُعجزون، ومتى علموا أنهم لا يعجزون، لم يلاموا.

فقد أجاب عنه ابن الأنباري فقال: المعنى: «لا يحسبن الذين كفروا سبقوا» لا يَحسِبُنَّ أنهم يعجزون، و«لا» زائدة مؤكدة.

وقال أبو علي: المعنى: لا يحسبنَّ الذين كفروا أنفسَهم سبقوا وآباءَهم سبقوا، لأنهم لا يفوتون، فهم يُجزَون على كفرهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال: ٦٠].

قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

في المراد بالقوة أربعة أقوال:

أحدها: أنها الرَّمي، رواه عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠٨)، والحجة (٤/ ١٥٧)، والمبسوط (ص:٢٢٢)، والتيسير (ص:١١٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٤٥).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٥٥).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١٩١٧) عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».

وقال الحكم بن أبان: هي النَّبْل.

والثاني: ذكور الخيل، قاله عكرمة.

والثالث: السلاح، قاله السدي، وابن قتيبة[(١)].

والرابع: أنه كل ما يُتقوَّى به على حرب العدو من آلة الجهاد.

قوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ يعني ربطها واقتناءها للغزو، وهو عام في الذكور والإناث في قول الجمهور.

وكان عكرمة يقول: المراد بقوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ إناثها[(٢)].

قوله: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾.

روى رويس، وعبد الوارث: «تُرَهِّبُون» بفتح الراء وتشديد الهاء[(٣)].

أي: تخيفون وترعبون به عدو الله وعدوكم، وهم مشركو مكة وكفار العرب.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٤٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٢٢) من رواية شعبة بن دينار، عن عكرمة به.

(٣) في التحصيل (٣/ ٢٠٦) نسبها لزر بن حُبيش، قال: «ورُويت عن أبي عمرو، ورواها عنه عبيد»، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠١) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٢/ ٥٤٦) قال: «قرأ الحسن ويعقوب: «ترهِّبون» بفتح الراء وشد الهاء معدًّى بالتضعيف، ورويت عن أبي عمرو بن العلاء»، وفي المبسوط (ص:٢٢٢): «قرأ يعقوب برواية رويس «تُرَهِّبُونَ بِهِ» بفتح الراء وتشديد الهاء»، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٤٤) قال: «قرأ الحسن ويعقوب وابن عقيل لأبي عمرو».

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي: من دون كفار العرب.

واختلفوا فيهم على خمسة أقوال:

أحدها: أنهم الجن.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هُمُ الجِنُّ، فَإِنَّ الشَّيطَانَ لَا يُخَبِّلُ أَحَدًا فِي دَارِهِ فَرَسٌ عَتِيقٌ**»(١).

والثاني: أنهم بنو قريظة، قاله مجاهد.

والثالث: أهل فارس، قاله السدي.

والرابع: المنافقون، قاله ابن زيد.

والخامس: اليهود، قاله مقاتل(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦١].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٢٣)، والطبراني في معجمه الكبير (١٧/ ١٨٩) (٥٠٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٤٥)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٦٩٦)، والحارث في مسنده كما في بغية الباحث للهيثمي (٦٥٢) من رواية يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ.
قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٧) (١١٠٣٠): «رواه الطبراني، وفيه مجاهيل».
وقال الحافظ ابن كثير في التفسير (٤/ ٨٢): «وهذا الحديث منكر، لا يصح إسناده ولا متنه».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٣).

قوله: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ﴾.

قرأ أبو بكر عن عاصم: «للسِّلم» بكسر السين[١].

قال الزَّجَّاج: السَّلْم: الصلح والمسالمة. يقال: سَلْم وسِلْم وسَلَم في معنى واحد، أي: إن مالوا إلى الصلح فمِل إليه[٢].

قال الفراء: إن شئت جعلت ﴿لَهَا﴾ كناية عن السَّلم لأنها تؤنَّث، وإن شئت جعلتها للفعلة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٣] [الأعراف:١٥٣].

فإن قيل: لم قال: ﴿لَهَا﴾ ولم يقل: «إليها»؟

فالجواب: أن «اللام» و«إلى» تنوب كل واحدة منهما عن الأخرى.

وفيمن أريد بهذه الآية قولان:

أحدهما: المشركون، وأنها نسخت بآية السيف.

والثاني: أهل الكتاب.

فإن قيل: إنَّها نزلت في ترك حربهم إذا بذلوا الجزية وقاموا بشرط الذمة، فهي محكمة، وإن قيل: نزلت في موادعتهم على غير جزية، توجَّه النَّسخ لها بآية الجزية.

---

(١) انظر: السبعة (ص:١٨٠، ٣٠٨)، والحجة (٢/ ٢٩٢)، و(٤/ ١٥٨)، والمبسوط (ص:٢٢٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٢).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤١٦).

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

قوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ﴾.

قال مقاتل: يعني يهود قريظة ﴿أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بالصلح لتكف عنهم، حتى إذا جاء مشركو العرب، أعانوهم عليك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُ﴾[1]. [٣١٢/أ]

قال الزَّجَّاج: فإن الذي يتولَّى كفايتك الله ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ﴾ أي: قوَّاك[2].

وقال مقاتل: قوَّاك بنصره وبالمؤمنين من الأنصار يوم بدر[3].

قوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾ يعني الأوس والخزرج، وهم الأنصار، كانت بينهم عداوة في الجاهلية، فألَّف الله بينهم بالإسلام.

وهذا من أعجب الآيات، لأنهم كانوا ذوي أنفة شديدة، فلو أن رجلًا لطم رجلًا، لقاتلت عنه قبيلته حتى تدركَ ثأره، فآل بهم الإِسلام إلى أن يقتل الرجل ابنه وأباه.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٤).

قولــه تعَــالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الأنفــال: ٦٤].

قوله: ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: حسبُك اللهُ، وحسبُ من اتَّبَعَكَ، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس، وبه قال ابن زيد، ومقاتل[١]، والأكثرون.

والثاني: حسبُك اللهُ ومتَّبِعُوكَ، قاله مجاهد.

وعن الشعبي كالقولين.

وأجاز الفراء[٢]، والزَّجَّاج[٣]، الوجهين.

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أسلم مع رسول الله ﷺ تسعة وثلاثون، ثم أسلم عمر فصاروا أربعين، فنزلت هذه الآية[٤].

قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا لا يحفظ، والسورة مدنية بإجماع.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤١٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٣).

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٦٠) (١٢٤٧٠) من رواية سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ به.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٢٨) (١١٠٣٢): «رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب».

والقول الأول أصح.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٥، ٦٦].

قوله: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾.

قال الزَّجّاج: تأويله: حُثَّهم[1].

وتأويل التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حثًّا يعلم معه أنه حارض إن تخلَّف عنه، والحارض: الذي قد قارب الهلاك.

قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ﴾.

لفظُ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر، والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضًا في أول الأمر، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾ ففُرض على الرجل أن يثبت لرجلين، فإن زادوا جاز له الفرار.

قال مجاهد: وهذا التشديد كان في يوم بدر[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٣).

(٢) قال الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٣٢): «قال مجاهد: وهذا يوم بدر جعل على كل رجل من المسلمين قتال عشرة من المشركين؛ فشقَّ ذلك عليهم فنسخ بقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ ﴾».

واتفق القراء على قوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ﴾ فقرؤوا «يكن» بالياء.

واختلفوا في قوله: ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا﴾، وفي قوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ﴾.

فقرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر: بالتاء فيهما.

وقرأهما عاصم، وحمزة، والكسائي: بالياء.

وقرأ أبو عمرو: «يكن منكم مائة يغلبوا» بالياء، «فإن تكن منكم مائة صابرة» بالتاء[1].

قال الزَّجَّاج: من أنَّث، فللفظ المائة، ومن ذكَّر، فلأن المائة وقعت على عدد مذكر[2].

وقال أبو علي[3]: من قرأ بالياء، فلأنه أريد منه المذكر، بدليل قوله تعالى: ﴿يَغْلِبُوا۟﴾، وكذلك المائة الصابرة هم رجال، فقرؤوها بالياء، لموضع التذكير.

فأما أبو عمرو، فإنه لمَّا رأى صفة المائة مؤنَّثة بقوله تعالى: ﴿صَابِرَةٌ﴾ أنَّث الفعل، ولما رأى ﴿يَغْلِبُوا۟﴾ مذكرًا، ذكَّر.

ومعنى الكلام: إن يكن منكم عشرون صابرون يثبتون عند اللقاء، يغلبوا مائتين، لأن المؤمنين يحتسبون أفعالهم، وأهل الشرك يقاتلون على

(١) انظر: الحجة (٤/ ١٥٩-١٦٠)، والتيسير (ص:١١٧)، والتحصيل (٣/ ٢٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٤).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ١٦٠).

غير احتساب ولا طلب ثواب، فإذا صَدَقهم المؤمنون القتال لم يثبتوا، [٣١٢/ب] وذلك معنى قوله تعالى: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

قوله: ﴿وَعَلِمَ﴾

وروى المفضل: «وعُلم» بضمِّ العين[١].

﴿أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «ضُعْفًا» بضم الضاد.

وقرأ عاصم، وحمزة: بفتح الضاد.

وكذلك خلافهم في «الروم»[٢].

قال الفراء: الضم لغة قريش، والفتح لغة تميم.

قال الزَّجَّاج: والمعنى في القراءتين واحد، يقال: هو الضَّعف والضُّعف، والمَكث والمُكث، والفَقر والفُقر، وفي اللغة كثير من باب فَعْل وفُعْل، والمعنى واحد[٣].

---

(١) في التحصيل (٣/ ٢٠٦)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥١)، والبحر المحيط (٥/ ٣٥١) ثلاثتهم نسبوها للمفضل عن عاصم، وفي إعراب القراءات الشواذ؛ للعكبري (١/ ٦٠٣) بلا نسبة.

(٢) انظر: السبعة (ص:٥٠٨)، الحجة (٤/ ١٦١)، و(٥/ ٤٥٠)، والمبسوط (ص:٢٢٢، ٢٢٣، ٣٥٠)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥١)، والتحصيل (٣/ ٢٠٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٤).

وقرأ أبو جعفر: «وعلمَ أن فيكم ضُعَفَاءَ» على فُعَلاءَ[١].

فأما قوله: ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فهو إعلام بأن الغلبة لا تقع إلا بإرادته.

قوله تعالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧].

قوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

روى مسلم في أفراده من حديث عمر بن الخطاب قال: لما هزم الله المشركين يوم بدر، وقُتل منهم سبعون وأسر سبعون، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر وعليًّا، فقال أبو بكر: يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا. فقال رسول الله: «مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان -قريبٌ لعمر- فأضرب عنقه، وتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخيه فلان فيضرِب عنقه، حتى يعلمَ الله ﷻ أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فَهِويَ رسول الله ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ، فأخذ منهم الفداء. فلما كان من الغد، غدوت إلى رسول الله ﷺ، فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان. فقلت: يا رسول الله، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاءً بكَيت، وإن لم أجد بكاءً

---

(١) انظر: المبسوط (ص:٢٢٢).

تباكيت. فقال النبي ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» لشجرة قريبة، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿عَظِيمٌ﴾[1].

وروي عن ابن عمر قال: لما أشار عمر بقتلهم وفاداهم رسول الله ﷺ أنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ [الأنفال:٦٧] إلى قوله: ﴿حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، فلقي النبي ﷺ عمر فقال: «**كَادَ يُصِيبُنَا فِي خِلَافِكَ بَلَاءٌ**»[2].

فأما الأسرى، فهو جمع أسير، وقد ذكرناه في «سورة البقرة»[3].

والجمهور قرءوا: ﴿أَن يَكُونَ﴾ بالياء، لأن الأسرى مذكَّر.

وقرأ أبو عمرو: «أن تكون»[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٧٠) من رواية مجاهد، عن ابن عمر ﷺ، قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخلِّ سبيلهم. فاستشار عمر فقال: اقتلهم. قال: ففداهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] قال: فلقي النبي ﷺ عمر قال: «**كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء**».
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٨٥).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣٠٩)، والحجة (٤/ ١٦٢)، والمبسوط (ص:٢٢٣)، والتحصيل (٣/ ٢٠٧).



[٣١٣/أ] قال أبو علي: أنَّثَ على لفظ الأسرى، لأن الأسرى وإن كان المراد به التذكير والرجال فهو مؤنَّث اللفظ[1].

والأكثرون قرءوا: «أسرى» وكذلك: ﴿لِمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ [الأنفال:٧٠].

وقرأ أبو جعفر، والمفضل: «أُسارى» في الموضعين، ووافقهما أبو عمرو، وأبان في الثاني[2].

قال الزَّجَّاج: والإثخان في كل شيء: قُوَّة الشيء وشِدَّته. يقال: قد أثخنه المرض: إذا اشتدت قُوَّته عليه، والمعنى: حتى يبالغ في قتل أعدائه[3].

ويجوز أن يكون المعنى: حتى يتمكن في الأرض.

قال المفسرون: معنى الآية: ما كان لنبي أن يحبس كافرًا قدر عليه للفداء أو المن قبل الإثخان في الأرض، وكانت غزاة بدر أول قتال قاتله رسول الله ﷺ، ولم يكن قد أثخن في الأرض بعد.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهو المال، وكان أصحاب رسول الله ﷺ قد فادوا يومئذ بأربعة آلاف أربعة آلاف.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ١٦٢).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣٠٩)، والحجة (٤/ ١٦٣)، والمبسوط (ص:٢٢٤،٢٢٣)، والتحصيل (٣/ ٢٠٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٥).

وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ قولان:

أحدهما: يريد لكم الجنة، قاله ابن عباس.

والثاني: يريد العمل بما يوجب ثواب الآخرة، ذكره الماوردي(١).

فَصْلٌ

وقد روي عن ابن عباس(٢)، ومجاهد(٣) في آخرين: أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ {محمد: ٤}، وليس للنسخ وجه، لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قِلَّةٌ، فلما كثروا واشتدَّ سلطانُهم، نزلت الآية الأخرى، ويبيِّن هذا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

قوله تَعَالَى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال: ٦٨].

قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾.

في معناه خمسة أقوال:

أحدها: لولا أن الله كتب في أمِّ الكتاب أنه سيُحِلُّ لكم الغنائم لمسَّكم فيما تعجَّلتم من المغانم والفداء يوم بدر قبل أن تُؤمروا بذلك

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٣٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٧٣٢) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٧٣) من رواية خصيف، عن مجاهد.

عـذابٌ عظيـم، روى هـذا المعنـى عـلي بـن أبي طلحـة عـن ابـن عبـاس، وبـه قـال مقاتـل[١].

وقال أبو هريرة: تعجَّل ناس من المسلمين فأصابوا الغنائم، فنزلت الآية[٢].

والثـاني: لـو لا كتـاب مـن الله سـبق أنَّـه لا يعـذِّب مـن أتـى ذنبًـا عـلى جهالـةٍ لعوقبتـم، روى هـذا المعنـى عطـاء عـن ابـن عبـاس، وابـن جريـج عـن مجاهـد.

وقــال ابــن إســحاق: ســبق أن لا أعــذِّب إلا بعــدَ النهــي، ولم يكــن نهاهــم[٣].

والثالـث: لـو لا مـا سـبق لأهـل بـدر أن الله لا يعذِّبهـم، لعُذِّبتـم، قالـه الحسـن، وابـن جبـير، وابـن أبي نجيـح عـن مجاهـد.

والرابـع: لـو لا كتـاب مـن الله سـبق مـن أنـه يغفـر لمـن عمـل الخطايـا ثـم علـم مـا عليـه فتـاب، ذكـره الزَّجَّـاج.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٦).

(٢) رواه ابـن أبي حاتـم في تفسـيره (٥/ ١٧٣٣) مـن روايـة الأعمـش، عـن أبي صالـح، عـن أبي هريـرة ﷺ.

وقـد عـزاه السـيوطي في الـدر المنثـور (٤/ ١٠٨) كذلـك: لابـن أبي شـيبة في المصنـف، والترمـذي وصححـه، والنسـائي، وابـن المنـذر، وأبي الشـيخ، وابـن مردويـه، والبيهقـي في سـننه.

(٣) انظـر: السـير والمغـازي؛ لابـن إسـحاق (ص:٣٠٧)، وقـد ذكـره الواحـدي في التفسـير البسـيط (١٠/ ٢٥٨)، والمـاوردي في النكـت والعيـون (٢/ ٣٣٣).

والخامس: لولا القرآن الذي اقتضى غفران الصغائر، لعُذِّبتم، ذكره الماوردي[١].

فيخرَّج في الكتاب قولان:

أحدهما: أنه كتاب مكتوب حقيقة.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنه ما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

والثاني: أنه القرآن.

والثاني: أنه بمعنى القضاء.

قوله تعالَى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرًا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٩، ٧٠].

قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ ﴾. [٣١٣/ب]

قال الزَّجَّاج: الفاء للجزاء، والمعنى: قد أحللت لكم الفداء فكلوا، والحلال منصوب على الحال[٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٣٣).

(٢) لم أقف على كلامه هذا في كتابه: (معاني القرآن وإعرابه)، وقد ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٦٠) وعزاه للزجاج.

قال مقاتل: إن الله غفور لما أخذتم من الغنيمة قبل حِلِّها، رحيم بكم إذْ أحَلَّها لكم، فجعل رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب، وخبَّاب بنَ الأرتِّ يوم بدر على القبض، وقسمها النبي ﷺ بالمدينة، وانطلق بالأسارى، فيهم العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مع العباس يومئذ عشرون أوقية من ذهب، فلم تحسب له من فدائه، وكلِّف أن يفدي ابني أخيه، فأدَّى عنهما ثمانين أوقية من ذهب، وقال النبي ﷺ: «**أَضْعِفُوا عَلَى الْعَبَّاسِ الْفِدَاءَ**» فأخذوا منه ثمانين أوقية، وكان فداء كل أسير أربعين أوقية، فقال العباس لرسول الله: لقد تركتني ما حييت أسأل قريشًا بكفِّي. فقال له: «**أَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي تَرَكْتَهُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ؟**» فقال: أي الذهب؟ فقال: «**إِنَّكَ قُلْتَ لَهَا: إِنِّي لَا أَدْرِي مَا يُصِيبُنِي فِي وَجْهِي هَذَا، فَإِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ، فَهُوَ لَكِ وَلِوَلَدِكِ**» فقال: ابن أخي، مَن أخبرك؟ فقال: «**اللهُ أَخْبَرَنِي**»، فقال العباس: أشهد أنك صادق، وما علمت أنك رسول الله قبل اليوم، وأمر ابني أخيه فأسلما، وفيهم نزلت: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ الآية[١].

وروى العوفي عن ابن عباس أنها نزلت في جميع من أُسر يوم بدر[٢].

وقال ابن زيد: لما بُعِثَ رسول الله ﷺ أتاه رجالٌ، فقالوا: لولا أنَّا نخاف هؤلاء القوم لأسلمنا، ولكنَّا نشهد أن لا إله إلا الله وأنَّك رسولُ الله. فلما كان يوم بدر، قال المشركون: لا يتخلف عنا أحد إلا هدمنا داره

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٦-١٢٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٦) من رواية العوفي عن ابن عباس به.

واستحللنا ماله، فخرج أولئك القوم، فقُتلت طائفة منهم وأُسرت طائفة. فأما الذين قُتلوا، فهم الذين قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]. وأما الذين أُسروا فقالوا: يا رسول الله أنت تعلم أنا كنا نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وإنما خرجنا مع هؤلاء خوفًا منهم، فذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

فأما قوله: ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ فمعناه إسلامًا وصدقًا ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء.

وفيه قولان:

أحدهما: أكثر مما أُخذ منكم.

والثاني: أحلُّ وأطيب.

وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن أبي عبلة: «مما أَخَذ منكم» بفتح الخاء يشيرون إلى الله تعالى(٢).

وفي قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ قولان:

أحدهما: يغفر لكم كفركم وقتالكم رسول الله ﷺ، قاله الزَّجَّاج.

والثاني: يغفر لكم خروجكم مع المشركين، قاله ابن زيد في تمام كلامه الأول.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ٣٨٧) من رواية ابن وهب، عن ابن زيد به.

(٢) في التحصيل (٣/ ٢٠٧) نسبها لمجاهد، وشيبة، وقال: «ورُويت عن أبان عن عاصم».

قولـه تعـالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٧١، ٧٢].

[٣١٤/أ] قولـه: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾ يعنـي: إن أراد الأُسراء خيانتـك بالكفـر بعـد الإسـلام.

﴿فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ ﴾ إذ كفروا به قبل أسرهم.

وقال ابن زيد: فقد خانوا بخروجهم مع المشركين[١].

وقد ذكرنا عنه أنها نزلت في قوم تكلَّموا بالإسلام.

وقـال مقاتـل: المعنـى: إن خانـوك أمكنتـك منهـم فقتلتهـم وأسرتهـم كـما أمكنتُـك ببـدر[٢].

قـال الزَّجَّـاج: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بخيانـة إن خانوهـا، ﴿حَكِيمٌ ﴾ في تدبـيره عليهـم ومجازاتـه إياهـم.

قولــه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعنـي: المهاجريـن الذيـن هجـروا ديارهـم وأموالهـم وقومهـم في نـصرة الديـن.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٨٧).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٢٨).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ يعني: الأنصار، آووا رسولَ الله ﷺ، وأسكنوا المهاجرين ديارهم، ونصروهم على أعدائهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: في النصرة.

والثاني: في الميراث.

قال المفسرون: كانوا يتوارثون بالهجرة، وكان المؤمن الذي لم يهاجر لا يرث قريبه المهاجر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: «وَلايتهم» بفتح الواو.

وقرأ حمزة: بكسر الواو[١].

قال الزَّجَّاج: المعنى: ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا[٢].

ومن كسر واو الولاية، فهي بمنزلة الإمارة، وإذا فتحت، فهي من النصرة.

وقال يونس النحوي: الولاية، بالفتح، لله ﷻ، والوِلاية من وُلِّيت الأمر[٣].

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣٠٩)، والحجة (٤/ ١٦٥)، والمبسوط (ص:٢٢٤)، والتيسير (ص:١١٧)، والمحرر الوجيز (٢/ ٥٥٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٥).

(٣) انظر: الحجة للقراء السبعة؛ لأبي علي الفارسي (٥/ ١٥٠).

وقال أبو عبيدة: الوَلاية، بالفتح، للخالق، والوِلاية، للمخلوق[1].

قال ابن الأنباري: الوَلاية، بالفتح، مصدر الوليِّ، والوِلاية: مصدر الوالي، يقال: وليٌّ بين الوَلاية، ووالٍ بيِّن الوِلاية، فهذا هو الاختيار، ثم يصلح في ذا ما يصلح في ذا.

وقال ابن فارس: الوَلاية، بالفتح: النصرة، وقد تكسر، والوِلاية، بالكسر: السلطان.

فَصْلٌ

وذهب قوم إلى أن المراد بهذه الولاية موالاة النصر والمودَّة. قالوا: ونسخ هذا الحكم بقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١].

فأما القائلون بأنها ولاية الميراث، فقالوا: نسخت بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٥].

قوله: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾.

أي: إن استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا فانصروهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم عهد، فلا تغدروا بأرباب العهد.

وقال بعضهم: لم يكن على المهاجر أن ينصرَ من يهاجر إلَّا أن يستنصره.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥١).

قوله تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنفال: ٧٣، ٧٤].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: في الميراث، قاله ابن عباس.

والثاني: في النصرة، قاله قتادة.

وفي قوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنها ترجع إلى الميراث، فالمعنى: إلَّا تأخذوا في الميراث بما [٣١٤/ب] أمرتكم، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه يرجع إلى التَّناصر، فالمعنى: إلَّا تتعاونوا وتتناصروا في الدين، قاله ابن جريج.

وبيانه: أنه إذا لم يتولَّ المؤمنُ المؤمنَ تولِّيًا حقًّا، ويتبرأ من الكافر جدًّا، أدَّى ذلك إلى الضلال والفساد في الدين، فإذا هجر المسلم أقاربه الكفار، ونصر المسلمين، كان ذلك أدعى لأقاربه الكفار إلى الإسلام وترك الشرك.

قوله: ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

قرأ أبو هريرة، وابن سيرين، وابن السَّمَيفَع: «كثير» بالثاء[١].

قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾.

أي: هم الذين حقَّقوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة، بخلاف من أقام بدار الشرك.

والرزق الكريم: هو الحسن، وذلك في الجنة.

قوله تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال: ٧٥].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من بعد المهاجرين الأولين.

قال ابن عباس: هم الذين هاجروا بعد الحديبية[٢].

---

(١) في المحرر الوجيز (٢/ ٥٥٧) قال: «وقرأ جمهور الناس «كبير» بالباء المنقوطة واحدة، وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي بالثاء منقوطة مثلثة»، وفي التحصيل (٣/ ٢٠٨) نسبها للشيرزي عن الكسائي، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٦) نسبها لعيسى بن سليمان الحجازي عن الكسائي، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٥) بلا نسبة، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٥٩) قال: «وقرأ أبو موسى الحجازي عن الكسائي: كثير بالثاء المثلثة».

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٧١)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٦٠).

قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ أي: في المواريث بالهجرة.

قال ابن عباس: آخى النبي ﷺ بين أصحابه، وكانوا يتوارثون بذلك الإخاء حتى نزلت هذه الآية، فتوارثوا بالنسب[1].

قوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللوح المحفوظ.

والثاني: أنه القرآن.

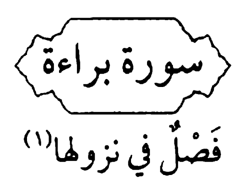
وقد بيَّن لهم قسمة الميراث في «سورة النساء».

والثالث: أنه حكم الله، ذكره الزَّجَّاج.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٨٩) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ﵄ به.





فَصْلٌ في نزولها(١)

هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية:١٢٨] فإنها نزلت بمكة.

روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: آخر سورة نزلت براءة(٢).

وقد نُقل عن بعض العرب أنه سمع قارئًا يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهودًا تُنْبَذُ، وقضايا(٣) تُنَفَّذ(٤).

فَصْلٌ

واختلفوا في أول ما نزل من «براءة» على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل منها قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [الآية:٢٥] قاله مجاهد.

---

(١) قوله: (فَصْلٌ في نزولها)، ليس في (ر).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٣٦٤، ٤٦٠٥، ٤٦٥٤) عن البراء رضي الله عنه.

(٣) في (ف)، و(ر): (ووصايا).

(٤) وفي المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ٣): «وحكى عمران بن جدير أن أعرابيًا سمع سورة براءة، فقال: أظن هذه من آخر ما أنزل الله على رسوله، فقيل له: لم تقول ذلك؟ فقال: أرى أشياء تنقص وعهودًا تنبذ».

والثـاني: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [الآية:٤١]، قالـه أبـو الضحـى، وأبـو مالـك.

والثالث: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ [الآية:٤٠]، قاله مقاتل[1].

وهـذا الخـلاف إنـما هـو في أول مـا نـزل منهـا بالمدينـة، فإنهـم قـد قالـوا: نزلـت الآيتـان اللتـان في آخرهـا بمكـة.

فَصْلٌ

ولها تسعة أسماء:

أحدها: سورة التوبة.

والثاني: براءة، وهذان مشهوران بين الناس.

والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة.

والرابع: المُقَشْقِشَة، قاله ابن عمر.

والخامـس: سـورة البحـوث، لأنهـا بحثـت عـن سرائـر المنافقـين، قالـه المقـداد بـن الأسـود.

والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس.

والسـابع: المبعثِـرة، لأنهـا بعثـرت أخبـار النـاس وكشـفت عـن سرائرهم، قالـه الحـارث بـن يزيـد، وابن إسـحاق. [٣١٥/أ]

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧١).

والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة.

والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزَّجَّاج[١].

فَصْلٌ

وفي سبب امتناعهم من كتابة التسمية في أولها ثلاثة أقوال:

أحدها: رواه ابن عباس، قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى «الأنفال» وهي من المثاني، وإلى «براءة» وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم»؟ فقال: كان رسول الله ﷺ إذا أُنزل عليه الشيء يدعو بعضَ مَن يكتب، فيقول: «**ضَعُوا هَذَا فِي أَوَّلِ**[٢] **السُّورةِ الَّتي يُذْكَرُ مِنْهَا كَذَا وَكَذَا**»، وكانت «الأنفال» من أوائل ما نزل بالمدينة، و«براءة» من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وقُبِض رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن لنا أنها منها، فظننا أنها منها فمن ثَمَّ قرنتُ بينهما ولم أكتب بينهما: «بسم الله الرحمن الرحيم»[٣].

وذُكر نحو هذا المعنى عن أُبَيِّ بن كعب.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٧).

(٢) ليست في (ف)، و(ر).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٩٨)، وأحمد في مسنده (٣٩٩، ٤٩٩)، والحاكم في مستدركه (٢٨٧٥) وغيرهم من رواية يزيد الفارسي، عن ابن عباس به.
وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١١٩) لابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي وحسنه، والنسائي، وابن أبي داود في المصاحف، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل.

قال الزَّجَّاج: والشبه الذي بينهما، أن في «الأنفال» ذكر العهود، وفي «براءة» نقضها[(١)][(٢)].

وكان قتادة يقول: هما سورة واحدة[(٣)].

والثاني: رواه محمد ابن الحنفية، قال: قلت لأبي: لِمَ لم تكتبوا في «براءة» «بسم الله الرحمن الرحيم»؟ فقال: يا بنيَّ، إن «براءة» نزلت بالسيف، وإن «بسم الله الرحمن الرحيم» أمانٌ[(٤)].

وسئل سفيان بن عيينة عن هذا، فقال: لأن التسمية رحمة، والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين[(٥)].

والثالث: أن رسول الله ﷺ، لما كتب في صلح الحديبية: «بسم الله الرحمن الرحيم»، لم يقبلوها وردُّوها، فما ردَّها الله عليهم، قاله عبد العزيز بن يحيى المكي.

---

(١) في (ف): (بعضها).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٧٩).

(٤) لم نقف عليه عن محمد ابن الحنفية، وإنما عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم؟ قال: لأن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وبراءة نزلت بالسيف».
وقد رواه الحاكم في مستدركه (٣٢٧٣) من رواية علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه به.
وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢٢) لأبي الشيخ، وابن مردويه.
وذكره الواحدي في التفسير البسيط(١٠/ ٢٧٨)، وعزاه لابن عباس أيضًا.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٧٨).



فَصْلٌ

فأما سبب نزولها:

فقال المفسرون: أخذت العرب تنقض عهودًا بَنَتْها مع رسول الله ﷺ، فأمره الله تعالى بإلقاء عهودهم إليهم، فأنزل براءة في سنة تسع، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسم ليقيم للناس الحج في تلك السنة، وبعث معه صدرًا من «براءة» ليقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا رسول الله ﷺ عليًّا، فقال: «**اخْرُجْ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةَ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِذَلِكَ**»، فخرج عليٌّ على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر، فرجع أبو بكر فقال: يا رسول الله، أُنزل في شأني شيء؟ قال: «**لَا، وَلَكِنْ لَا يُبَلِّغُ عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنِّي، أَمَا تَرْضَى أَنَّكَ كُنْتَ صَاحِبِي فِي الْغَارِ، وَأَنَّكَ صَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ**»؟ قال: بلى يا رسول الله، فسار أبو بكر أميرًا على الحج، وسار عليٌّ ليؤذِّن بـ «براءة»[1]. [٣١٥/ ب]

فَصْلٌ

وفي عدد الآيات التي بعثها رسول الله ﷺ من أول «براءة» خمسة أقوال:

أحدها: أربعون آية، قاله عليٌّ.

والثاني: ثلاثون آية، قاله أبو هريرة.

والثالث: عشر آيات، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٣١٦، ٣١٧).

والرابع: سبع آيات، رواه ابن جريج عن عطاء.

والخامس: تسع آيات، قاله مقاتل[١].

فَصْلٌ

فإن توهَّم مُتوهِّمٌ أن في أخذ «براءة» من أبي بكر، وتسليمها إلى عليٍّ، تفضيلًا لعليٍّ على أبي بكر، فقد جهل؛ لأن النبي ﷺ أجرى العرب في ذلك على عادتهم.

قال الزَّجَّاج: وقد جرت عادة العرب في عقد عهدها ونقضها، أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فكان[٢] جائزًا[٣] أن تقول العرب إذا تلا عليها نقضَ العهد مَن ليس من رهط النبي ﷺ: هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح النبي ﷺ العلَّة بما فعل[٤].

وقال عمرو بن بحر: ليس هذا بتفضيل لعليٍّ على أبي بكر، وإنما عاملهم بعادتهم المتعارفة في حَلِّ العقد، وكان لا يتولى ذلك إلا السَّيِّدُ منهم، أو رجل من رهطه دَنِيًّا، كأخ، أو عمٍّ، وقد كان أبو بكر في تلك الحَجة الإمام، وعليٌّ يأتمُّ به، وأبو بكر الخطيب، وعليٌّ يستمع.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٥٤).

(٢) ليست في (ف).

(٣) في (ف): (وجائز).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٨).



وقال أبو هريرة: بعثني أبو بكر في تلك الحجة مع المؤذِّنين الذين بعثهم يؤذِّنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فأذَّن معنا علي بـ «براءة» وبذلك الكلام[1].

وقال الشعبي: بعث رسول الله ﷺ عليًّا يؤذن بأربع كلمات: «**أَلَا لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، أَلَا وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، أَلَا وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُسْلِمٌ، أَلَا وَمَنْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ مُدَّةٌ فَأَجَلُهُ إِلَى مُدَّتِهِ، وَاللهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**»[2].

فَصْلٌ

فأما التفسير:

قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ [التوبة: ١].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٣١)، والبخاري في صحيحه (٣٦٩)، ومسلم في صحيحه (١٣٤٧) من رواية حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ﷺ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣١٣)، والنسائي في المجتبى (٢٩٥٨)، وابن حبان في صحيحه (٣٨٢٠)، والحاكم في مستدركه (٣٢٧٥) والبيهقي في السنن الكبرى (١٨٨٢١) وغيرهم عن الشعبي، عن المحرر بن أبي هريرة، عن أبيه قال: جِئْتُ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءَةَ، قَالَ: مَا كُنْتُمْ تُنَادُونَ؟ قَالَ: «كُنَّا نُنَادِي إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَهْدٌ، فَأَجَلُهُ أَوْ أَمَدُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا مَضَتِ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ، فَإِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَرَسُولُهُ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

فقوله: ﴿بَرَآءَةٌ﴾.

قال الفراء: هي مرفوعة بإضمار «هذه»، ومثله ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ [النور: ١][١].

وقال الزَّجّاج: يقال: بَرِئْتُ من الرجل والدَّيْن براءةً، وبرئتُ من المرض وبرأتُ أيضًا أبرأُ برءًا، وقد رووا: برأت أبرأ بروءًا، ولم نجد في ما لامه همزة: فَعَلْتُ أفعل، إلا هذا الحرف، ويقال: بريت القلم، وكل شيء نحتَّه: أبريه بَرْيًا، غير مهموز[٢].

وقرأ أبو رجاء، ومورق، وابن يعمر: «براءةً» بالنصب[٣].

قال المفسرون: والبراءة هاهنا: قطع الموالاة، وارتفاع العصمة، وزوال الأمان.

والخطاب في قوله تعالى: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ، والمراد رسول الله ﷺ، لأنه هو الذي كان يتولَّى المعاهدة، وأصحابُه راضون، فكأنهم بالرضا عاهدوا أيضًا، وهذا عام في كل من عاهد رسول الله ﷺ. [٣١٦/أ]

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٢٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٨).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٦) نسبها لعيسى بن عمر، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٦) بلا نسبة.

وقال مقاتل: هم ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبنو مدلج، وبنو جذيمة[(١)(٢)].

قوله تعالَى: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾ [التوبة: ٢].

قوله: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: انطلقوا فيها آمنين لا يقع بكم مِنّا مكروه.

إن قال قائل: هذه مخاطبة شاهد، والآية الأولى إخبار عن غائب؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه جائز عند العرب الرجوع من الغيبة إلى الخطاب.

قال عنترة[(٣)]: [من الكامل]

شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِرًا عَلَيَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

---

(١) في (ف): (خزيمة).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٧)، والواحدي في التفسير البسيط (٧/ ٣٥).

(٣) البيت لعنترة في ديوانه (ص ١٠٩)، ومجاز القرآن (ص:٢٥٢)، ولسان العرب (٧/ ٣٣٤) مادة (شطط)؛ وتاج العروس (١٩/ ٤١٥) مادة (شطط)، والأضداد (ص:١٣٥)، والكامل في اللغة والأدب (٢/ ٤٤)، وشرح القصائد العشر؛ للتبريزي (ص:١٨٠)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٣/ ٤٢). ومعنى (شطت): أي جاوزت، يقال: شطت الدار تَشُطُّ وتَشِطُّ؛ إذا تباعدت، والمعنى: شطَّت عبلة مزار العاشقين، أي بعدت من مزارهم.

هذا قول أبي عبيدة[١].

والثاني: أن في الكلام إضمارًا، تقديره: فقل لهم: سيحوا في الأرض، أي: اذهبوا فيها، وأقبلوا، وأدبروا، وهذا قول الزَّجَّاج[٢].

واختلفوا فيمن جُعلت له هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال:

أحدها: أنها أمان لأصحاب العهد، فمن كان عهده أكثر منها، حُطَّ إليها، ومن كان عهده أقل منها، رفع إليها، ومن لم يكن له عهد، فأجله انسلاخ المحرَّم خمسون ليلة، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

والثاني: أنها للمشركين كافَّةً، مَنْ له عهد، ومَنْ ليس له عهد، قاله مجاهد، والزهري، والقرظي.

والثالث: أنها أجل لمن كان رسول الله ﷺ قد آمنه أقلَّ من أربعة أشهر، أو كان أمانه غير محدود، فأما من لا أمان له، فهو حرب، قاله ابن إِسحاق.

والرابع: أنها أمان لمن لم يكن له أمان ولا عهد، فأما أرباب العهود، فهم على عهودهم إلى حين انقضاء مُددهم، قاله ابن السائب.

ويؤكده ما روي أن عليًّا نادى يومئذ: ومَن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد، فعهده إلى مدَّته.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٩).

وفي بعض الألفاظ: فأجله أربعة أشهر[١].

واختلفوا في مدة هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقوال:

أحدها: أنها الأشهر الحرم: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله ابن عباس.

والثاني: أن أولها يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وآخرها العاشر من ربيع الآخر، قاله مجاهد، والسدي، والقرظي.

والثالث: أنها شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال، قاله الزهري.

قال أبو سليمان الدمشقي: وهذا أضعف الأقوال، لأنه لو كان كذلك، لم يجز تأخير إعلامهم به إلى ذي القعدة[٢]، إذ كان لا يلزمهم الأمر إلا بعد الإعلام.

والرابع: أن أولها العاشر من ذي القعدة، وآخرها العاشر من ربيع الأول، لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك اليوم، ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة، وفيها حجَّ رسول الله ﷺ وقال: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ**»[٣]، ذكره الماوردي[٤].

---

(١) تقدَّم تخريجه قريبًا.

(٢) في (ف)، و(ر): (ذي الحجة).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٦٢)، ومسلم في صحيحه (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٣٨).

قولـه: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ﴾ أي: وإن أُجِّلْتُـمْ هـذه الأربعـة [٣١٦/ب] الأشـهر فلـن تفوتـوا الله.

قوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

قـال الزَّجَّـاج: الأجـود فتـح «أن» عـلى معنـى: اعلمـوا أن، ويجـوز كسرها عـلى الاسـتئناف، وهـذا ضـمان مـن الله نـصرة المؤمنين عـلى الكافريـن[1].

قولـه تعَـالَى: ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣﴾ [التوبـة: ٣].

قوله: ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ أي: إعلام، ومنه أذان الصلاة.

وقـرأ الضحـاك، وأبـو المتـوكل، وعكرمـة، والجحـدري، وابـن يعمـر: «وَإِذْنٌ» بكـسر الهمـزة وقصرهـا سـاكنة الـذال مـن غـير ألـف[2].

قولـه: ﴿إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: للنـاس. يقـال: هـذا إعـلام لـك، وإليـك. والنـاس هاهنـا عـامٌّ في المؤمنـين وفي المشركـين.

وفي ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدهـا: أنـه يـوم عرفـة، قالـه عمـر بـن الخطـاب، وابـن الزبـير، وأبـو جحيفـة، وطـاوس، وعطـاء.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٢٩).

(٢) في مختصر ابـن خالويـه (ص:٥٦) نسـبها ليزيـد، وفي إعـراب القـراءات الشـواذ (١/ ٦٠٧) بـلا نسبة، وفي البحـر المحيـط (٥/ ٣٦٧) نسـبها للضحـاك وعكرمـة وأبي المتـوكل.

والثاني: يوم النحر، قاله أبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن أبي أوفى، وابن المسيب، وابن جبير، وعكرمة، والشعبي، والنخعي، والزهري، وابن زيد، والسدي في آخرين.

وعن علي، وابن عباس، كالقولين.

والثالث: أنه أيام الحج كلُّها، فعبَّر عن الأيام باليوم، قاله سفيان الثوري.

قال سفيان: كما يقال: يوم بعاث، ويوم الجمل، ويوم صفِّين يراد به: أيام ذلك، لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أيامًا[1].

وعن مجاهد كالأقوال الثلاثة.

وفي تسميته بـ﴿يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه سمَّاه بذلك؛ لأنه اتفق في سنة حج فيها المسلمون والمشركون، ووافق ذلك عيدَ اليهود والنصارى، قاله الحسن.

والثاني: أن الحج الأكبر: هو الحج، والأصغر: هو العمرة، قاله عطاء، والشعبي.

والثالث: أن الحج الأكبر: القِران، والأصغر: الإفراد، قاله مجاهد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٣٦) بلفظ مختصرٍ عن أبي عبيد، قال: كان سفيان يقول: «يوم الحج، ويوم الجمل، ويوم صفين: أي أيامه كلها».
وذكره بلفظه المطوَّل: الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٨٧).

قوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ﴾.

وقرأ الحسن، ومجاهد، وابن يعمر: «إِن الله» بكسر الهمزة[١].

﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: من عهد المشركين، فحذف المضاف.

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ رفعٌ على الابتداء، وخبره مضمر على معنى: ورسولُه أيضًا بريء.

وقرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو رجاء، ومجاهد، وابن يعمر، وزيد عن يعقوب: «ورسولَه» بالنصب[٢].

ثم رجع إلى خطاب المشركين بقوله: ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ أي: رجعتم عن الشرك، ﴿وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان.

قوله تعالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة: ٤].

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٦) نسبها للحسن، ويحيى، وإبراهيم، وعيسى، وفي التحصيل (٣/ ٢٢٩) نسبها للحسن، وغيره، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٦) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٧)، والبحر المحيط (٥/ ٣٦٧) كلاهما نسبها للحسن والأعرج.

(٢) في التحصيل (٣/ ٢٢٩) نسبها للحسن، وغيره، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٧) نسبها لابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وفي البحر المحيط (٥/ ٣٦٧) نسبها لابن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وزيد بن علي.



قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

قال أبو صالح عن ابن عباس: فلما قرأ عليٌّ «براءة»، قالت بنو ضمرة: ونحن مثلهم أيضًا؟ قال: لا، لأن الله تعالى قد استثناكم، ثم قرأ هذه الآية[١].

وقال مجاهد: هم قوم كان[٢] بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ومدة، فأُمر أن يفي لهم[٣].

قال الزَّجَّاج: معنى الكلام: وقعت البراءة من المعاهدين الناقضين للعهود، إلا الذين عاهدتم ثم لم ينقضوكم، فليسوا داخلين في البراءة ما لم ينقضوا العهد[٤].

[٣١٧/أ] قال القاضي أبو يعلى: وفصل الخطاب في هذا الباب: أنه قد كان بين رسول الله ﷺ وبين جميع المشركين عهد عامٌّ، وهو أن لا يُصدَّ أحدٌ عن البيت، ولا يُخافَ أحد في الشهر الحرام، فجعل الله عهدهم أربعة أشهر، وكان بينه وبين أقوام منهم عهود إلى آجال مسمَّاة، فأُمر بالوفاء لهم وإتمام مدَّتهم إذا لم يخش غدرهم.

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) ليست في (ف).

(٣) في تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٥٠) من رواية ابن جريج عن مجاهد قال: قال الله تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤] قال: كان بقي لبني مذحج وخزاعة عهد فهو الذي قال الله: ﴿فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤].

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٠).

قولــه تعَــالَى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [التوبة: ٥].

قوله: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله الأكثرون.

والثاني: أنها الأربعة الأشهر التي جُعلت لهم فيها السياحة، قاله الحسن في آخرين.

فعلى هذا، سميت حُرُمًا؛ لأن دماء المشركين حرِّمت فيها.

قوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: مَن لم يكن له عهد.

﴿حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

قال ابن عباس: في الحلِّ والحرم والأشهر الحرم(١).

قوله: ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أي: ائسروهم، والأخيذ: الأسير.

﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ أي: احبسوهم، والحصر: الحبس.

قال ابن عباس: إن تحصَّنوا فاحصروهم(٢).

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٩٤) وعزاه للفراء، وهو في معاني القرآن له (١/ ٤٢١).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٢٩٤).

قوله: ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾.

قال الأخفش: أي: على كل مرصد، فألقى «على» وأعمل الفعل، قال الشاعر[1]: [من الوافر]

نُغالي اللَّحْمَ لِلأَضْيافِ نِيئًا ... ونُرْخِصُهُ إذَا نَضِجَ القُدُورُ

المعنى: نغالي باللحم، فحذف الباء كما حذف «على»[2].

وقال الزَّجَّاج: ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ ظرف، كقولك: ذهبتُ مذهبًا، فلستَ تحتاج أن تقول في هذه إلا ما تقوله في الظروف، مثل: خلف، وقُدَّام[3].

قوله: ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ أي: من شركهم.

وفي قوله: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **قولان:**

أحدهما: اعترفوا بذلك.

والثاني: فعلوه.

---

(١) البيت لرجل من قيس كما في جمهرة اللغة (٣/ ١٣١٧)، وأساس البلاغة (ص:٧٠٩) (غلو)، وبلا نسبة في المخصص (٤/ ٢٤٦)، لسان العرب (٧/ ٤٠) مادة (رخص)، وجمهرة اللغة (٣/ ١٣١٩)، وتاج العروس (١٧/ ٥٩٥) مادة (رخص)، وتهذيب اللغة (٦/ ٨١)، ومعجم ديوان الأدب (٤/ ١٢١)، ومعناه: يَقُولُ: نُغْلِيه نِيّاً إذا اشْتَرَيْناه ونُبِيحُه إذا طَبَخْناه لأَكله. لسان العرب (٧/ ٤٠).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٣٥٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣١).

فَصْلٌ

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه[1] الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن حكم الأسارى كان وجوبَ قتلهم، ثم نسخ بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]، قاله الحسن، وعطاء في آخرين.

والثاني: بالعكس، وأنه كان الحكم[2] في الأسارى: أنه لا يجوز قتلهم صبرًا، وإنما يجوز المنُّ أو الفداء بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] ثم نُسخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ قاله مجاهد، وقتادة.

والثالث: أن الآيتين محكمتان، والأسير إذا حصل في يد الإمام، فهو مخيَّر، إن شاءَ مَنَّ عليه، وإن شاء فاداه، وإن شاء قتله صبرًا، أيَّ ذلك رأى فيه المصلحة للمسلمين فعلَ، هذا قول جابر بن زيد، وعليه عامة الفقهاء، وهو قول الإمام أحمد.

قوله تعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة: ٦].

قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾.

قال المفسرون: وإن أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم استأمنك يبتغي أن يسمع القرآن وينظر فيما أُمر به ونُهي عنه، فأَجِرْه، ثم أبلغه الموضع الذي يأمن فيه. [٣١٧/ ب]

---

(١) ليست في (ف).

(٢) في الأصل: (الحكمة)، والمثبت من (ف)، و(ر).

وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: أن المعنى: ذلك الذي أمرناك به من أن يُعرَّفوا ويُجاروا لجهلهم بالعلم.

والثاني: ذلك الذي أمرناك به من ردِّه إلى مأمنه إذا امتنع من الإيمان، لأنهم قوم جهلة بخطاب الله.

قوله تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧﴾ [التوبة: ٧].

قوله: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ أي: لا يكون لهم ذلك.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ **وفيهم ثلاثة أقوال:**

أحدها: أنهم بنو ضمرة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم قريش، قاله ابن عباس أيضًا.

وقال قتادة: هم مشركو قريش الذين عاهدهم نبيُّ الله ﷺ زمن الحديبية، فنكثوا وظاهروا المشركين[1].

والثالث: أنهم خزاعة، قاله مجاهد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩٧) من رواية معمر، عن قتادة به.

وذكر أهل العلم بالسِّيَر[١] أن رسول الله ﷺ لما صالح سهيل بن عمرو في غزوة الحديبية، كتب بينه وبينه: «هَذَا مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ اللهِ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو، اصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ، وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ، وَأَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً، وَأَنَّه مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَعَقْدِهِ فَعَلَ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ وَعَقْدِهَا فَعَلَ، وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْهُمْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ عَنَّا عَامَهُ هَذَا بِأَصْحَابِهِ، وَيَدْخُلُ عَلَيْنَا فِي[٢] قَابِلٍ فِي أَصْحَابِهِ، فَيُقِيمُ بِهَا ثَلَاثًا لَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا بِسِلَاحٍ، إِلَّا سِلَاحَ الْمُسَافِرِ، السُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ»، فوثبتْ خزاعة فقالوا: نحن ندخل في عهد محمد وعقده، ووثبت بنو بكر فقالوا: نحن ندخل في عهد قريش وعقدها. ثم إن قريشًا أعانت بني بكر على خزاعة بالرجال والسلاح فبيَّتوا خزاعة ليلًا، فقتلوا منهم عشرين رجلًا. ثم إن قريشًا ندمت على ما صَنَعَتْ، وعلموا أنَّ هذا نقضٌ للعهد والمدة التي بينهم وبين رسول الله ﷺ، وخرج قوم من خزاعة إلى رسول الله ﷺ فأخبروه بما أصابهم، فخرج إليهم فكانت غزاة الفتح[٣].

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٣١٦)

(٢) ليست في (ف).

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٨٩١٠) من رواية محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم به.

وهو عند البخاري (٢٧٣١) من رواية معمر، عن الزهري به.=

قال أبو عبيدة: الإسلال: السرقة، والإغلال: الخيانة.

قال ابن الأعرابي: وقوله: «وَأَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً» مَثَلٌ، أراد: أنَّ صُلْحَنَا مُحْكَم مُسْتَوْثَقٌ منه، كأنه عيبة مُشْرَجَة [1].

وزعم بعض المفسرين أن قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ نُسخ بقوله: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

قوله تَعَالَى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ۝٨﴾ [التوبة: ٨].

قوله: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: المعنى: كيف يكون لهم عهد وإن يظهروا عليكم، فحذف ذلك، لأنه قد سبق [2]، قال الشاعر [3]: [من الطويل]

=قال الحافظ ابن كثير في التفسير (٧/ ٣٤٩): «وقد رواه البخاري في صحيحه، فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة».

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث (٤/ ١٩١): «وَفِيهِ «إنَّ بيْنَنا وبَيْنكم عَيْبَةً مَكْفُوفة» أَيْ: مُشْرَجَة عَلَى مَا فِيهَا مُقْفَلة، ضَربَها مَثَلاً للصُّدُور، وَأَنَّها نَقِيَّة مِنَ الغِلِّ والغِشِّ فِيمَا اتَّفقوا عَلَيْه مِنَ الصُّلح والهُدْنَة. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أنْ يَكُونَ الشَّرُّ بَيْنَهُم مَكْفُوفًا، كَمَا تُكَفُّ العَيْبَةُ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ المَتَاع، يُرِيد أَنَّ الذُّحُول الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهم اصْطَلَحوا عَلَى أَلَّا يَنْشُروها، فكأنَّهم قَدْ جَعَلوها فِي وِعاء وَأَشْرَجُوا عَلَيْهِ».

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٣).

(٣) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته الشهيرة في الأصمعيات (٩٩)، وطبقات فحول الشعراء (١/ ٢١٢) (٢٨٤)، والحيوان (٣/ ٢٦)، وإيضاح شواهد الإيضاح (٢/ ٨٢٦)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٢٩)، ولسان العرب (١٥/ ٤٥٤)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٤١)، وأمالي القالي (٢/ ١٥١)، ومعناه: وخبرتماني إنما الموت بالقرى: يقول:=

وَخَبَّرْتُمَانِي أَنَّمَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيفَ وَهَذِي هَضْبَةٌ وَقَلِيبُ

أي فكيف مات وليس بقرية؟. [٣١٨/أ]

ومثله قول الحطيئة[1]: [من الطويل]

فَكَيْفَ وَلَمْ أَعْلَمْهُمُ خَذَلُوكُمُ عَلَى مُعْظَمٍ وَلَا أَدِيمَكُمْ قَدُّوا

أي: فكيف تلومونني على مدح قوم؟.

واستغنى عن ذكر ذلك، لأنه قد جرى في القصيدة[2] ما يدل على ما أضمر.

وقوله: ﴿يَظْهَرُوا﴾ يعني: يقدروا ويظفروا.

وفي قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يحفظوا، قاله ابن عباس.

والثاني: لا يخافوا، قاله السدي.

والثالث: لا يراعوا، قاله قطرب.

=قلتما لي إنَّ مَن سكن الأمصار والقرى مرض، للوباء الذي يكون في الأمصار، فكيف مات أخي في هذا الموضع وهو برِّيَّة، وهذه هضبة! أشار إلى هضبة في الموضع الذي مات أخوه فيه. والهضبة: الجبل. وقليب: بئر عظيمة.

(١) البيت للحطيئة في ديوانه (١٤٠)، والغريبين في القرآن والحديث؛ للهروي (٥/ ١٦٦١)، ومختارات شعراء العرب؛ لابن الشجري (٣/ ١٣).

(٢) في (ف): (القصة).

وفي الإلّ خمسة أقوال:

أحدها: أنه القرابة، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والسدي، ومقاتل[1]، والفراء[2].

وأنشدوا[3]:

إنَّ الْوُشَاةَ كَثِيرٌ إِنْ أَطَعْتَهُمُ لا يَرْقُبُون بنا إِلًّا وَلا ذِمَمَا

وقال الآخر[4]: [من الوافر]

لعَمْرُكَ إنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيش كإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَام

والثاني: أنه الجوار، قاله الحسن.

والثالث: أنه الله ﷻ، رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد، وبه قال عكرمة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٥٨).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٠٥)، ولم أجده في كتابه معاني القرآن.

(٣) البيت بلا نسبة في الأضداد؛ لابن الأنباري (ص:٣٩٦)، والزاهر (١/ ٤٨١)، ونسبه الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ١٠٨) للحارث المخزومي، ولكن بلفظ: «إن الوشاة قليل إن أطعتهم..».

(٤) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص ١٠٥)، وتفسير الطبري (١١/ ٣٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠)، والغريب المصنف (١/ ٤٠٤)، وغريب الحديث (١/ ١٠٠) كلاهما لأبي عبيد، والحيوان (٤/ ٤٣٥)، وأمالي القالي (١/ ٤١)، ومعجم ديوان الأدب (٤/ ١٥٥)، والصحاح (٤/ ١٦٢٦)، والفائق في غريب الحديث (٤/ ١٨)، ولسان العرب (١١/ ٢٦)، وتاج العروس (٢٨/ ١٨)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (١/ ٢١)، وكتاب العين (٨/ ٣٦١)، والمخصص (١/ ٣٣٢).

والرابع: أنه العهد، رواه خصيف عن مجاهد، وبه قال ابن زيد، وأبو عبيدة[١].

والخامس: أنه الحِلْف، قاله قتادة.

وقرأ عبد الله بن عمرو، وعكرمة، وأبو رجاء، وطلحة بن مصرِّف: «إيلًا» بياء بعد الهمزة[٢].

وقرأ ابن السميفع والجحدري: «أَلًّا» بفتح الهمزة وتشديد اللام[٣].

وفي المراد بالذمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها العهد، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك في آخرين.

والثاني: التذمم ممن لا عهد له، قاله أبو عبيدة[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٣).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها لعكرمة، وطلحة بن مصرف، وفي التحصيل (٣/ ٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٠) كلاهما نسبها لعكرمة، وفي إعراب القراءات الشوذ؛ للعكبري (١/ ٦٠٨) بلا نسبة.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها للكلبي، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٠٨) بلا نسبة.

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٣).

وأنشد[١]:

.... لاَ يَرْقُبُـوْنَ بِنَـا إلًّا ولا ذِمَمَـا

والثالث: الأمان، قاله اليزيدي، واستشهد بقوله ﷺ: «**وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ**»[٢].

قوله: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يرضونكم بأفواههم في الوفاء، وتأبى قلوبهم إلا الغدر.

والثاني: يرضونكم بأفواههم في العِدَة بالإيمان، وتأبى قلوبهم إلا الشرك.

والثالث: يرضونكم بأفواههم في الطاعة، وتأبى قلوبهم إلا المعصية، ذكرهنَّ الماوردي[٣].

---

(١) هذا عجز البيت، وصدره: «إنَّ الوشاة كثيرٌ إن أطعتهمُ»، وهو بلا نسبة في الأضداد؛ لابن الأنباري (ص:٣٩٦)، والزاهر (١/ ٤٨١)، ونسبه الراغب الأصفهاني في كتابه محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٢/ ١٠٨) للحارث المخزومي، ولكن بلفظ: «إن الوشاة قليل إن أطعتهم... لا يرقبون بنا إلًّا ولا ذمما».

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤٥٣٠)، والنسائي في المجتبي (٤٧٣٤)، وأحمد في مسنده (٩٥٩) وغيرهم من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٤٣).

قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

قال ابن عباس: خارجون عن الصِّدق، ناكثون للعهد(١).

قوله تعالَى: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: ٩، ١١].

قوله: ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾.

في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، قاله مجاهد.

والثاني: أنهم قوم من اليهود، قاله أبو صالح.

فعلى الأول، آيات الله: حججه، وعلى الثاني: هي آيات التوراة.

والثمن القليل: ما حصَّلوه بدلًا من الآيات.

وفي وصفه بالقليل وجهان:

أحدهما: لأنه حرام، والحرام قليل.

والثاني: لأنه من عَرَض الدنيا الذي بقاؤه قليل.

---

(١) في التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ٣٠٩): «قال ابن عباس: يريد: كاذبون».

وفي قوله: ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: عن بيته، وذلك حين منعوا النبي ﷺ بالحديبية دخول مكة.

والثاني: عن دينه بمنع الناس منه.

والثالث: عن طاعته في الوفاء بالعهد.

قوله تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۝١٢﴾ [التوبة: ١٢].

[٣١٨/ ب] قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم﴾.

قال ابن عباس: نزلت في أبي سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد حين أعانوا بني بكر على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ أن يسير إليهم فينصر خزاعة، وهم الذين همُّوا بإخراج الرسول ﷺ[1].

فأما النَّكث، فمعناه: النَّقض.

والأيمان هاهنا: العهود.

والطعن في الدِّين: أن يعاب، وهذا يوجب قتل الذمي إذا طعن في الإسلام، لأن المأخوذ عليه أن لا يطعن فيه.

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٦).

قوله: ﴿فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾.

قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «أئمة» بتحقيق[١] الهمزتين.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: بتحقيق[٢] الأولى وتليين الثانية[٣].

والمراد بأئمة الكفر: رؤوس المشركين وقادتهم.

﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ﴾ أي: لا عهود لهم صادقة، هذا على قراءة من فتح الألف، وهم الأكثرون.

وقرأ ابن عامر: «لا إيمان لهم» بالكسر[٤].

وفيها وجهان ذكرهما الزَّجَّاج[٥]:

أحدهما: أنه وصف لهم بالكفر ونفي الإيمان.

والثاني: لا أمان لهم، تقول: آمنته إيمانًا، والمعنى: فقد بطل أمانكم لهم بنقضهم.

---

(١) في الأصل: (بتخفيف)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) في الأصل: (بتخفيف)، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) انظر: السبعة (ص:٣١٢)، والحجة (٤/ ١٦٧)، والمبسوط (ص:٢٢٥)، والتحصيل (٣/ ٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٢)، والحجة (٤/ ١٧٦ - ١٧٧)، والمبسوط (ص:٢٢٥)، والتحصيل (٣/ ٢٣٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٢).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٥).



وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ **قولان:**

أحدهما: عن الشرك.

والثاني: عن نقض العهود.

وفي «لعل» قولان:

أحدهما: أنها بمعنى الترجِّي، المعنى: ليرجى منهم الانتهاء، قاله الزَّجَّاج[1].

والثاني: أنها بمعنى: «كي»، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٣، ١٥].

قوله: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا﴾.

قال الزَّجَّاج: هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحضُّ على قتالهم[2].

قال المفسرون: وهذا نزل في نقض قريش عهد رسول الله ﷺ الذي عاهدهم بالحديبية حيث أعانوا على خزاعة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٦).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٦).

وفي قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ **قولان:**

أحدهما: أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش، كانوا فيمن همَّ بإخراج الرسول ﷺ من مكة.

والثاني: أنهم قوم من اليهود، غدروا برسول الله ﷺ، ونقضوا عهده وهمَّوا بمعاونة المنافقين على إخراجه من المدينة.

قوله: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ **فيه قولان:**

أحدهما: بدءوكم بإعانتهم على حلفائكم، قاله ابن عباس.

والثاني: بالقتال يوم بدر، قاله مقاتل(١).

قوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: أتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه؟! فمكروه عذاب الله أحق أن يُخشى إن كنتم مصدِّقين بعذابه وثوابه(٢).

قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن عباس(٣)، ومجاهد(٤): يعني خزاعة.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٦).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨١)، والبسيط (١٠/ ٣٢٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٦٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٥٣، ١٠٠٥٤) عن مجاهد.

قوله: ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: كَربها وَوجْدها بمعونة قريشٍ بني بكر عليها.

قوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾.

قال الزَّجَّاج: هو مستأنف وليس بجواب ﴿قَٰتِلُوهُمْ ﴾(١).

وفيمن عُني به قولان:

[٣١٩/أ] **أحدهما**: بنو خزاعة، والمعنى: ويتوب الله على من يشاء من بني خزاعة، قاله عكرمة.

والثاني: أنه عام في المشركين كما تاب على أبي سفيان، وعكرمة، وسهيل.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ ﴾ بنيّات المؤمنين.

﴿حَكِيمٌ ﴾ فيما قضى.

قوله تعالَى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التوبة: ١٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٧).

قوله: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ ﴾.

في المخاطب بهذا قولان:

أحدهما: أنهم المؤمنون، خوطبوا بهذا حين شق على بعضهم القتال، قاله الأكثرون.

والثاني: أنهم قوم من المنافقين كانوا يسألون رسول الله ﷺ الخروج معه إلى الجهاد تعذيرًا، قاله ابن عباس.

وإنما دخلت الميم في الاستفهام، لأنه استفهام معترض في وسط الكلام، فدخلت لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ.

قال الفراء: ولو أُريد به الابتداء، لكان إما بالألف، أو بـ «هل»[1].

ومعنى الكلام: أن يتركوا بغير امتحان يبَين به الصادق من الكاذب.

﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي: ولمَّا تجاهدوا فيعلم الله وجود ذلك منكم، وقد كان يعلم ذلك غيبًا، فأراد إظهار ما علم ليجازي على العمل[2].

فأما الوليجة:

فقال ابن قتيبة: هي البطانة من غير المسلمين، وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلًا من المشركين وخليطًا ووادًّا، وأصله من الولوج[3].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٢٦).

(٢) في (ف)، و(ر): (العلم).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٣).



وقال أبو عبيدة: وكل شيء أدخلته في شيء ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم[(١)].

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [التوبة: ١٧، ١٨].

قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «مسجد الله» على التوحيد، «﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴾ على الجمع.

وقرأ عاصم، ونافع، وابن عامر، وحمزة، والكسائي على الجمع فيهما[(٢)].

وسبب نزولها:

أن جماعة من رؤساء قريش أُسروا يوم بدر فيهم العباس بن عبد المطلب، فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فعيَّروهم بالشِّرك، وجعل علي بن أبي طالب يوبِّخ العباس بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا؟ فقالوا: وهل لكم من محاسن؟ قالوا: نعم، لنحن أفضل منكم أجرًا، إنا

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٤).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٣)، والحجة (٤/ ١٧٨)، والمبسوط (ص:٢٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ١٥)، والتحصيل (٣/ ٢٣٠).

لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحجيج، ونفك العاني، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل في جماعة(١).

وفي المراد بالعِمارة قولان:

أحدهما: دخوله والجلوس فيه.

والثاني: البناء له وإصلاحه.

فكلاهما محظور على الكافر.

والمراد من قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: يجب على المسلمين منعهم من ذلك.

قال الزَّجَّاج: وقوله: ﴿شَٰهِدِينَ ﴾ حال. المعنى: ما كانت لهم عمارته في حال إقرارهم بالكفر(٢).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ لأن كفرهم أذهب ثوابها.

فإن قيل: كيف يشهدون على أنفسهم بالكفر، وهم يعتقدون أنهم على الصواب؟ [٣١٩/ ب]

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه قول اليهودي: أنا يهودي، وقول النصراني: أنا نصراني، قاله السدي.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٧).



والثاني: أنهم ثبّتوا[١] على أنفسهم الكفر بعدولهم عن أمر النبي ﷺ، وهو حق لا يخفى على مميِّز، فكانوا بمنزلة من شهد على نفسه.

والثالث: أنهم آمنوا بأنبياء شهدوا لمحمد ﷺ بالتصديق، وحرَّضوا على اتِّباعه، فلما آمنوا بهم وكذَّبوه، دلُّوا على كفرهم، وجرى ذلك مجرى الشهادة على أنفسهم بالكفر، لأن الشهادة هي تبيين وإظهار، ذكرهما ابن الأنباري.

فإن قيل: ما وجه قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ ولم يذكر الرسول، والإيمانُ لا يتم إلا به؟

فالجواب: أن فيه دليلًا على الرسول، لقوله: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: الصلاة التي جاء بها الرسول، قاله الزَّجَّاج[٢].

فإن قيل: ﴿فَعَسَىٰٓ﴾ ترجٍّ، وفاعل هذه الخصال مهتد بلا شك؟

فالجواب: أن «عسى» من الله واجبة، قاله ابن عباس. فإن قيل: قد يعمر مساجد الله من ليس فيه هذه الصفات.

فالجواب: أن المراد به من كان على هذه الصفات المذكورة، كان من أهل عمارتها، وليس المراد أن من عمرها كان بهذه الصفة.

---

(١) في الأصل: (بينوا)، والمثبت من بقية النسخ.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٨).

قولـه تعـالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبـة: ١٩، ٢٢].

قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾.

في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدهـا: رواه مسـلم في «صحيحـه» مـن حديـث النعـمان بـن بشـير قـال: كنـت عنـد منـبر رسـول الله ﷺ، فقـال رجـل: مـا أبـالي أن لا أعمـل عمـلًا بعـد أن أعمـر المسـجد الحـرام، وقـال الآخـر: مـا أبـالي أن لا أعمـل عمـلًا بعـد أن أسـقيَ الحـاجَّ[١]، وقـال آخـر: الجهـاد في سـبيل الله أفضـل ممـا قلتـم، فزجرهـم عمـر، وقـال: لا ترفعـوا أصواتكـم عنـد منـبر رسـول الله ﷺ وهـو يـوم الجمعـة، ولكنـي إذا صليـت الجمعـة دخلـت فاسـتفتيت رسـول الله ﷺ فيـما اختلفتـم فيـه، فنزلـت هـذه الآيـة[٢].

والثـاني: أن العبـاس بـن عبـد المطلـب قـال يـوم بـدر: لئـن كنتـم سـبقتمونا بالإسـلام والهجـرة والجهـاد، لقـد كنـا نَعمُـر المسـجد الحرام ونسـقي

---

(١) في (ف)، و(ر): (فقـال رجـل: مـا أبـالي أن لا أعمـل عمـلاً بعـد أن أسـقي الحـاج، وقـال الآخـر: مـا أبـالي أن لا أعمـل عمـلاً بعـد أن أعمـر المسـجد الحـرام).

(٢) رواه مسـلم في صحيحـه (١٨٧٩)، والطـبري في تفسـيره (١١/ ٣٧٩) مـن حديـث النعـمان بـن بشـير ﷺ.



الحاج ونفك العاني، فنزلت هذه الآية، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[1].

والثالث: أن المشركين قالوا: عمارة البيت الحرام، والقيام على السقاية، خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفتخرون بالحرم من أجل أنهم أهله، فنزلت هذه الآية، رواه عطية العوفي عن ابن عباس[2].

والرابع: أن عليًّا والعباس وطلحة - يعني سادن الكعبة - افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، بيدي مفتاحه، ولو أشاء بتُّ فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ في المسجد. وقال علي: ما أدري ما تقولون، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن، والشعبي، والقرظي[3]. [٣٢٠/أ]

والخامس: أنهم لما أُمروا بالهجرة قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر، فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مجاهد[4].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٦٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٦٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٨٠) عن محمد بن كعب القرظي بلفظه، وعن الحسن والشعبي بمعناه مختصرًا. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٣٦) عن ثلاثتهم.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٨٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

قال الشيخ: هكذا ذكره مجاهد، وإنما الصواب عثمان بن طلحة؛ لأن طلحة هذا لم يُسلم[١].

والسادس: أن عليًا قال للعباس: ألا تهاجر[٢]؟ ألا تلحق بالنبي ﷺ؟ فقال: ألستُ في أفضلَ من الهجرة، ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية والتي بعدها، قاله مُرَّة الهَمْداني، وابن سيرين[٣].

قال الزَّجَّاج: ومعنى الآية: أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله؟ فحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه[٤].

قال الحسن: كان يُنبذ زبيبٌ، فيسقُون الحاج في الموسم[٥].

وقال ابن عباس: عمارة المسجد: تجميره، وتخليقه[٦].

فأخبر الله أن أفعالهم تلك لا تنفعهم مع الشرك، وسماهم ظالمين لشركهم.

---

(١) هذه العبارة ليست في (ف)، و(ر).

(٢) قوله: (ألا تهاجر؟)، ليس في (ف).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢٠) وعزاه لهما.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٨).

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢٠)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٣٧-٣٣٨).

(٦) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٣٨).

قوله: ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾.

قال الزَّجَّاج: هو منصوب على التمييز، والمعنى: أعظم من غيرهم درجة[1].

والفائز: الذي يظفر بأمنيته من الخير.

فأما النعيم: فهو لين العيش.

والمقيم: الدَّائم.

قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة: ٢٣].

قوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

في سبب نزولها خمسة أقوال:

أحدها: أنه لما أُمر المسلمون بالهجرة، جعل الرجل يقول لأهله: إنا قد أُمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك، ومنهم من يتعلق به عياله وزوجته فيقولون: نَنْشُدك الله أن تدعنا إلى غير شيء، فيرقُّ قلبه فيجلس معهم، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس[2].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٣٨).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠).

والثاني: أنه لما أمر الله المؤمنين بالهجرة، قال المسلمون: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشائرنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك عن ابن عباس(١).

والثالث: أنه لما قال العباس: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة: أنا أحجب الكعبة فلا نهاجر، نزلت هذه الآية والتي قبلها، هذا قول قتادة، وقد ذكرناه عن مجاهد(٢).

والرابع: أن نفرًا ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة، فنهى الله عن ولايتهم، وأنزل هذه الآية، قاله مقاتل(٣).

والخامس: أن النبي ﷺ لما أمر الناس بالجهاد لنصرة خزاعة على قريش، قال أبو بكر الصديق: يا رسول الله، نعاوِنهم على قومنا؟ فنزلت هذه الآية، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالَى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التوبة: ٢٤].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠) مختصرًا.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٨٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٨) من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وهو في تفسير مجاهد (ص:٣٦٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٤).

قوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الآية.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في الذين تخلَّفوا مع عيالهم بمكة ولم يهاجروا، [٣٢٠/ ب] قاله أبو صالح عن ابن عباس[١].

والثاني: أن علي بن أبي طالب قدم مكة، فقال لقوم: ألا تهاجرون؟ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن سيرين[٢].

والثالث: أنه لما نزلت الآية التي قبلها، قالوا: يا رسول الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدين، قطعنا آباءنا وعشيرتنا، وذهبت تجارتنا، وخربت ديارنا، فنزلت هذه الآية، ذكره بعض المفسرين في هذه الآية، وذكره بعضهم في الآية الأولى كما حكيناه عن ابن عباس[٣].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠).

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٤٦): «وأخرج الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب ﷺ مكة فقال للعباس ﷺ: أي عم ألا تهاجر ألا تلحق برسول الله ﷺ فقال: أعمر المسجد الحرام وأحجب البيت فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ الآية. وقال لقوم قد سماهم: ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله ﷺ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا فأنزل الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الآية كلها».

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٢١) من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس به. وذكره الواحدي أيضًا في التفسير البسيط (١٠/ ٣٤٠) مختصرًا.

فأما العشيرة: فهم الأقارب الأدنون.

وروى أبو بكر عن عاصم: «وعشيراتُكم» على الجمع[(١)].

قال أبو علي: وجهه أن كل واحد من المخاطَبين له عشيرة، فإذا جمعت قلتَ: عشيراتكم، وحجة من أفرد: أن العشيرة واقعة على الجمع، فاستغنى بذلك عن جمعها[(٢)].

وقال الأخفش: لا تكاد العرب تجمع عشيرة: عشيرات، إنما يجمعونها على عشائر[(٣)].

والاقتراف: بمعنى الاكتساب.

والتربص: الانتظار.

وفي قوله: ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قولان:

أحدهما: أنه فتح مكة، قاله مجاهد والأكثرون.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٣)، والحجة (٤/ ١٨٠)، والمبسوط (ص:٢٢٦)، والتحصيل (٣/ ٢٣١).

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٨٠).

(٣) وقول الأخفش هذا لم نقف عليه في كتابه: «معاني القرآن»، ولكن نقله عنه عدد من الأئمة، وانظر: الحجة؛ لأبي علي الفارسي (٤/ ١٨٠)، والتفسير البسيط (١٠/ ٣٤٢)، والوسيط (٢/ ٤٨٦) كلاهما للواحدي، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٣/ ١٨)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/ ٣٩١).



ومعنى الآية: إن كان المُقام في أهاليكم، وكانت الأموال التي اكتسبتموها ﴿وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ لفراقكم بلدكم ﴿وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم﴾ من الهجرة، فأقيموا غير مثابين، حتى تُفتح مكة، فيسقط فرض الهجرة.

والثاني: أنه العقاب، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [التوبة: ٢٥].

قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ أي: في أماكن.

قال الفراء: وكل جمع كانت فيه ألف قبلها حرفان وبعدها حرفان لم يُجْرَ[1]، مثل، صوامع، ومساجد: وجُرِيَ «حنين» لأنه اسم لمذكَّر، وهو وادٍ بين مكة والطائف، وإذا سمَّيتَ ماءً أو واديًا أو جبلًا باسم مذكَّر لا علَّة فيه، أجريته، من ذلك: حنين، وبدر، وحِراء، وثَبِير، ودابق[2].

ومعنى الآية: أن الله عَجَّلَ[3] أعلمهم أنهم إنما يغلبون بنصر الله لا بكثرتهم.

---

(١) إجراء الاسم عند الكوفيين معناه: صرفه وتنوينه، وعدم إجرائه معناه: منع صرفه.

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٢٨ - ٤٢٩).

(٣) في (ف): (النبي ﷺ).

وفي عددهم يوم حنين أربعة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا ستة عشر ألفًا، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثاني: عشرة آلاف، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثالث: كانوا اثني عشر ألفًا، قاله قتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، والواقدي.

والرابع: أحد عشر ألفًا وخمسمائة، قاله مقاتل(١).

قال ابن عباس: فقال ذلك اليوم سلمة بن سلامة بن وقش، وقد عجب لكثرة الناس: لن نُغلَب اليوم من قلّة، فساء رسول الله ﷺ كلامُه، ووُكِلوا إلى كلمة الرجل، فذلك قوله: ﴿إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾(٢).

وقال سعيد بن المسيب: القائل لذلك أبو بكر الصديق(٣).

وحكى ابن جرير أن القائل لذلك رسول الله ﷺ(٤).

وقيل: بل العباس.

وقيل: رجل من بني بكر.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨٧)، وفي البسيط (١٠/ ٣٤٦) من رواية عطاء عن ابن عباس به.

(٣) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٣٩٣).

(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١١/ ٣٨٦).



[٣٢١/أ] قوله: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: برحبها.

قال الفراء: والباء هاهنا بمنزلة «في» كما تقول: ضاقت عليكم الأرض في رحبها وبرحبها[١].

الإشارة إلى القصة

قال أهل العلم بالسيرة: لما فتح رسول الله ﷺ مكة، تآمر عليه أشراف هوازن وثقيف، فجاؤوا حتى نزلوا أوطاس، وأجمعوا المسير إليه، فخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما التقوا أعجبتهم كثرتُهم فهُزموا.

وقال البراء بن عازب: لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم، فأقبلوا بالسهام، فانكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ[٢].

وبعضهم يقول: ثبت مع النبي ﷺ يومئذ جماعة من أصحابه منهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث.

وبعضهم يقول: لم يبق معه سوى العباس وأبي سفيان.

فجعل النبي ﷺ يقول للعباس: «**نَادِ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ، يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ**» فنادى، وكان صيِّتًا، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها، يقولون: يا لبيك، فنظر النبي ﷺ إلى قتالهم، فقال: «**الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ، أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب**» ثم قال

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٣١٧)، ومسلم في صحيحه (١٧٧٦)، والطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٢) من رواية شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب ﷺ به.

للعباس: «نَاوِلْنِي حَصَياتٍ» فناوله، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ» ورمى بها، وقال: «انْهَزِمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ»، فقذف الله في قلوبهم الرعب فانهزموا[١].

وقيل: أخذ رسول الله ﷺ كفًّا من تراب، فرماهم به فانهزموا، وكانوا يقولون: ما بقي منا أحد إلا امتلأت عيناه بالتراب[٢].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة: ٢٦، ٢٧].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أي: بعد الهزيمة.

قال أبو عبيدة: هي فعيلة من السكون.

وأنشد[٣]: [من الكامل]

لله قَبْرٌ غَالَها ماذا يُجِنُّ … لقد أَجَنَّ سكينةً وَوَقَارًا[٤]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١٧٧٥) من رواية كثير بن العباس بن عبد المطلب، عن العباس رضي الله عنه.

(٢) وفي صحيح مسلم (١٧٧٧) من حديث سلمة بن الأكوع، وفيه: «فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: «شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله عز وجل، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين».

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٤).

(٤) البيت لأبي عُرَيْف الكُلَيبي في مجاز القرآن؛ لأبي عبيدة (ص:٢٥٤)، ولسان العرب (١٣/ ٢١٣) مادة (سكن).

وكذلك قال المفسرون: الأمن والطمأنينة.

قوله: ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

قال ابن عباس: يعني الملائكة[١].

وفي عددهم يومئذ ثلاثة أقوال:

أحدها: ستة عشر ألفًا، قاله الحسن.

والثاني: خمسة آلاف، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: ثمانية، قاله مجاهد، يعني: ثمانية آلاف.

قال: وهل قاتلت الملائكة يومئذ، أم لا؟ فيه قولان.

وفي قوله: ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ **أربعة أقوال:**

أحدها: بالقتل، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: بالقتل والهزيمة، قاله ابن أبزى، ومقاتل[٢].

والثالث: بالخوف والحذر، ذكره الماوردي[٣].

والرابع: بالقتل والأسر وسبي الأولاد وأخذ الأموال، ذكره بعض ناقلي التفسير[٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨٨) عن ابن عباس ﷺ.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٥).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٠).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٠).

قولــه: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ أي: يوفِّقــه للتوبــة مــن الــشرك.

قولــه تعَــالَى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨﴾ [التوبــة: ٢٨].

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾. [٣٢١/ب]

قال أبو عبيدة: معناه: قذر[١].

قال الزَّجَّاج: يقال لكل شيء مستقذَر: نَجَسٌ[٢].

وقــال الفــراء: لا تــكاد العــرب تقــول: نَجِسٌ، إلا وقبلهــا رِجْسٌ، فــإذا أفردوهــا قالــوا: نَجَس[٣].

وفي المراد بكونهم نجسًا ثلاثة أقوال:

أحدهــا: أنهــم أنجــاس الأبــدان، كالكلــب والخنزيــر، حــكاه المــاوردي عــن الحســن، وعمــر بــن عبــد العزيــز[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤١).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٨) أن عمر بن عبد العزيز كتب: أن امنعوا اليهود، والنصارى من دخول مساجد المسلمين، وأتبع في نهيه قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾.

وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ[١].

والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاسًا، قاله قتادة.

والثالث: أنه لما كان علينا اجتنابهم كما تجتنب الأنجاسُ، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح.

قوله: ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾.

قال أهل التفسير: يريد جميع الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ وهو سنة تسع من الهجرة، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر الصديق، وقرئت «براءة».

وقد أخذ إمامنا[٢] أحمد ﷺ بظاهر الآية، وأنه يحرم عليهم دخول الحرم، وهو قول مالك، والشافعي.

واختلفت الرواية عنه في دخولهم غير المسجد الحرام من المساجد:

فروي عنه المنع أيضًا إلا لحاجة، كالحرم، وهو قول مالك.

وروي عنه جواز ذلك، وهو قول الشافعي.

وقال أبو حنيفة: يجوز لهم دخول المسجد الحرام، وسائر المساجد.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٣٩٨) من رواية أشعث، عن الحسن به.

(٢) ليست في (ف)، و(ر).

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾.

وقرأ سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، والشعبي، وابن السميفع: «عايلة»[(١)].

قال سعيد بن جبير: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ شقَّ على المسلمين، وقالوا: مَنْ يأتينا بطعامنا؟ وكانوا يَقْدَمون عليهم بالتجارة، فنزلت: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[(٢)].

قال الأخفش: العيلة: الفقر. يقال: عال يعيل عَيْلة: إذا افتقر، وأعال إعالة فهو يُعيل: إذا صار صاحب عيال[(٣)].

وقال أبو عبيدة: العيلة هاهنا مصدر عالَ فلانٌ: إذا افتقر[(٤)].

وأنشد[(٥)]: [من الوافر]

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ　　　وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها لابن مسعود، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦١٣) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٢١) نسبها لعلقمة وغيره من أصحاب ابن مسعود.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٠١) من رواية واقد، عن سعيد بن جبير به.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٥٦).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٥).

(٥) البيت لأحيحة بن الجلاح في مجاز القرآن (ص:٢٥٥)، ولسان العرب (١١/ ٤٨٨) مادة (عيل)؛ وجمهرة اللغة (١/ ٥٩)، والصحاح (٥/ ١٧٧٩)، وتاج العروس (٣٠/ ٧٩) مادة (عيل)؛ وجمهرة أشعار العرب (ص ٢٧، و٥١٨)، والأشباه والنظائر (١/ ٢٠)، والتذكرة الحمدونية (١/ ٢٨٢).

وللمفسرين في قوله: ﴿وَإِنۡ﴾ قولان:

أحدهما: أنها للشرط، وهو الأظهر.

والثاني: أنها بمعنى «وإذ»، قاله عمرو بن فائد.

قالوا: وإنما خاف المسلمون الفقر، لأن المشركين كانوا يحملون التجارات إليهم، ويجيئون بالطعام وغيره.

وفي قوله: ﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ **ثلاثة أقوال**:

أحدها: أنه أنزل عليهم المطر عند انقطاع المشركين عنهم، فكثر خيرهم، قاله عكرمة.

والثاني: أنه أغناهم بالجزية المأخوذة من أهل الكتاب، قاله قتادة، والضحاك.

والثالث: أن أهل نجد، وجُرَش، وأهل صنعاء أسلموا، فحملوا الطعام إلى مكة على الظَّهْرِ، فأغناهم الله به، قاله مقاتل[١].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾.

قال ابن عباس: عليم بما يصلحكم، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم في المشركين[٢]. [٣٢٢/أ]

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٦).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٨٨)، وفي التفسير البسيط (١٠/ ٣٥٧).

قوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة: ٢٩].

قوله: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾.

قال المفسرون: نزلت في اليهود والنصارى.

قال الزَّجَّاج: ومعناها: لا يؤمنون بالله إيمان الموحِّدين، لأنهم أقرُّوا بأنه خالقُهم وأنَّه له ولد، وكذلك إيمانهم بالبعث؛ لأنهم لا يقرُّون بأنَّ أهل الجنة يأكلون ويشربون[١].

وقال الماوردي: إقرارهم باليوم الآخر يوجب الإقرار بحقوقه، وهم لا يقرُّون بها، فكانوا كمن لا يُقِرُّ به[٢].

قوله: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾.

قال سعيد بن جبير: يعني الخمر والخنزير[٣].

قوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾.

في ﴿ٱلْحَقِّ ﴾ قولان:

أحدهما: أنه اسم الله، فالمعنى: دين الله، قاله قتادة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤١).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٢٨) من رواية عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير به.

والثـاني: أنـه صفـة للديـن، والمعنـى: ولا يدينـون الدِّيـنَ الحـقَّ فأضـاف الاسـم إلى الصفـة.

وفي معنى ﴿يَدِينُونَ﴾ قولان:

أحدهمـا: أنـه بمعنـى الطاعـة، والمعنـى: لا يطيعـون الله طاعـةَ حـقٍّ، قالـه أبـو عبيـدة[١].

والثاني: أنه من: دان الرجل يدين كذا: إذا التزمه.

ثم في جملة الكلام قولان:

أحدهما: أن المعنى: لا يدخلون في دين محمد ﷺ، لأنه ناسخ لما قبله.

والثاني: لا يعملون بما في التوراة من اتِّباع محمد ﷺ.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾.

قـال ابـن الأنبـاري: الجزيـة: الخـراج المجعـول عليهـم سـميت جزيـة، لأنهـا قضـاء لمـا عليهـم، أُخـذ مـن قولهـم: جَـزى يَجْـزي: إذا قـضى، ومنـه قولـه تعـالى: ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨]. وقولـه ﷺ: «**وَلَا تَجْـزِي عَـنْ أَحَـدٍ بَعْـدَكَ**»[٢].

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٥).

(٢) وهـو جـزء مـن حديـث في قصـة أبي بـردة بـن نِيَـار، حينـما ذبـح قبـل صـلاة العيـد، فـأذن لـه النبـي ﷺ أن يضحـي بالجذعـة، وقـد رواه البخـاري في صحيحـه (٩٥٥) وعـدة مواضـع أخـرى، ومسـلم في صحيحـه أيضًـا (١٩٦١).

وفي قوله: ﴿عَن يَدٍ﴾ ستة أقوال:

أحدها: عن قهر، قاله قتادة، والسدي.

وقال الزَّجَّاج: عن قهر وذُلٍّ[١].

والثاني: أنه النقد العاجل، قاله شريك، وعثمان بن مقسم.

والثالث: أنه إعطاء المبتدئ بالعطاء، لا إعطاء المكافئ، قاله ابن قتيبة[٢].

والرابع: أن المعنى: عن اعتراف للمسلمين بأن أيديهم فوق أيديهم.

والخامس: عن إنعام عليهم بذلك؛ لأن قبول الجزية منهم إنعام عليهم، حكاهما الزَّجَّاج[٣].

والسادس: يؤدُّونَها بأيديهم، ولا ينفذونها مع رسلهم، ذكره الماوردي[٤].

قوله: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ الصاغر: الذليل الحقير.

وفي ما يُكَلَّفونه من الفعل الذي يوجب صغارهم خمسة أقوال:

أحدها: أن يمشوا بها ملبَّبِين، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن لا يُحمدوا على إعطائهم، قاله سلمان الفارسي.

والثالث: أن يكونوا قيامًا، والآخذ جالسًا، قاله عكرمة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٤).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥١).

والرابع: أن دفع الجزية هو الصغار.

والخامس: أن إجراء أحكام الإسلام عليهم هو الصغار.

فَصْلٌ

واختُلف في الذين تؤخذ منهم الجزية من الكفار:

فالمشهور عن أحمد: أنها لا تقبل إلا من اليهود والنصارى والمجوس، وبه قال الشافعي.

ونقل الحسن بن ثوَّاب عن أحمد: أنه من سُبي من أهل الأديان [٣٢١/ب] من العرب والعجم، فالعرب إن أسلموا، وإلا السيف، وأولئك إن أسلموا، وإلا الجزية.

فظاهر هذا أن الجزية تؤخذ من الكل، إلا من عابدي الأوثان من العرب فقط، وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

فَصْلٌ

فأما صفة الذين تؤخذ منهم [الجزية][1]:

فهم أهل القتال، فأما الزَّمِنُ، والأعمى، والمفلوج، والشيخ الفاني، والنساء، والصبيان، والراهب الذي لا يخالط الناس، فلا تؤخذ منهم.

---

(١) زيادة من (ر).

فَصْلٌ

فأما مقدارها:

فقال أصحابنا: على الموسر: ثمانية وأربعون درهمًا، وعلى المتوسط: أربعة وعشرون درهمًا[1]، وعلى الفقير المعتمل: اثنا عشر، وهو قول أبي حنيفة.

وقال مالك: على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الوَرِق أربعون درهمًا، وسواء في ذلك الغني والفقير.

وقال الشافعي: على الغني والفقير دينار.

وهل تجوز الزيادة والنقصان مما يؤخذ منهم؟

نقل الأثرم عن أحمد: أنها تزاد وتنقَص على قدر طاقتهم، فظاهر هذا: أنها على اجتهاد الإمام ورأيه.

ونقل يعقوب بن بختان: أنه لا يجوز للإمام أن ينقص من ذلك، وله أن يزيد.

---

(١) ليست في (ف)، و(ر).

فَصْلٌ

ووقت وجوب الجزية:

آخر الحول، وبه قال الشافعي.

وقال أبو حنيفة: تجب في أول الحول.

فأما إذا دخلت سنة في سنة، فهل تسقط جزية السنة الماضية؟

عندنا لا تسقط، وقال أبو حنيفة: تسقط.

فأما إذا أسلم، فإنها تسقط بالإسلام.

فأما إن مات فكان ابن حامد يقول: لا تسقط.

وقال القاضي أبو يعلى: يحتمل أن تسقط.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١].

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة: «عزيرا ابن الله» بغير تنوين.

وقرأ عاصم، والكسائي، ويعقوب، وعبد الوارث عن أبي عمرو: منوَّنًا[١].

قال مكي بن أبي طالب[٢]: من نوَّن عزيرًا رفعه على الابتداء، و«ابن» خبره. ولا يحسن حذف التنوين على هذا من «عزير» لالتقاء الساكنين، ولا تحذف ألف «ابن» من الخط، ويكسر التنوين لالتقاء الساكنين، ومن لم ينون «عزيرًا» جعله أيضًا مبتدأ، و«ابن» صفة له، فيُحذف التنوينُ على هذا استخفافًا لالتقاء الساكنين، ولأن الصفة مع الموصوف كالشيء الواحد، وتحذف ألف «ابن» من الخط، والخبر مضمر تقديره: عزير ابن الله نبيُّنا وصاحبنا.

وسبب نزولها:

أن سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصَّيف، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: كيف نتَّبِعُكَ وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس[٣].

وقال ابن عمر، وابن جريج[٤]: إن القائل لذلك فنحاص.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٣)، والحجة (٤/ ١٨١)، والتيسير (ص:١١٨).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٢٩٦٩-٢٩٧٠)، والحجة؛ لأبي علي الفارسي (٤/ ١٨١).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٠٩) من رواية سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس ﷺ به.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧١) لابن المنذر.
وفي تفسير الطبري (١١/ ٤٠٨) عن ابن جريج، قال: سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير، قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠] قال: قالها رجل واحد، قالوا: إن اسمه فنحاص.

فأما ﴿عُزَيْرٌ﴾ فقال شيخنا أبو منصور اللغوي: هو اسم أعجمي [٣٢٣/أ] معرَّب، وإن وافق لفظ العربية، فهو عِبراني كذا قرأته عليه[1].

وقال مكي بن أبي طالب: العزير عند كل النحويين: عربي مشتق من قوله: يعزِّروه[2].

وقال ابن عباس: إنما قالوا ذلك، لأنهم لما عملوا بغير الحق، أنساهم الله التوراة، ونسخها من صدورهم، فدعا عزير اللهَ تعالى فعاد إليه الذي نسخ من صدورهم، ونزل نور من السماء فدخل جوفه، فأذَّن في قومه فقال: قد آتاني الله التوراة، فقالوا: ما أُوتيها إلا لأنه ابن الله[3].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس: أن بختنصر لما ظهر على بني إسرائيل، وهدم بيت المقدس، وقتل من قرأ التوراة، كان عزير غلامًا، فتركه. فلما توفي عزير ببابل، ومكث مائة عام، ثم بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل، فقال: أنا عزير فكذَّبوه وقالوا: قد حدَّثنا آباؤنا أن عزيرًا مات ببابل، فإن كنتَ عزيرًا فأملل علينا التوراة، فكتبها لهم، فقالوا: هذا ابن الله[4].

---

(١) انظر: المعرَّب (ص:٤٥٢).

(٢) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٢٩٧٠).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٧١) لابن أبي شيبة، وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي الذين قالوا هذا عن عزير ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم جميع بني إسرائيل، روي عن ابن عباس.

والثاني: طائفة من سلفهم، قاله الماوردي[١].

والثالث: جماعة كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وفيهم قولان:

أحدهما: فنحاص وحده، وقد ذكرناه عن ابن عمر، وابن جريج.

والثاني: الذين ذكرناهم في أول الآية عن ابن عباس.

فإن قيل: إن كان قولَ بعضهم، فلِمَ أُضيف إلى جميعهم؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن إيقاع اسم الجماعة على الواحد معروف في اللغة، تقول العرب: جئت من البصرة على البغال، وإن كان لم يركب إلا بغلًا واحدًا.

والثاني: أن من لم يقله، لم ينكره.

قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

في سبب قولهم هذا قولان:

أحدهما: لكونه ولد من غير ذكَر.

---

(١) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٥٣).

والثاني: لأنه أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وقد شرحنا هذا المعنى في «المائدة»[1].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾.

إن قال قائل: هذا معلوم، فما فائدته؟

فالجواب: أن المعنى أنه قول بالفم، لا بيانَ له[2] ولا برهانَ ولا تحته معنى صحيح، قاله الزَّجَّاج[3].

قوله: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾.

قرأ الجمهور: من غير همز.

وقرأ عاصم: «يضاهئون»[4].

قال ثعلب: لم يتابع عاصمًا أحدٌ على الهمز[5].

قال الفراء: وهي لغة[6].

---

(١) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (١١٠).

(٢) في (ف)، و(ر): (فيه).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٤)، والحجة (٤/ ١٨٦)، والمبسوط (ص:٢٢٩)، والتيسير (ص:١١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٥)، والتحصيل (٣/ ٢٥٦).

(٥) انظر: الحجة (٤/ ١٨٦).

(٦) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ٣٧٩).

قال الزَّجَّاج: يضاهون: يشابهون قولَ من تقدَّمَهم من كَفَرتِهم، فإنما قالوه اتباعًا لمتقدِّميهم. وأصل المضاهاة في اللغة: المشابهة، والأكثر ترك الهمز، واشتقاقه من قولهم: امرأة ضهياء، وهي التي لا ينبت لها ثدي. وقيل: هي التي لا تحيض، والمعنى: أنها قد أشبهت الرجال[1].

قال ابن الأنباري: يقال: ضاهَيت، وضاهأت: إذا شبَّهتَ[2].

وفي ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هاهنا[3] ثلاثة أقوال: [٣٢٣/ ب]

أحدها: أنهم عبدة الأوثان، والمعنى: أن أولئك قالوا: الملائكة بنات الله، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم اليهود، فالمعنى: أن النصارى في قولهم: المسيح ابن الله، شابهوا اليهود في قولهم: عزير ابن الله، قاله قتادة، والسدي.

والثالث: أنهم أسلافهم، تابعوهم في أقوالهم تقليدًا، قاله الزَّجَّاج[4]، وابن قتيبة[5].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٣).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٣٨٢).

(٣) ليست في (ف).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٣).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٤).

وفي قوله: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ **ثلاثة أقوال:**

أحدها: أن معناه: لعنهم الله، قاله ابن عباس.

والثاني: قتلهم الله، قاله أبو عبيدة(١).

والثالث: عاداهم الله، ذكره ابن الأنباري.

قوله: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: من أين يصرفون عن الحق.

قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ قد سبق في «المائدة» معنى الأحبار والرهبان(٢).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: «**أَمَا إِنَّهُم لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُم، وَلَكِنَّهُم كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُم شَيئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِم شَيئًا حَرَّمُوهُ**»(٣).

فعلى هذا المعنى: إنهم جعلوهم كالأرباب وإن لم يقولوا: إنهم أرباب.

قوله: ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾.

قال ابن عباس: اتخذوه ربًّا(٤).

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٦).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٤٤).

(٣) رواه الترمذي في سننه (٣٠٩٥)، والطبري في تفسيره (١١/ ٤١٧، ٤١٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٥٧) من حديث عدي بن حاتم ﷺ.
قال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث».

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٩١)، والتفسير البسيط (١٠/ ٣٨٨).

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: يخمدوا دين الله بتكذيبهم[1].

يعني: أنهم يكذبون به ويُعرضون عنه يريدون إبطاله بذلك.

وقال الحسن وقتادة: نور الله: القرآن والإسلام[2].

فأما تخصيص ذلك بالأفواه، فلما ذكرنا في الآية قبلها.

وقيل: إن الله تعالى لم يذكر قولًا مقرونًا بالأفواه والألسن إلا وهو زور.

قوله: ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾.

قال الفراء[3]: إنما دخلت «إلا» هاهنا، لأن في الإباء طرفًا من الجحد، ألا ترى أن «أبيت» كقولك: «لم أفعل»، فكأنه بمنزلة قولك: ما ذهب إلا زيد، قال الشاعر[4]: [من الطويل]

فَهَلْ لِيَ أُمٌّ غيرُها إنْ تَرْكْتُهَا ... أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ أَكُونَ لَهَا ابْنَمَا

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٩١)، والتفسير البسيط (١٠/ ٣٨٨).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٥٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٣).

(٤) البيت للمتلمس في المقتضب (٢/ ٩٣)، والأصمعيات (ص:٢٤٥)، وسر الفصاحة (ص:١٥٧)، ومختارات شعراء العرب؛ لابن الشجري (١/ ٣٩)، وبلا نسبة في معاني القرآن؛ للفراء (١/ ٤٣٣)، والبيت من قصيدة له يرد فيها على من عيره أمه، مطلعها:

تعيرنى أمي رجال ولا أرى ... أخا كرم إلا بأن يتكرما

وقال الزَّجَّاج: المعنى: ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره[١].

قال مقاتل: ﴿يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ أي: يظهر دينه[٢].

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ يعني محمدًا ﷺ.

﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التوحيد.

والثاني: القرآن.

والثالث: تبيان[٣] الفرائض.

فأما دين الحق، فهو الإسلام.

وفي قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ قولان:

أحدهما: أن الهاء عائدة على رسول الله ﷺ، فالمعنى: ليعلِّمه شرائع الدِّين كلَّها، فلا يخفى عليه منها شيء، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها راجعة إلى الدين.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٨).

(٣) في (ف): (بيان).

ثم في معنى الكلام قولان:

أحدهما: ليظهر هذا الدين على سائر الملل.

ومتى يكون ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: عند نزول عيسى عليه السلام، فإنه يتبعه أهل كل دين، وتصير المللُ واحدة، فلا يبقى أهل دين إلا دخلوا في الإسلام أو أدَّوا الجزية، قاله أبو هريرة، والضحاك. [٣٢٤/أ]

والثاني: أنه عند خروج المهدي، قاله السدي.

والقول الثاني: أن إظهار الدِّين إنما هو بالحجج الواضحة، وإن لم يدخل الناس فيه.

قوله تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾﴾ [التوبة: ٣٤].

قوله: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ﴾ الأحبار من اليهود، والرهبان من النصارى.

وفي الباطل أربعة أقوال:

أحدها: أنه الظلم، قاله ابن عباس.

والثاني: الرشا في الحكم، قاله الحسن.

والثالث: الكذب، قاله أبو سليمان.

والرابع: أخذه من الجهة المحظورة، قاله القاضي أبو يعلى.

والمراد: أخذ الأموال، وإنما ذكر الأكل؛ لأنه معظم المقصود من المال.

وفي المراد بـ ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هاهنا قولان:

أحدهما: الإيمان برسول الله ﷺ، قاله ابن عباس، والسدي.

والثاني: أنه الحق في الحكم.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت عامة في أهل الكتاب والمسلمين، قاله أبو ذر، والضحاك.

والثاني: أنها خاصَّة في أهل الكتاب، قاله معاوية بن أبي سفيان.

والثالث: أنها في المسلمين، قاله ابن عباس، والسدي.

وفي الكنز المستحقِّ [عليه][1] هذا الوعيد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ما لم تؤدَّ زكاته.

---

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

قال ابن عمر: كل مال أُدِّيتْ زكاتُه وإن كان تحت سبع أرضين فليس بكنز، وكل مال لا تؤدَّى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا على وجه الأرض[١].

وإلى هذا المعنى ذهب الجمهور. فعلى هذا، معنى الإنفاق: إخراج الزكاة.

والثاني: أنه ما زاد على أربعة آلاف، روي عن علي بن أبي طالب أنه قال: أربعة آلاف نفقة، وما فوقها كنز[٢].

والثالث: ما فضل عن الحاجة، وكان يجب عليهم إخراج ذلك في أول الإسلام، ثم نُسخ بالزكاة.

فإن قيل: كيف قال: ﴿يُنفِقُونَهَا﴾ وقد ذكر شيئين؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أن المعنى: يرجع إلى الكنوز[٣] والأموال.

والثاني: أنه يرجع إلى الفضة، وحذف الذهب، لأنه داخل في الفضة.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٢٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٢٣٠) من رواية نافع، عن ابن عمر ﵁ به.
قال البيهقي: «هذا هو الصحيح موقوف، وكذلك رواه جماعة عن نافع، وجماعة عن عبيد الله بن عمر، وقد رواه سويد بن عبد العزيز وليس بالقوي عن عبد الله بن عمر مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ».

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٠٧٥)، وفي مصنفه (٧١٥٠)، والطبري في تفسيره (١١/ ٤٢٧) من رواية جعدة بن هبيرة، عن علي بن أبي طالب ﵁.

(٣) في الأصل: (الزكاة)، والمثبت من بقية النسخ.

قال الشاعر[١]: [من المنسرح]

نَحْـنُ بِـمَا عِنْدَنَـا وأنْـتَ بِـمَا عِنْـدَكَ رَاضٍ وَالـرَّأْي مُخْتَلِـفُ

يريد: نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راضٍ، ذكر القولين الزَّجَّاج[٢].

وقـال الفـراء: إن شـئت اكتفيـت بأحـد المذكوريـن، كقوله تعـالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا ﴾ [النساء:١١٢]، وقولـه تعـالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾ [الجمعة:١١].

وأنشد[٣]: [من الكامل]

إِنِّي ضَمِنْـتُ لِمَـنْ أَتَـانِي مَـا جَنَـى وَأبـى وَكَانَ وَكُنْـتُ غـير غَـدورِ

---

(١) البيـت لقيـس بـن الخطيـم في ديوانـه (ص:٢٣٩)، والكتـاب (١/ ٧٤-٧٥)، وتخليـص الشـواهد (ص:٢٠٥)، والـدرر (٥/ ٣١٤)، والمقاصـد النحويـة (١/ ٥٥٧)، ونسـبه لعمـرو بـن امـرئ القيـس الأنصـاري الخزرجـي في شرح أبيـات سـيبويه (١/ ١٨٦)، وجمهـرة أشـعار العـرب (ص:٥٣٠)، والبيـان والتبيـين (٣/ ٦٩)، وخزانـة الأدب (٤/ ٢٧٥)، ونسـبه لدِرْهَـم بـن زيـد الأنصـاري في الإنصـاف في مسـائل الخـلاف بـين النحويـين (١/ ٧٩)، وبلا نسـبة في معـاني القـرآن وإعرابـه؛ للزجـاج (٢/ ٤٤٥)، والصاحبـي في فقـه اللغـة (ص:٢١٨)، ولسـان العـرب (٣/ ٣٦٠) مـادة (قعـد)، ومغني اللبيـب (٢/ ٦٢٢)، والمقتضـب (٣/ ١١٢،٤/ ٧٣) وهمـع الهوامـع (٢/ ١٠٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٥).

(٣) البيـت للفـرزدق في تفسـير الطبري (٢١/ ٤٢٤)، ومعـاني القـرآن؛ للفـراء (٣/ ٧٧)، والمحـرر الوجيـز (٥/ ١٦٠)، وتهذيـب اللغـة (١/ ١٣٧)، ولسـان العـرب (٣/ ٣٦٠)، والإنصـاف في مسـائل الخـلاف بـين النحويـين (١/ ٨٠)، والـرد عـلى النحـاة (ص: ٩١)، وشرح أبيـات سـيبويه (١/ ١٥٥)، والكتـاب (١/ ٧٦).

ولم يقل: غدورين، وإنما اكتفى بالواحد لاتفاق المعنى[١].

قال أبو عبيدة: والعرب إذا أشركوا بين اثنين قصروا، فخبَّروا عن أحدهما استغناء بذلك، وتحقيقًا لمعرفة السامع بأن الآخر قد شاركه، [٣٢٤/ب] ودخل معه في ذلك الخبر.

وأنشد[٢]: [من الطويل]

فَمَنْ يَكُ أمْسَى بالمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي وَقَيَّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

والنصب في «قيار» أجود، وقد يكون الرفع[٣].

وقال حسان بن ثابت[٤]: [من الخفيف]

(١) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٣/ ٧٧).

(٢) البيت لضابئ بن الحارث البرجمي قاله في أبيات عندما سُجن في المدينة على عهد عثمان ﷺ، كما في الكتاب (١/ ٧٥)، وتفسير الطبري (١٦/ ١٠٠)، ونوادر أبي زيد (ص:١٨٢)، والمذكر والمؤنث (١/ ٣٦٩)، والشعر والشعراء (١/ ٣٣٩)، والأصمعيات (ص:١٨٤)، والصحاح (٢/ ٨٠١)، والمحكم والمحيط الأعظم (٦/ ٥٠٠)، ولسان العرب (٥/ ١٢٥)، وتاج العروس (١/ ٣١٦)، وبلا نسبة في مجاز القرآن (ص:٢٥٧)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/ ٣١١)، وقيار: اسم فرسه. وقيل: اسم جمله.

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٥٧).

(٤) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه (ص:٢٨٢)، والحيوان (٣/ ٢٨)، ومجاز القرآن (ص:٢٥٨)، والمذكر والمؤنث (١/ ٣٣٣)، وغريب الحديث؛ لأبي عبيد (٣/ ١٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٢٨)، ولسان العرب (٣/ ٢٩) مادة (شرخ)؛ وتهذيب اللغة (٧/ ٤٠)، وجمهرة اللغة (ص: ٩٢، ٥٨٥)، وديوان الأدب (١/ ١٠١)، والصحاح (١/ ٤٢٤)، وبلا نسبة في مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٩)، والمخصص (١/ ٣٨)، والصاحبي (ص:١٦٦)، والبحر المحيط (١/ ٢٩٩).



إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الأسـ ـودَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونَا

ولم يقل: يعاصيا.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ٣٥﴾ [التوبة: ٣٥].

قوله: ﴿يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا﴾ أي: على الأموال.

قال ابن مسعود: والله ما من رجل يُكوى بكنز، فيوضعُ دينار على دينار، ولا درهم على درهم، ولكن يوسَّع جلده، فيوضع كل دينار ودرهم على حدته[1].

وقال ابن عباس: هي حيَّة تنطوي على جنبيه وجبهته، فتقول: أنا مالك الذي بخلت به[2].

قوله: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ﴾.

فيه محذوف تقديره: ويقال لهم هذا ما كنزتم ﴿لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ أي: عذاب ذلك.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٧٥٤)، وابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٦٩٧) من رواية مسروق، عن عبد الله بن مسعود ﷺ به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٣٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٩١) من رواية قابوس عن أبيه عن ابن عباس ﷺ به.

فإن قيل: لم خصَّ الجباه والجنوب والظهور من بقية البدن؟

فالجواب: أن هذه المواضع مجوَّفة، فيصل الحر إلى أجوافها، بخلاف اليد والرجل.

وكان أبو ذرٍّ يقول: بشر الكنَّازين بكيٍّ في الجباه وكيٍّ في الجنوب وكيٍّ في الظهور، حتى يلتقي الحرُّ في أجوافهم[١].

وجواب آخر: وهو أن الغنيَّ إذا رأى الفقير، انقبض وإذا ضمه وإياه مجلس، ازورَّ عنه وولَّاه ظهره، قاله أبو بكر الورَّاق[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

قوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ﴾.

قال المفسرون: نزلت هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب تفعله، فربما وقع حجهم في رمضان، وربما وقع في شوال، إلى غير ذلك، وكانوا يستحلُّون المحرَّم عامًا، ويحرِّمون مكانه صفر، وتارة يحرِّمون المحرَّم ويستحلُّون صفر.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٣٧) من رواية حميد بن هلال عن أبي ذر ﷺ به.

(٢) وهو الإمام المحدث أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي المستملي الورَّاق، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات: في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (١٦/ ٣٨٨) (٢٧٩).



قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ أن عدد شهور المسلمين التي تُعُبِّدوا بأن يجعلوه لسنتهم: اثنا عشر شهرًا على منازل القمر، فجعل حجهم[١] وأعيادهم على هذا العدد، فتارة يكون الحج والصوم في الشتاء، وتارة في الصيف، بخلاف ما يعتمده أهل الكتاب، فإنهم يعملون على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يومًا وبعض يوم[٢].

وجمهور القراء على فتح عين «اثنا عشر».

وقرأ أبو جعفر: اثنا عْشر، وأحد عْشر، وتسعة عْشر، بسكون العين فيهن[٣].

قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في اللوح المحفوظ.

قال ابن عباس: في الإمام الذي عند الله، كتبه[٤].

﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وفيها قولان:

أحدهما: أنها رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، قاله الأكثرون.

وقال القاضي أبو يعلى: إنما سماها حُرُمًا لمعنيين:

أحدهما: تحريم القتال فيها، وقد كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك أيضًا.

---

(١) قوله: (فجعل حجهم)، ليس في (ف).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٥-٤٤٦).

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢٢٦)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٤٩٤)، وفي البسيط (١٠/ ٤٠٧).

والثاني: لتعظيم انتهاك المحارم فيها أشدَّ من تعظيمه في غيرها، [٣٢٥/أ] وكذلك تعظيم الطاعات فيها.

والثاني: أنها الأشهرُ التي أُجِّل المشركون فيها للسياحة، ذكره ابن قتيبة[1].

قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ **فيه قولان**:

أحدهما: ذلك القضاء المستقيم، قاله ابن عباس.

والثاني: ذلك الحساب الصحيح والعدد المستوي، قاله ابن قتيبة[2].

قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾.

اختلفوا في كناية ﴿فِيهِنَّ﴾ **على قولين**:

أحدهما: أنها تعود على الاثني عشر شهرًا، قاله ابن عباس.

فعلى هذا يكون المعنى: لا تجعلوا حرامها حلالًا، ولا حلالها حرامًا، كفعل أهل النسيء.

والثاني: أنها ترجع إلى الأربعة الحرم، وهو قول قتادة، والفراء[3]، واحتج بأن العرب تقول لما بين الثلاثة إلى العشرة: لثلاث ليال خَلَوْنَ، وأيام خلون، فإذا جُزتَ العشَرة قالوا: خلتْ ومضتْ، ويقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: هُنَّ، وهؤلاء، فإذا جزتَ العشرة، قالوا: هي، وهذه: إرادةَ أن تُعرف سمة القليل من الكثير.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٥).



وقال ابن الأنباري: العرب تعيد الهاء والنون على القليل من العدد، والهاء والألف على الكثير منه، والقلَّة: ما بين الثلاثة إلى العشرة، والكثرة: ما جاوز العشرة. يقولون: وجهتُ إليك أكبُشًا فاذبحْهُنَّ، وكباشًا فاذبحها، فلهذا قال: ﴿مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ وقال: ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ لأنه يعني بقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ الأربعة.

ومن قال من المفسرين: إنه يعني بقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ﴾ الاثني عشر، فإنه ممكن؛ لأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل.

وعلى قول من قال: ترجع ﴿فِيهِنَّ﴾ إلى الأربعة:

يُخرَّج في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال:

أحدها: أنه المعاصي فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظُم فيها أشدَّ من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله تعالى: ﴿وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة:٩٨]، وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: ﴿فَٰكِهَةٌ[1] وَنَخۡلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن:٦٨]، وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة، وقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧] وإن كان منهيًّا عنه في غير الحج، وكما أُمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى، وإن كان مأمورًا بالمحافظة على غيرها، هذا قول الأكثرين.

---

(١) ليست في الأصل، و(ر)، وهي من (ف).

والثاني: أن المراد بالظلم فيهنَّ فعل النسيء، وهو تحليل شهر محرَّم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق.

والثالث: أنه البداية بالقتال فيهن، فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بالقتال [فيهنَّ](١) إلا أن تُبدَؤوا بالقتال، قاله مقاتل(٢).

والرابع: أنه ترك القتال فيهن، فيكون المعنى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم بترك المحاربة لعدوِّكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل.

والسرُّ في أن الله تعالى عظَّم بعض الشهور على بعض، ليكون الكفُّ [٣٢٥/ ب] عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكفِّ في غيرها تدريجًا للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعًا.

قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [التوبة: ٣٧].

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾.

الجمهور على همز النسيء ومَدِّه وكسر سينه.

وروى شبل عن ابن كثير: «النَّسْءُ» على وزن النِسْع.

---

(١) زيادة من (ف).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٦٩).

وفي رواية أخرى عن شبل [عنه][(١)]: «النَّسِيُّ» مشددة الياء من غير همز، وهي قراءة أبي جعفر[(٢)].

والمراد بالكلمة التأخير.

قال اللغويون: النسيء: تأخير الشيء[(٣)].

وكانت العرب تحرِّم الشهور الأربعة، وكان هذا مما تمسَّكت به من ملة إبراهيم، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرَّم للحرب تكون بينهم، فيؤخِّرون تحريم المحرَّم إلى صفر، ثم يحتاجون إلى تأخير صفر أيضًا إلى الشهر الذي بعده، ثم تتدافع الشهور شهرًا بعد شهر حتى يستدير التحريم على السنَّة كلِّها، فكأنهم يستنسئون الشهر الحرام ويستقرضونه، فأعلم الله تعالى أن ذلك زيادة في كفرهم، لأنهم أحلُّوا الحرام وحرَّموا الحلال.

﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ أي ليوافقوا.

﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ فلا يخرجون من تحريم أربعة، ويقولون: هذه بمنزلة الأربعة الحرم، ولا يبالون بتحليل الحرام وتحريم الحلال، وكان القوم لا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة إذا اجتمعت العرب للموسم.

قال الفراء: كانت العرب في الجاهلية إذا أرادوا الصَّدَرَ عن مِنًى قام رجل من بني كنانة يقال له: نُعيم بن ثعلبة، وكان رئيس الموسم،

---

(١) زيادة من (ف)، و(ر).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٤)، والحجة (٤/ ١٩١)، والمبسوط (ص:٢٢٦).

(٣) انظر: لسان العرب (١/ ١٦٧).

فيقول: أنا الذي لا أُعابُ ولا أُجابُ ولا يُرَدُّ لي قضاء، فيقولون: أنسئنا شهرًا، يريدون: أخِّر عنا حرمة المحرم، واجعلها في صفر، فيفعل ذلك. وإنما دعاهم إلى ذلك توالي ثلاثة أشهر حُرُم لا يُغِيرون فيها، وإنما كان معاشهم من الإغارة، فتستدير الشهور كما بيَّنَّا[١].

وقيل: إنما كانوا يستحلُّون المحرَّم عامًا، فإذا كان من قابل ردُّوه إلى تحريمه.

قال أبو عبيد: والتفسير الأول أحب إليَّ، لأن هذا القول ليس فيه استدارة[٢].

وقال مجاهد: كان أولَ من أظهر النسيء جنادةُ بن عوف الكناني، فوافقت حجَّةُ أبي بكر ذا القعدة، ثم حج النبي ﷺ في العام المقابل[٣] في ذي الحجة، فذلك حين قال: «**أَلَا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَومَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**»[٤].

وقال الكلبي: أول من فعل ذلك نُعيم بن ثعلبة[٥].

قوله: ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «يَضِل» بفتح الياء وكسر الضاد.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٦).

(٢) انظر: غريب الحديث؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام (٢/ ١٥٩).

(٣) في (ف)، و(ر): (القابل).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣١٩٧)، ومسلم في صحيحه (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة ﷺ.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٤٥)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٤٢٣).

والمعنى: أنهم يكتسبون الضلال به.

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُضَلُّ» بضم الياء وفتح الضاد على ما لم يُسم فاعله(١).

[٣٢٦/أ] وقرأ الحسن البصري، ويعقوب إلا الوليد: «يُضِل» بضم الياء وكسر الضاد(٢).

وفيها ثلاثة أوجه:

أحدها: يُضِلُّ الله به.

والثاني: يُضِلُّ الشيطان به، ذكرهما ابن القاسم.

والثالث: يُضِلُّ به الذين كفروا الناس، لأنهم الذين سنُّوه لهم.

قال أبو علي: التقدير: يُضل به الذين كفروا تابعيهم(٣).

قال ابن القاسم: والهاء في «به» راجعة إلى النسيء، وأصل النسيء: المنسوء، أي: المؤخَّر، فصرف عن «مفعول» إلى «فعيل»، كما قيل: مطبوخ وطبيخ، ومقدور وقدير.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٤)، والحجة (٤/ ١٩٤)، والتحصيل (٣/ ٢٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٢).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧) نسبها للحسن وأبي رجاء، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٧) نسبها للحسن ويعقوب وغيرهما، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٣٢) نسبها لابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة وعمرو بن ميمون.

(٣) انظر: الحجة (٤/ ١٩٤).

قال: وقيل: الهاء راجعة إلى الظلم، لأن النسيء كَشَفَ تأويل الظلم، فجرى مجرى المظهر، والأول اختيارنا.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة: ٣٨].

قوله: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾.

قال المفسرون: لما أمر رسول الله ﷺ بغزوة تبوك، وكان في زمن عسرة وجدب وحرٍّ شديد، وقد طابت الثمار، عَظُمَ ذلك على الناس وأحبوا المُقام، فنزلت هذه الآية[1].

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام معناه التَّوبيخ.

وقوله: ﴿ٱنفِرُواْ﴾.

معناه: اخرجوا، وأصل النفر: مفارقة مكان إلى مكان آخر لأمر هاج إلى ذلك.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/ ١٧٠)، وتفسير الطبري (١١/ ٤٥٨)، والتفسير البسيط (١٠/ ٤٣٠)، وغيرها.



وقوله: ﴿اثَّاقَلْتُمْ﴾.

قال ابن قتيبة: أراد: تثاقلتم، فأدغم التاء في الثاء، وأحدثت[1] الألف ليسكن ما بعدها، وأراد: قعدتم[2].

وفي قراءة ابن مسعود، والأعمش: «تثاقلتم»[3].

وفي معنى ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: تثاقلتم إلى شهوات الدنيا حين أخرجت الأرض ثمرها، قاله مجاهد.

والثاني: اطمأننتم إلى الدنيا، قاله الضحاك.

والثالث: تثاقلتم إلى الإقامة بأرضكم، قاله الزَّجّاج[4].

قوله: ﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

أي: بنعيمها من نعيم الآخرة، فما يُتمتَّع به في الدنيا قليل بالإضافة إلى ما يَتمتَّع به الأولياء في الجنة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة: ٣٩].

---

(١) في (ف): (وأحدث).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٦).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٧)، والتحصيل (٣/ ٢٥٨) كلاهما نسبها للأعمش، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦١٧) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٧).

قوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ﴾.

سبب نزولها:

أن رسول الله ﷺ لما حثَّهم على غزو الروم تثاقلوا، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

وقال قوم: هذه خاصَّة فيمن استنفره رسول الله ﷺ فلم ينفر.

قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ حيًّا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه، فأُمسك عنهم المطر فكان عذابهم[١].

وفي قوله: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾.

وعيد شديد في التخلُّف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قومًا غير متثاقلين.

ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضروه، كما لم يضرُرْه ذلك إذْ كان بمكة.

وفي هاء ﴿تَضُرُّوهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله، والمعنى: لا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن.

والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: لا تضروه بترك نصره، قاله الزَّجَّاج[٢].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٦١) من رواية نجدة الخراساني، عن ابن عباس ﷺ به. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٩٣) لأبي داود، وابن المنذر، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في سننه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٨).

فَصْلٌ

وقد روي عن ابن عباس، والحسن، وعكرمة أنهم قالوا: نسخ قوله: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة:١٢٢]. [٣٢٦/ب]

وقال أبو سليمان الدمشقي: ليس هذا من المنسوخ، إذ لا تنافي بين الآيتين، وإنما حكم كل آية قائم في موضعها.

وذكر القاضي أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدوَّ، ففرضٌ على الناس النفير إليهم، ومتى استغنَوا عن إعانة مَن وراءهم، عُذر القاعدون عنهم.

وقال قوم: هذا في غزوة تبوك، ففُرِض على الناس النَّفير مع رسول الله ﷺ.

قوله تعالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)﴾ [التوبة: ٤٠].

قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: بالنفير معه.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ إعانةً على أعدائه.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين قصدوا إهلاكه على ما شرحنا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال:٣٠] فأعلمهم أن نصره ليس بهم.

قوله: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾.

العرب تقول: هو ثاني اثنين، أي: أحد الاثنين، وثالث ثلاثة، أي: أحد الثلاثة.

قال الزَّجَّاج: وقوله تعالى: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ منصوب على الحال، المعنى: فقد نصره الله أحد اثنين، أي: نصره منفردًا إلا من أبي بكر[١].

وهذا معنى قول الشعبي: عاتب الله أهل الأرض جميعًا في هذه الآية غير أبي بكر[٢].

وقال ابن جرير: المعنى: أخرجوه وهو أحد الاثنين، وهما رسول الله ﷺ وأبو بكر[٣].

فأما ﴿ٱلْغَارِ﴾ فهو ثقب في الجبل.

وقال ابن فارس: الغار: الكهف، والغار: نبت طيِّب الرِّيح، والغار: الجماعة من الناس، والغاران: البطن والفرج، وهما الأجوفان، يقال: إنما هو عبد غارَيْه[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٤٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٦٣).

(٤) انظر: مجمل اللغة (١/ ٦٩٠).

قال الشاعر[١]: [من الطويل]

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الدَّهْـرَ يَـوْمٌ وَلَيْلَـةٌ وأَنَّ الفَتَـى يَسْـعَى لِغَارَيْـهِ دَائِبَـا

قال قتادة: وهذا الغار في جبل بمكة يقال له: ثور[٢].

قال مجاهد: مكثا فيه ثلاثًا[٣].

قال الشيخ[٤]: وقد ذكرت حديث الهجرة في كتاب «الحدائق»[٥].

قال أنس بن مالك: أمر الله ﷻ شجرة فنبتت في وجه رسول الله ﷺ فسترته، وأمر العنكبوت فنسجت في وجهه، وأمر حمامتين وحشيتين فوقعتا في فم الغار، فلما دنوا من الغار، عَجِل بعضهم لينظر، فرأى حمامتين، فرجع فقال: رأيت حمامتين على فم الغار، فعلمت أنه ليس فيه أحد[٦].

---

(١) البيت بلا نسبة في إصلاح المنطق (ص:٢٧٨)، ولسان العرب (٥/ ٣٥) مادة (غور)، والمخصص (٤/ ١٥٠)، ومعجم ديوان الأدب (٣/ ٣٣٤)، والصحاح (٢/ ٧٧٤)، ومجمل اللغة (١/ ٦٩٠)، وأساس البلاغة (١/ ٧١٥)، وتاج العروس (١٣/ ٢٧٣) مادة (غور).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٦٥) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٦٦) من رواية إبراهيم بن مهاجر، عن مجاهد به.

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ف)، و(ر).

(٥) وهو كتاب: «الحدائق في علم الحديث والزهديات»، جمع فيه المصنِّف أربعة وستين كتابًا في علم الحديث والزهديات، وقد وصف كتابه بأنه جمع فيه الأحاديث المتعلقة بالآداب والفضائل والقصص والترغيب والترهيب، وأخرج فيه من أخبار الزهاد وكلمات الحكماء أشرفها وأشرقها وأظرفها وأطرفها، والكتاب في ثلاثة مجلدات.

(٦) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ٢٢٨)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤٨١)، والطبراني في الكبير (٢/ ٤٤٣) (١٠٨٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.=

وقال مقاتل: جاء القائف فنظر إلى الأقدام فقال: هذه قدم ابن أبي قحافة، والأخرى لا أعرفها، إلا أنها تشبه القدم التي في المقام، وصاحبه في هذه الآية أبو بكر[١].

وكان أبو بكر قد بكى لما مرَّ المشركون على باب الغار، فقال له النبي ﷺ: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَينِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»[٢].

وفي السكينة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الرحمة، قاله ابن عباس.

والثاني: الوقار، قاله قتادة.

والثالث: السكون والطمأنينة، قاله ابن قتيبة[٣]، وهو أصح.

وفي هاء ﴿عَلَيْهِ﴾ ثلاثة أقوال: [٣٢٧/أ]

أحدها: أنها ترجع إلى أبي بكر، وهو قول علي بن أبي طالب، وابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت.

=قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٣١): «رواه الطبراني في الكبير ومصعب المكي والذي روى عنه، وهو عوين بن عمرو القيسي لم أجد من ترجمها، وبقية رجاله ثقات».

وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضًا (٤/ ٢٠١) لابن مردويه.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤٦٦٣)، ومسلم في صحيحه (٢٣٨١) من رواية أنس بن مالك، عن أبي بكر ﷺ.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٦).

واحتجَّ من نصر هذا القول بأن النبي ﷺ كان مطمئنًا.

والثاني: أنها ترجع إلى النبي ﷺ، قاله مقاتل(١).

والثالث: أن الهاء هاهنا في معنى تثنية، والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، فاكتفى باعادة الذِّكر على أحدهما من إعادته عليهما، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]، ذكره ابن الأنباري.

قوله: ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: قوّاه، يعني النبي ﷺ بلا خلاف.

﴿بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ وهم الملائكة.

ومتى كان ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: يوم بدر، ويوم الأحزاب، ويوم حنين، قاله ابن عباس.

والثاني: لما كان في الغار، صَرفت الملائكة وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته، قاله الزَّجَّاج(٢).

فإن قيل: إذا وقع الاتفاق أن هاء الكناية في «أيَّده» ترجع إلى النبي ﷺ، فكيف تفارقها هاء «عليه»، وهما متفقان في نظم الكلام؟

فالجواب: أن كل حرف يُردُّ إلى الأليق به، والسكينة إنما يَحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبي ﷺ منزعجًا.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩).

فأما التأييد بالملائكة، فلم يكن إلا للنبي ﷺ، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعني النبي ﷺ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح:٩] يعني الله ﷻ.

قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ﴾.

فيها قولان:

أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، وكلمة الله وهي التوحيد، هي العليا، لأنها ظهرت، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدَّروا بينهم في الكيد به ليقتلوه، وكلمة الله أنه ناصره، رواه عطاء عن ابن عباس.

وقرأ ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، ويعقوب: «وكلمةَ الله» بالنصب[1].

قوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي: في انتقامه من الكافرين ﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره.

قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

---

(١) في المبسوط (ص:٢٢٧) نسبها ليعقوب، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٨) نسبها للأعمش ويعقوب، وفي الهداية (٤/ ٣٠٠٣) نسبها لعلقمة والحسن ويعقوب، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٣٦) نسبها للحسن بن أبي الحسن ويعقوب.

قوله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

سبب نزولها:

أن المقداد جاء إلى رسول الله ﷺ، وكان عظيمًا سمينًا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت هذه الآية، قاله السدي(١).

وفي معنى ﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أحد عشر قولًا:

أحدها: شيوخًا وشبابًا، رواه أنس عن أبي طلحة، وبه قال الحسن، والشعبي، وعكرمة، ومجاهد، وأبو صالح، وشَمْرُ بن عطية(٢)، وابن زيد في آخرين.

والثاني: رجَّالةً وركبانًا، رواه عطاء عن ابن عباس، وبه قال الأوزاعي.

والثالث: نِشاطًا وغير نِشاط، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة، ومقاتل(٣).

[٣٢٧/ ب] **والرابع:** أغنياء وفقراء، روي عن ابن عباس.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٣) من رواية أسباط، عن السدي به.

(٢) وهو شمر بن عطية بن عبد الرحمن الأسدي، من بني مرة بن الحارث بن سعد ابن ثعلبة، وكان ثقة وله أحاديث صالحة. وقال النَّسائي: ثقة. وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب الثقات. وروى له أبو داود في المراسيل، والتِّرمذي، والنَّسائي في اليوم والليلة. انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣١٠)، وتهذيب الكمال (١٢/ ٥٦٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٢).

ثم في معنى هذا الوجه قولان:

أحدهما: أن الخفاف: ذوو العسرة وقلَّة العيال، والثقال: ذوو العيال والميسرة، قاله الفراء[١].

والثاني: أن الخفاف: أهل الميسرة، والثقال: أهل العسرة، حكي عن الزَّجَّاج[٢].

والخامس: ذوي عيال، وغير ذوي عيال، قاله زيد بن أسلم.

والسادس: ذوي ضياع، وغير ذوي ضياع، قاله ابن زيد.

والسابع: ذوي أشغال، وغير ذوي أشغال، قاله الحكم.

والثامن: أصحَّاء، ومرضى، قاله مرة الهمداني، وجويبر.

والتاسع: عزَّابًا ومتأهِّلين، قاله يمان بن رباب.

والعاشر: خفافًا إلى الطاعة، وثقالًا عن المخالفة، ذكره الماوردي[٣].

والحادي عشر: خفافًا من السلاح، وثقالًا بالاستكثار منه، ذكره الثعلبي[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٤٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٦٦).

(٤) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٤٩).

فَصْلٌ

روى عطاء الخراساني عن ابن عباس أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة:١٢٢][١].

وقال السدي: نسخت بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة:٩١][٢].

قوله: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾.

قال القاضي أبو يعلى: أوجب الجهاد بالمال والنفس جميعًا، فمن كان له مال وهو مريض أو مقعد أو ضعيف لا يصلح للقتال، فعليه الجهاد بماله، بأن يعطيه لغيره فيغزو به، كما يلزمه الجهاد بنفسه إذا كان قويًا، وإن كان له مال وقوَّة، فعليه الجهاد بالنفس والمال، ومن كان معدمًا عاجزًا، فعليه الجهاد بالنصح لله ورسوله، لقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٩١].

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: ذلكم الجهاد خير لكم من تركه والتثاقل عنه.

والثاني: ذلكم الجهاد خير حاصل لكم.

---

(١) رواه ابن المنذر في تفسيره (١٩٨٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠١١٥) من رواية عطاء الخراساني، عن ابن عباس به.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٦٣) من رواية أسباط، عن السدي به.

﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ما لكم من الثواب.

قوله تعالَى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة: ٤٢].

قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا ﴾.

قال المفسرون: نزلت في المنافقين الذين تخلَّفوا عن غزوة تبوك[(١)].

ومعنى الآية: لو كان ما دُعوا إليه عَرَضًا قريبًا.

والعرض: كلُّ ما عرض لك من منافع الدنيا.

فالمعنى: لو كانت غنيمةً قريبة، أو كان سفرًا قاصدًا، أي: سهلًا قريبًا، لاتَّبعوك طمعًا في المال.

﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾:

قال ابن قتيبة: الشقة: السفر[(٢)].

وقال الزَّجَّاج: الشقة: الغاية التي تقصد[(٣)].

وقال ابن فارس: الشقة: مصير إلى أرض بعيدة، تقول: شقَّة شاقَّة[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٧١).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٧).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٤٥١) وعزاه لليث، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٢٤) وعزاه لابن فارس.

قوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ يعني المنافقين إذا رجعتم إليهم.

﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا﴾.

وقرأ زائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع: «لَوُ استطعنا» بضم الواو[1]، وهكذا أين وقع، مثل: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الكهف:١٨]، كأنه لما احتيج إلى حركة الواو، حُرِّكت بالضم لأنها أخت الواو، والمعنى: لو قدرنا وكان لنا سَعَةٌ في المال.

﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكذب والنفاق.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ لأنهم كانوا أغنياء ولم يخرجوا.

قوله تعالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣].

قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

[٣٢٨/أ] كان ﷺ قد أذن لقوم من المنافقين في التخلُّف لَّما خرج إلى تبوك، قال ابن عباس: ولم يكن يومئذ يعرف المنافقين[2].

---

(١) في المحتسب (١/ ٢٩٢)، والمحرر الوجيز (٣/ ٣٨) كلاهما نسبها للأعمش، وفي الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (ص:٥٦٢) نسبها لزائدة عن الأعمش، والأصمعي عن نافع.

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠١).

قال عمرو بن ميمون: اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسارى، فعاتبه الله ﷻ كما تسمعون[١].

قال مورِّق: عاتبه ربُّه بهذا[٢].

وقال سفيان بن عيينة: انظر إلى هذا اللطف، بدأه بالعفو قبل أن يعيِّره بالذَّنْب[٣].

وقال ابن الأنباري: لم يخاطَب بهذا الجرم أجرمه، لكنَّ الله وقَّره ورفع من شأنه حين افتتح الكلام بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ كما يقول الرجل لمخاطبه إذا كان كريمًا عليه: عفا الله عنك، ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك، هلَّا زرتني.

قوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾.

فيه قولان:

أحدهما: أن معناه: حتى تعرف ذوي العذر في التخلُّف ممن لا عذر له.

والثاني: لو لم تأذن لهم لقعدوا وبان لك كذبهم في اعتذارهم.

---

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه، والطبري في تفسيره (١١/ ٤٧٩) من رواية سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن ميمون الأودي به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٣) من رواية موسى بن سروان، عن مورق العجلي به.

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (٢/ ٥٠٠).

قال قتادة: ثم إن الله تعالى نسخ هذه الآية بقوله: ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[١][النور:٦٢].

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٤، ٤٥].

قوله: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود[٢].

قال الزَّجَّاج: أعلم الله ﷻ نبيَّه ﷺ أنَّ علامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان[٣].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٧٨، ٤٧٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٧٦) عن قتادة به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤٨٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٨٠) من رواية علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٠).

فَصْلٌ

وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: نسخت هذه الآية بقوله: ﴿لَمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢] إلى آخر الآية[1].

قال أبو سليمان الدمشقي: فليس للنسخ هاهنا مدخل، لإمكان العمل بالآيتين، وذلك أنه إنما عاب على المنافقين أن يستأذنوه في القعود عن الجهاد من غير عذر، وأجاز للمؤمنين الاستئذان لما يعرض لهم من حاجة، وكان المنافقون إذا كانوا معه فعرضت لهم حاجة، ذهبوا من غير استئذانه.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧].

قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾ يعني المستأذنين له في القعود.

وفي المراد بالعُدَّة قولان:

أحدهما: النية، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: السلاح والمركوب وما يصلح للخروج، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٨٠)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٨٠).

والانبعاث: الانطلاق.

والتثبُّط: ردُّكَ الإنسان عن الشيء يفعله.

قوله: ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾.

في القائل لهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم أُلهموا ذلك خذلانًا لهم، قاله مقاتل[١].

والثاني: أن النبي ﷺ قاله غضبًا عليهم.

والثالث: أنه قول بعضهم لبعض، ذكره الماوردي[٢].

وفي المراد بالقاعدين قولان:

أحدهما: أنهم القاعدون بغير عذر، قاله ابن السائب.

والثاني: أنهم القاعدون بعذر، كالنساء والصبيان، ذكره علي بن عيسى.

قال الزَّجَّاج: ثم أعلم الله ﷻ لم كره خروجهم، فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾.

[٣٢٨/ ب] والخبال: الفساد وذهاب الشيء[٣].

وقال ابن قتيبة: الخبال: الشر[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٦٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٠).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٧).

فإن قيل: كأن الصحابة كان فيهم خبال حتى قيل: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾؟

فالجواب: أنه من الاستثناء المنقطع، والمعنى: ما زادوكم قوَّة، لكن أوقعوا بينكم خبالًا.

وقيل: سبب نزول هذه الآية:

أن النبي ﷺ لما خرج، ضرب عسكره على ثنيَّة الوداع، وخرج عبد الله بن أُبي، فضرب عسكره على أسفل من ذلك، فلما سار رسول الله ﷺ، تخلَّف ابن أُبي فيمن تخلَّف من المنافقين، فنزلت هذه الآية[١].

قوله: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾.

قال الفراء: الإيضاع: السير بين القوم[٢].

وقال أبو عبيدة: لأسرعوا بينكم، وأصله من التخلل[٣].

قال الزَّجَّاج: يقال: أوضعت في السير: أي: أسرعت[٤].

قوله: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾.

قال الفراء: يبغونها لكم[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٥١).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٣٩).

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦١).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥١).

(٥) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٠).

وفي ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ قولان:

أحدهما: الكفر، قاله الضحاك، ومقاتل[١]، وابن قتيبة[٢].

والثاني: تفريق الجماعة، وشتات الكلمة.

قال الحسن: لأوضعوا خلالكم بالنميمة لإفساد ذات بينكم[٣].

قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: عيون ينقلون إليهم أخباركم، قاله مجاهد، وابن زيد.

والثاني: مَن يسمع كلامهم ويطيعهم، قاله قتادة، وابن إسحاق.

قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [التوبة: ٤٨].

قوله: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾.

في ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾ قولان:

أحدهما: الشر، قاله ابن عباس.

والثاني: الشرك، قاله مقاتل[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٧).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٤٦٩).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٣).

قوله: ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ غزوة تبوك.

وفي قوله: ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ **خمسة أقوال:**

أحدها: بَغَوْا لك الغوائل، قاله ابن عباس.

وقيل: إن اثني عشر رجلًا من المنافقين وقفوا على طريقه ليلًا ليفتكوا به، فسلَّمه الله منهم[١].

والثاني: احتالوا في تشتُّت أمرك وإبطال دينك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قال ابن جرير: وذلك كانصراف ابن أُبيٍّ يوم أُحد بأصحابه[٢].

والثالث: أنه قولهم ما ليس في قلوبهم.

والرابع: أنه ميلهم إليك في الظاهر، وممالأة المشركين في الباطن.

والخامس: أنه حلفهم بالله ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، ذكر هذه الأقوال الثلاثة الماوردي[٣].

قوله: ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ يعني النصر.

﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [التوبة: ٤٩].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠١-٥٠٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٤٨٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٦٩).

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾.

سبب نزولها:

أن رسول الله ﷺ قال للجدِّ بن قيس: «**يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ، لَعَلَّكَ أَنْ تَغْنَمَ بَعْضَ بَنَاتِ الْأَصْفَرِ**»، فقال: يا رسول الله، ائذن لي فأقيم، ولا تفتني ببنات الأصفر، فأعرض عنه وقال: «**قَدْ أَذِنْتُ لَكَ**»، ونزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس[1].

وهذه الآية وما بعدها إلى قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾ [التوبة:٦٠] في المنافقين.

قوله: ﴿وَمِنْهُم﴾ يعني المنافقين.

﴿مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ أي: في القعود عن الجهاد، وهو الجد بن قيس.

وفي قوله: ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ أربعة أقوال:

[٣٢٩/أ] **أحدها:** لا تفتنِّي بالنساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد.

والثاني: لا تُكسبني الإثم بأمرك إيَّايَ بالخروج وهو غير متيسِّر لي، فآثم بالمخالفة، قاله الحسن، وقتادة، والزَّجَّاج[2].

---

(١) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وإنما من رواية الضحاك عن ابن عباس، وذلك فيما رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٥٦٠٤)، والمعجم الكبير (٢/ ٢٧٥) (٢١٥٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢١٣) لابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم في المعرفة عن ابن عباس.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٠) (١١٠٤٣): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف».
هذا وللحديث شاهد من حديث جابر بن عبد الله، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٦٠٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥١).

والثالث: لا تكفِّرني بإلزامك إيَّايَ الخروج، قاله الضحاك.

والرابع: لا تصرفني عن شغلي، قاله ابن بحر.

قوله: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾.

في هذه الفتنة أربعة أقوال:

أحدها: أنها الكفر، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: الحرج، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: الإثم، قاله قتادة، والزَّجَّاج[١].

والرابع: العذاب في جهنم، ذكره الماوردي[٢].

قوله تعالَى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥٠، ٥١].

قوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ أي: نصر وغنيمة.

والمصيبة: القتل والهزيمة.

﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ أي: عَمِلنا بالحزم فلم نخرج.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٠).

﴿وَيَتَوَلَّوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ بمصابك وسلامتهم.

قوله: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.

فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ما قضى علينا، قاله ابن عباس.

والثاني: ما بيَّن لنا في كتابه من أنَّا نظفر فيكون ذلك حسنى لنا، أو نقتل فتكون الشهادةُ حسنى لنا أيضًا، قاله الزَّجَّاج[1].

والثالث: لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا من النصر الذي وُعدنا، ذكره الماوردي[2].

قوله: ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ أي: ناصرنا.

قوله تعالَى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ۝٥٢﴾ [التوبة: ٥٢].

قوله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ أي: تنتظرون.

والحسنيان: النصر والشهادة.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧١).

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ في هذا **العذاب قولان:**

أحدهما: الصواعق، قاله ابن عباس.

والثاني: الموت، قاله ابن جُرَيج.

قوله: ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني: القتل.

قوله تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [التوبة: ٥٣].

قوله: ﴿أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾.

سبب نزولها:

أن الجد بن قيس قال للنبي ﷺ لما عرض عليه غزو الروم: إذا رأيت النساء افتتنت، ولكن هذا مالي أعينك به، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس(١).

قال الزَّجَّاج: وهذا لفظ أمر، ومعناه معنى الشرط والجزاء، المعنى: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يُتقبَّل منكم(٢).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/ ٤٩٩) من رواية ابن جريج، عن ابن عباس به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٣).

ومثله في الشعر قول كثيِّر[1]: [من الطويل]

أَسِيئِي بِنَا أَو أَحْسِنِي لَا مَلُوْمَةً لَدَيْنَا ولا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ

لم يأمرها بالإساءة، ولكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها.

قال الفراء: ومثله: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠][2].

قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤].

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: «تقبل» بالتاء.

وقرأ حمزة، والكسائي: «يقبل» بالياء[3].

---

(١) البيت لكثيِّر عزة في ديوانه (٥٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٥٣)، (٣/ ١٣)، والأضداد (ص:١٣٥)، وتهذيب اللغة (٤/ ١٨٥)، والمحكم والمحيط الأعظم (٣/ ١٩٨)، ولسان العرب (١٣/ ١١٥)، والشعر والشعراء (١/ ٥٠٦).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤١).

(٣) انظر: السبعة (ص:٣١٤-٣١٥)، والحجة (٤/ ١٩٥-١٩٦)، والمبسوط (ص:٢٢٧)، والتيسير (ص:١١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٥)، والتحصيل (٣/ ٢٥٩).

وقال أبو علي: من أنَّث، فلأن الفعل مسند إلى مؤنَّث في اللفظ، ومن قرأ بالياء، فلأنه ليس بتأنيث حقيقي، فجاز تذكيره كقوله تعالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٥][١].

وقرأ الجحدري: «أن يَقبل» بياء مفتوحة، «نفقاتِهم» بكسر التاء[٢].

وقرأ الأعمش: «نفقتُهم» بغير ألف، مرفوعة التاء[٣].

وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء: «أن يَقبل» بالياء، «نفقتَهم» بنصب التاء [٣٢٩/ب] على التوحيد[٤].

قوله: ﴿إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابن الأنباري: «أن» هاهنا مفتوحة، لأنها بتأويل المصدر مرتفعة بـ﴿مَنَعَهُمۡ﴾، والتقدير: وما منعهم قبول النفقة منهم إلا كفرهم بالله.

قوله: ﴿إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ قد شرحناه في «سورة النساء»[٥].

قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ لأنهم يعدُّون الإنفاق مغرمًا.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ١٩٦).

(٢) في الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها (ص: ٥٦٢) نسبها لأبي عبد الرحمن السُّلَمِي.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨) نسبها للأعرج، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) نسبها للأعمش، وفي الكامل (ص:٥٦٢) نسبها لطلحة.

(٤) في إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢١) بلا نسبة، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) نسبها للأعمش.

(٥) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٤٢).



قولــه تَعَــالَى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبــة: ٥٥].

قولــه: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ أي: لا تستحســن مــا أنعمنــا بــه عليهــم مــن الأمــوال والأولاد.

وفي معنى الآية أربعة أقوال:

أحدهـا: فـلا تعجبـك أحوالهـم ولا أولادهـم في الحيـاة الدنيـا، إنـما يريـد الله ليعذبهـم بهـا في الآخـرة، قالـه ابـن عبـاس، ومجاهـد، وقتـادة، والسـدي، وابـن قتيبـة[1].

فعـلى هــذا في الآيــة تقديـم وتأخـير، ويكـون تعذيبهـم في الآخـرة بـما صنعـوا في كسـب الأمـوال وإنفاقهـا.

والثـاني: أنهـا عـلى نظمهـا، والمعنـى: ليُعذبهـم بهـا في الدنيـا بالمصائـب في الأمـوال والأولاد، فهـي لهـم عـذاب، وللمؤمنـين أجـر، قالـه ابـن زيـد.

والثالــث: أن المعنــى: ليعذبهــم بأخــذ الــزكاة مــن أموالهــم والنفقــة في ســبيل الله، قالــه الحســن.

فعلى هذا ترجع الكناية إلى الأموال وحدها.

والرابع: ليعذبهم بسبي أولادهم وغنيمة أموالهم، ذكره الماوردي[2].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص:١٣١).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٢).

فعلى هذا تكون في المشركين.

قوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: تخرج، يقال: زهق السَّهم: إذا جاوز الهدف.

قوله تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [التوبة: ٥٦، ٥٧].

قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: مؤمنون.

و﴿يَفْرَقُونَ﴾ بمعنى يخافون.

فأما الملجأ: فقال الزَّجَّاج: الملجأ واللَّجأ مقصور مهموز، وهو المكان الذي يُتحصن فيه[١].

والمغارات: جمع مغارة، وهو الموضع الذي يغور فيه الإنسان، أي: يستتر فيه.

وقرأ سعيد بن جبير، وابن أبي عبلة: «أو مُغارات» بضم الميم[٢]، لأنه يقال: أغرت وغُرت: إذا دخلتَ الغور.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) كلاهما نسبها لعبد الرحمن بن عوف، وفي المحتسب (١/ ٢٩٥) نسبها لسعد بن عبد الرحمن بن عوف، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٦) نسبها لسعيد بن عبد الرحمن بن عوف، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢١) بلا نسبة.



وأصل مدَّخَل: مدتخل، ولكن التاء تبدل بعد الدال دالًا، لأن التاء مهموسة، والدال مجهورة، والتاء والدال من مكان واحد، فكان الكلام من وجه واحد أخف.

وقرأ أُبيٌّ، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: «أو مُتَدَخَّلًا» برفع الميم، وبتاء ودال مفتوحتين، مشددة الخاء(١).

وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران: «مُندخَلًا» بنون بعد الميم المضمومة(٢).

وقرأ الحسن، وابن يعمر، ويعقوب: «مَدْخلًا» بفتح الميم وتخفيف الدال وسكونها(٣).

قال الزَّجَّاج: من قال: «مَدْخلًا» فهو من دخل يدخل مدخلًا، ومن قال: «مُدْخلًا» فهو من أدخلته مُدخلًا(٤).

---

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، وفي التحصيل (٣/ ٢٦٠)، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٦) ثلاثتهم نسبوها لأبي بن كعب، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٢) بلا نسبة.

(٢) في التحصيل (٣/ ٢٦٠)، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٦)، وفي المحتسب (١/ ٢٩٥) ثلاثتهم نسبوها لأبي بن كعب، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٢) بلا نسبة.

(٣) في المحرر الوجيز (٣/ ٤٦) نسبها لمسلمة بن محارب، والحسن، وابن أبي إسحاق، وابن محيصن، وابن كثير بخلاف عنه، وفي التحصيل (٣/ ٢٥٩) نسبها لعبد الله بن الزبير، والحسن، ويعقوب، وفي مختصر ابن خالويه (ص:٥٨) نسبها لعبد الله بن مسلم، وفي الكامل (ص:٥٦٣) قال: «(مُدَّخَلًا): بفتح الميم وتخفيف الدال: الزَّعْفَرَانِي عن ابن مُحَيْصِن وبصري إلا أيوب، وزبان إلا حسين الجعفي، وهارون، ووهيبًا، ويونس».

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٥).

قال الشاعر[١]: [من البسيط]

الْحَمْـدُ للهِ مُمْسَـانَا وَمُصْبَحنَـا بِالْخَـيْرِ صَبَّحَنَـا رَبِّي وَمسَّـانَا

ومعنى مُدَّخل: أنهم لو وجدوا قومًا يدخلون في جملتهم.

﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى أحد هذه الأشياء.

﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ أي: يسرعون إسراعًا لا يردُّ فيه وجوهَهم شيء.

يقال: جمح وطمح: إذا أسرع ولم يردَّ وجهه شيء، ومنه قيل: فرس جموح، [٣٣٠/أ] للذي إذا حمل لم يرده اللِّجام.

قوله تعالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝٥٨﴾ [التوبة: ٥٨].

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ﴾.

فيمن نزلت فيه قولان:

أحدهما: أنه ذو الخويصرة التَّميمي، قال للنبي ﷺ يومًا: اعدل يا رسول الله، فنزلت هذه الآية[٢].

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه (ص ٦٢)، والكتاب (٤/ ٩٥)، وإصلاح المنطق (ص ١٢٧)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (١/ ٢٥٣)، والأغاني (٤/ ١٣٢)، وخزانة الأدب (١/ ٢٤٨، ٢٤٩)، والمخصص (٤/ ٣٢٢)، وشرح أبيات سيبويه (٢/ ٣٣٨)، وشرح المفصل (٦/ ٥٣)، ولسان العرب (١٥/ ٢٨٠) مادة (مسا)، وتاج العروس (٣٩/ ٥٣٠)، وبلا نسبة في شرح الأشموني (٢/ ٣٥٢)، وشرح المفصل (٦/ ٥٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦٩٣٣)، وعبد الرزاق في تفسيره (١٠٩٢)، والطبري في=

ويقال: أبو الخواصر، ويقال: ابن ذي الخويصرة.

والثاني: أنه ثعلبة بن حاطب كان يقول: إنما يعطي محمد من يشاء، فنزلت فيه هذه الآية(١).

قال ابن قتيبة: «يلمزك» يعيبك ويطعن عليك، يقال: همزت فلانًا ولمزته: إذا اغتبته وعبته(٢).

والأكثرون على كسر ميم «يلمزك».

وقرأ يعقوب، ونظيف عن قنبل، وأبان عن عاصم، والقزَّاز عن عبد الوارث: «يلمُزون» و«يلمُزك» و«لا تلمُزوا» بضم الميم فيهنَّ(٣).

=تفسيره (١١/ ٥٠٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٤٠) وغيرهم من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ، جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ ذِي الخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ، فَقَالَ: اعْدِلْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ» قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ، أَوْقَالَ: ثَدْيَيْهِ، مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أَوْقَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا، قَتَلَهُمْ، وَأَنَا مَعَهُ، جِيءَ بِالرَّجُلِ عَلَى النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَهُ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: فَنَزَلَتْ فِيهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٢/ ٣٧٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٨).

(٣) قال في الكامل (ص:٥٦٣): «(يَلْمِزُكَ)، و(يَلْمِزُونَ)، وبابه بضم الميم: نظيف، وابن سلمة، وابْن مِقْسَمٍ عن ابن كثير، وأبان، وعَاصِم، وبصري إلا أيوب، وزبان إلا=

وقرأ ابن السميفع: «يلامزك» مثل: يفاعلك.

وقد رواها حماد بن سلمة عن ابن كثير[(١)].

قال أبو علي الفارسي: وينبغي أن تكون فاعلت في هذا من واحد، نحو: طارقت النعل، وعافاه الله، لأن هذا لا يكون من النبي ﷺ[(٢)].

وقرأ الأعمش: «يلمِّزك» بتشديد الميم من غير ألف، مثل: يفعِّلك[(٣)].

قال الزَّجَّاج: يقال: لمزت الرجل ألمِزُه وألمُزُه، بكسر الميم وضمها: إذا عبته، وكذلك: همزته أهمزه[(٤)].

=القرشي والقزاز عن عبد الواحد، وخير أُوقِيَّة عن عباس، الباقون بكسر الميم، وهو الاختيار، لأنها لغة قريش»، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٤٧) قال: «وقرأ ابن كثير فيما روى عنه حماد بن سلمة «يلمزك» بضم الميم، وهي قراءة أهل مكة وقراءة الحسن وأبي رجاء وغيرهم»، وفي البحر المحيط (٥/ ٤٣٩) نسبها ليعقوب وحماد بن سلمة عن ابن كثير والحسن وأبي رجاء. وانظر: السبعة (ص:٣١٥)، والحجة (٤/ ١٩٦)، والمبسوط (ص:٢٢٧)، والتحصيل (٣/ ٢٦٠).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٣) بلا نسبة، وفي التحصيل (٣/ ٢٦٠)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، والبحر المحيط (٥/ ٤٣٩) ثلاثتهم نسبوها لحماد بن سلمة، عن ابن كثير.

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٩٨).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، وفي التحصيل (٣/ ٢٦٠) ثلاثتهم نسبوها للأعمش، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٣) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٥).

قال الشاعر[١]:

إِذَا لَقِيتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشَرَةً   وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللُّمَزَهْ

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة: ٥٩، ٦٠].

قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ أي: قنعوا بما أُعطوا.

﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ في الزيادة، أي: لكان خيرًا لهم.

وهذا جواب «لو»، وهو محذوف في اللفظ.

ثم بيَّن المستحق للصدقات بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾.

اختلفوا في صفة الفقير والمسكين على ستة أقوال:

أحدها: أن الفقير: المتعفف عن السُّؤال، والمسكين: الذي يسأل، وبه قال ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، والزهري، والحكم، وابن زيد، ومقاتل[٢].

---

(١) البيت لزياد الأعجم في مجاز القرآن (١/ ٢٦٣)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١١/ ٥٠٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/ ٤٥٥)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٧)، والبيت من بحر البسيط، وزياد هو: ابن سليمان الأعجم، ويكنى أبا أمامة، له ترجمة في الأغاني (١٤/ ٩٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٦).

والثاني: أن الفقير: المحتاج الذي به زمانة، والمسكين: المحتاج الذي لا زمانة به، قاله قتادة.

والثالث: الفقير: المهاجر، والمسكين: الذي لم يهاجر، قاله الضحاك بن مزاحم، والنَّخعي.

والرابع: الفقير: فقير المسلمين، والمسكين: من أهل الكتاب، قاله عكرمة.

والخامس: أن الفقير: من له البلغة من الشيء، والمسكين: الذي ليس له شيء، قاله أبو حنيفة، ويونس بن حبيب، ويعقوب بن السكِّيت، وابن قتيبة(١).

واحتجوا بقول الرَّاعي(٢): [من البسيط]

أَمَّا الفَقِيرُ الَّذِي كَانَتْ حَلُوبَتُه ... وَفْقَ الْعِيَالِ فَلَمْ يُتْرَكْ لَهُ سَبَدُ

فسماه فقيرًا، وله حَلوبة تكفيه وعياله.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٨).

(٢) البيت للراعي النميري في ديوانه (ص ٦٤)، والمحرر الوجيز (٣/ ٤٨)، ولسان العرب (٥/ ٦٠) مادة (فقر)، ومجمل اللغة (١/ ٧٠٣)، وفقه اللغة (ص:٥٩)، وتهذيب اللغة (٩/ ١٠٣)، وإصلاح المنطق (ص ٢٣٢)، وأدب الكاتب (ص ٣٤)، وأساس البلاغة (٢/ ٣٤٧)، وتاج العروس (١٣/ ٣٣٦)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (١/ ١٩١)، وبلا نسبة في الزاهر (١/ ١٢٧)، وجمهرة اللغة (٢/ ٨٥٦)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/ ٢٢٢)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٤٤)، والمخصص (٣/ ٤٥٢)، والسبد: الشعر، وقيل: الوبر. والراعي: هو حصين بن معاوية وكان سيدًا، وإنما قيل له الراعي؛ لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، وولده وأهل بيته بالبادية سادة أشراف، وكان أعور توفي سنة ٩٠ - ٩١هـ. الشعر والشعراء (٤١٥).



وقال يونس: قلت لأعرابي: أفقير أنت؟ قال: لا والله، بل مسكين. يريد: أنا أسوأ حالًا من الفقير[1].

[٣٣٠/ب] **والسادس**: أن الفقير أمسُّ حاجة من المسكين، وهذا مذهب أحمد، لأن الفقير مأخوذ من انكسار الفَقَار، والمسكنة مأخوذة من السكون والخشوع، وذلك أبلغ.

قال ابن الأنباري: ويروى عن الأصمعي أنه قال: المسكين أحسن حالًا من الفقير[2].

وقال أحمد بن عبيد: المسكين أحسن حالًا من الفقير، لأن الفقير أصله في اللغة: المفقور الذي نزعت فَقرة من فِقَرِ ظهره، فكأنه انقطع ظهره من شدة الفقر، فصُرف عن مفقور إلى فقير، كما قيل: مجروح وجريح، ومطبوخ وطبيخ[3].

---

(١) ذكره عنه النحاس في معاني القرآن (٣/ ٢٢٢)، ومكي في الهداية إلى بلوغ النهاية (٤/ ٣٠٣٩)، والواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٠٢).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٨).

(٣) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٠٤-٥٠٥)، وذكره بنحوه ابن الأنباري في الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٨).

قال الشاعر[١]: [من الكامل]

لَمَّـا رَأَى لُبَدَ النُّسُـورِ تَطَايَرَتْ   رَفَـعَ القَـوادِمَ كَالْفَقِـيرِ الأعْـزَلِ

قـال: ومـن الحجـة لهـذا القـول قولـه تعـالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ﴾ [الكهف:٧٩] فوصف بالمسكنة من له سفينة تساوي مـالًا، قـال: وهـو الصحيح عندنـا[٢].

قوله: ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾.

وهـم السعاة لجباية الصدقة، يُعْطَوْنَ منهـا بقـدر أُجُور أمثالهـم، وليس مـا يأخذونه بـزكاة.

قوله: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

وهـم قـوم كان رسـول الله ﷺ يتألَّفهـم عـلى الإسـلام بـما يعطيهـم، وكانـوا ذوي شرف، وهـم صنفـان: مسـلمون، وكافـرون.

فأمـا المسـلمون، فصنفـان صنـف كانـت نِيَّاتُهـم في الإسـلام ضعيفـة، فتألَّفهـم تقويـةً لِنيَّاتهـم، كعُيَيْنـة بـن حصـن، والأقـرع، وصنـف كانـت نياتهـم حسـنة، فأُعطـوا تألُّفًـا لعشـائرهم مـن المشركـين، مثـل عـدي بـن حاتـم.

---

(١) البيـت للبيـد في ديوانـه (ص ٢٧٤)، ولسـان العـرب (٤/ ٥٩٥) مـادة (عقـر)، والتنبيـه والإيضـاح (٢/ ١٨٣)، وتهذيـب اللغـة (١/ ١٤٨)، والصحـاح (٢/ ٧٨٣)، ومقاييـس اللغـة (٤/ ٩٠)، وتـاج العـروس (١٣/ ١١٦، ٣٣٧) مـادة (عقـر)، (فقـر)، وديـوان الأدب (١/ ٤٠٧)، وكتـاب العـين (٥/ ١٥١)، والبيـت مـن الكامـل.

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/ ١٢٨).

وأما المشركون، فصنفان: صنف يقصدون المسلمين بالأذى، فتألَّفهم دفعًا لأذاهم، مثل عامر بن الطفيل، وصنف كان لهم ميل إلى الإسلام، تألَّفهم بالعطية ليؤمنوا، كصفوان بن أُمية.

وقد ذكرت عدد المؤلفة في كتاب «التلقيح»(١).

وحكمهم باقٍ عند أحمد في رواية، وقال أبو حنيفة، والشافعي: حكمهم منسوخ.

قال الزهري: لا أعلم شيئًا نسخَ حكم المؤلَّفة قلوبهم(٢).

قوله: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ قد ذكرناه في «سورة البقرة»(٣).

قوله: ﴿وَٱلْغَـٰرِمِينَ﴾ وهم الذين لزمهم الدَّين ولا يجدون القضاء.

قال قتادة: هم ناس عليهم دَيْنٌ من غير فساد ولا إِسراف ولا تبذير(٤).

---

(١) يقصد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابه: «تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير»، وهو مصنَّف لطيف في مجلد واحد، يقول واصفًا له: «هذا كتاب ذكرت فيه من السير فنونًا، ومن علوم الحديث عيونًا؛ ليكون للمبتدي تبصرة، وللمنتهي تذكرة، فهو في الحديث ومتعلقاته، وبه يُعرف مرتبة الكتاب، ففيه التاريخ والسير وعلوم الحديث والأثر والوفيات وطبقات الرواة وبيان المقلين والمكثرين... وغير هذا من الفوائد التي لا تكاد تُوجد في غيره لطلبة العلم المبتدئين، وللعلماء المنتهين».

(٢) ذكره النحاس في كتابه معاني القرآن (٣/ ٢٢٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٤١).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٧).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٢٦) من رواية سعيد، عن قتادة به.

وإنما قال هذا، لأنه لا يؤمَن في حق المفسد إذا قُضِيَ دَيْنُه أن يعود إلى الاستدانة لذلك، ولا خلاف في جواز قضاء دينه ودفع الزكاة إليه، ولكن قتادة قاله على وجه الكراهية.

قوله: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني: الغزاة والمرابطين.

ويجوز عندنا أن يعطى الأغنياء منهم والفقراء، وهو قول الشافعي.

وقال أبو حنيفة: لا يعطى إلا الفقير منهم.

وهل يجوز أن يصرف من الزكاة إلى الحج، أم لا؟ فيه عن أحمد روايتان.

قوله: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

هو المسافر المنقطع به، وإن كان له مال في بلده قاله مجاهد، وقتادة، [٣٣١/أ] وأبو حنيفة، وأحمد.

فأما إذا أراد أن ينشئ سفرًا، فهل يجوز أن يعطى؟

قال الشافعي: يجوز.

وعن أحمد نحوه(١).

وقد ذكرنا في «سورة البقرة» فيه أقوالًا عن المفسرين(٢).

قوله: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يعني أن الله افترض هذا.

---

(١) في (ف): (مثله).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٧٧).

فَصْلٌ

وحدُّ الغنى الذي يمنع أخذ الزكاة عند أصحابنا بأحد شيئين:

أن يكون مالكًا لخمسين درهمًا، أو عِدلها من الذهب، سواء كان ذلك يقوم بكفايته أو لا يقوم.

والثاني: أن يكون له كفاية، إمَّا بصنعة، أو أجرة عقار، أو عروض للتجارة يقوم ربحها بكفايته.

وقال أبو حنيفة: الاعتبار في ذلك أن يكون مالكًا لنصاب تجب عليه فيه الزكاة.

فأما ذوو القربى الذين تحرم عليهم الصدقة:

فهم بنو هاشم، وبنو المطلب.

وقال أبو حنيفة: تحرم على ولد هاشم، ولا تحرم على ولد المطلب.

ويجوز أن يعمل على الصدقة من بني هاشم وبني المطلب ويأخذ عمالته منها، خلافًا لأبي حنيفة.

فأما موالي بني هاشم وبني المطلب، فتحرم عليهم الصدقة، خلافًا لمالك.

ولا يجوز أن يعطيَ صدقته مَنْ تلزمه نفقتُه، وبه قال مالك، والثوري.

وقال أبو حنيفة، والشافعي: لا يعطي والدًا وإن علا، ولا ولدًا وإن سفل، ولا زوجه، ويعطي مَنْ عَداهم.

فأما الذميُّ:

فالأكثرون على أنه لا يجوز إعطاؤه.

وقال عبيد الله بن الحسن: إذا لم يجد مسلمًا، أعطي الذمي[1].

ولا يجب استيعاب الأصناف، ولا اعتبار عدد من كل صنف:

وهو قول أبي حنيفة، ومالك.

وقال الشافعي: يجب الاستيعاب من كل صنف ثلاثة.

فأما إذا أراد نقل الصدقة من بلد المال إلى موضع تُقصر فيه الصلاة:

فلا يجوز له ذلك، فإن نقلها لم يُجزئه، وهو قول مالك، والشافعي.

وقال أبو حنيفة: يكره نقلها، وتجزئه.

قال أحمد: ولا يعطي الفقير أكثر من خمسين درهمًا.

وقال أبو حنيفة: أكره أن يعطي رجل واحد من الزكاة مائتي درهم، وإن أعطيته أجزأك.

فأما الشافعي، فاعتبر ما يدفع الحاجةَ من غير حدٍّ.

فإن أعطى من يظنُّه فقيرًا، فبان أنه غنيٌّ، فهل يجزئ، فيه عن أحمد روايتان.

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٤٢).

قولـه تعـالَى: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبـة: ٦١].

قوله: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن خِذام بن خالد، والجُلاس بن سويد، وعبيد بن هلال في آخرين، كانوا يؤذون رسول الله ﷺ، فقال بعضهم لبعض: لا تفعلوا، فإنا نخاف أن يبلغه فيقع بنا، فقال الجلاس: بل نقول ما شئنا، فإنما محمد أُذنٌ سامعة، ثم نأتيه فيصدِّقنا؛ فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

[٣٣١/ب] **والثاني**: أن رجلًا من المنافقين يقال له: نَبْتَل بن الحارث، كان ينمُّ حديث رسول الله ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أُذن، مَنْ حدَّثه شيئًا صدقه، نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا، فنزلت هذه الآية، قاله محمد بن إسحاق[1].

والثالث: أن ناسًا من المنافقين منهم جلاس بن سويد، ووديعة بن ثابت، اجتمعوا، فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ، وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس، فحقروه، فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقوله محمد حقًّا، لنحن شر من الحمير، فغضب الغلام، وقال: والله إن

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٣٥) من رواية سلمة، عن ابن إسحاق به.

ما يقوله محمد حق، وإنكم لشرٌّ من الحمير، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فدعاهم فسألهم، فحلفوا أن عامرًا كاذب، وحلف عامر أنهم كذبوا[١]، وقال: اللهم لا تفرِّق بيننا حتى تبيِّنَ صدق الصادق، وكذب الكاذب، فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ [التوبة:٦٢]، قاله السدي[٢].

فأما الأذى فهو عيبه ونقل حديثه.

ومعنى ﴿أُذُنٌ﴾ يقبل كل ما قيل له.

قال ابن قتيبة: الأصل في هذا أن الأُذُنَ هي السامعة، فقيل لكل من صدَّق بكل خبر يسمعه: أذن[٣].

وجمهور القراء يقرءون: «هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ» بالتثقيل.

وقرأ نافع: «هو أُذْنٌ قل أُذْنُ خير» بإسكان الذال فيهما[٤].

ومعنى ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي: أذن خير، لا أُذُنُ شرٍّ يسمع الخير فيعمل به، ولا يعمل بالشرِّ إذا سمعه.

---

(١) في (ف): (كذبة).

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٣) عن السدي.

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٩).

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٥)، والحجة (٤/ ١٩٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٣).

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، ومجاهد، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: «أُذُنٌ» بالتنوين، «خيرٌ» بالرفع[١].

والمعنى: إن كان كما قلتم، يسمع منكم ويصدِّقكم، خيرٌ لكم من أن يكذِّبكم.

قال أبو علي: يجوز أن تطلق الأذن على الجملة كما قال الخليل: إنما سميت النابُ من الإبل لمكان الناب البازل، فسميت الجملة كلُّها به، فأجرَوا على الجملة اسم الجارحة لإرادتهم كثرة استعماله لها في الإصغاء بها[٢].

ثم بيَّن ممن يَقبل، فقال: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

قال ابن قتيبة: الباء واللام زائدتان، والمعنى: يصدِّق اللهَ ويصدِّقُ المؤمنين[٣].

وقال الزَّجَّاج: يسمع ما ينزِّله الله عليه، فيصدِّق به، ويصدِّق المؤمنين فيما يخبرونه به[٤].

---

(١) في التحصيل (٣/ ٢٨٣) نسبها للمفضل عن عاصم، والأعشى عن أبي بكر عن عاصم، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٥٣) نسبها للحسن بن أبي الحسن ومجاهد وعيسى بخلاف، وقال في الكامل (ص:٥٦٣): «(أذنٌ خيرٌ لَكُمْ) منون مرفوع: ابن أبي عبلة، وقَتَادَة، وطَلْحَة، والحسن، وابْن مِقْسَم، والزَّعْفَرَانِي، وإسماعيل عن جعفر طريق الدهان، والأعشى، والبرجمي، وأبو زيد عن المفضل، والجعفر عن عَاصِم، وأَبُو عَمْرٍو، وعباس ومخير».

(٢) انظر: الحجة (٤/ ١٩٩).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص:١٨٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٧).

﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: وهو رحمة، لأنه كان سبب إيمان المؤمنين.

وقرأ حمزة «ورحمةٍ» بالخفض[١].

قال أبو علي: المعنى: أُذُنُ خيرٍ ورحمة، والمعنى: مستمعُ[٢] خيرٍ ورحمةٍ[٣].

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التوبة: ٦٢].

قوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

قال ابن السائب: نزلت في جماعة من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك، فلما رجع النبي ﷺ، أتوا المؤمنين يعتذرون إليهم، ويحلفون ويعتلُّون[٤].

وقال مقاتل: منهم عبد الله بن أُبيٍّ، حلف لا يتخلَّف عن رسول الله ﷺ ولَيكونَنَّ[٥] معه على عدوِّه[٦].

وقد ذكرنا في الآية التي قبلها أنهم حلفوا أنهم ما نطقوا بالعيب. [٣٣٢/أ]

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٥)، والحجة (٤/ ٢٠٣)، والمبسوط (ص:٢٢٧)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٣)، والتحصيل (٣/ ٢٨٣).

(٢) في (ف): (مسمع).

(٣) انظر: الحجة (٤/ ٢٠٣).

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٥٠).

(٥) في الأصل: (ولنكونن)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٧٨).

وحكى الزَّجَّاج عن بعض النحويين أنه قال: اللام في: ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ بمعنى القسم، والمعنى: يحلفون بالله لكم لنرضينَّكم[١].

قال: وهذا خطأ، لأنَّهم حلفوا أنهم ما قالوا ما حكي عنهم ليُرضُوا باليمين، ولم يحلفوا أنهم يُرضُون في المستقبل.

قال الشيخ: قلت[٢]: وقول مقاتل يؤكد ما أنكره الزَّجَّاج[٣]، وقد مال إليه الأخفش[٤].

قوله: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾.

فيه قولان:

أحدهما: بالتوبة والإِنابة.

والثاني: بترك الطعن والعيب.

فإن قيل: لم قال: ﴿يُرْضُوهُ﴾ ولم يقل: يرضوهما؟

فقد شرحنا هذا عند قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٨).

(٢) في (ف): (قال المصنف)، وفي (ر): (قلت).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٨).

(٤) انظر: معاني القرآن (١/ ٣٦١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة: ٦٣].

قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾.

روى أبو زيد عن المفضل: «ألم تعلموا» بالتاء[١].

﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: من يخالف الله، قاله ابن عباس.

والثاني: من يعاد الله، كقولك: من يُجانِبِ الله ورسوله، أي: يكون في حدٍّ، واللهُ ورسولُه في حدٍّ.

قوله: ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

قرأ الجمهور: «فأن» بفتح الهمزة.

وقرأ أبو رزين، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: بكسرها[٢].

فمن كسر، فعلى الاستئناف بعد الفاء، كما تقول: فله نار جهنم، ودخلت «إنَّ» مؤكدة، ومن قال: «فأَنَّ له» فإنما أعاد «أنَّ» الأولى توكيدًا؛ لأنه لما طال الكلام، كان إعادتها أوكد.

---

(١) في التحصيل (٣/ ٢٨٣) نسبها لابن هرمز، والحسن، وغيرهما، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٥٤) نسبها للأعرج، والحسن.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٤)، وقال في البحر المحيط (٥/ ٤٥٢): «وقرأ ابن أبي عبلة: (فإن له) بالكسر في الهمزة حكاها عنه أبو عمرو الداني، وهي قراءة محبوب عن الحسن، ورواية أبي عبيدة عن أبي عمرو».

قوله تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [التوبة: ٦٤].

قوله: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المنافقين كانوا يعيبون رسول الله ﷺ فيما بينهم، ويقولون: عسى الله أن لا يفشي سرَّنا، فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد[1].

والثاني: أن بعض المنافقين قال: لوددت أني جُلدت مائة جلدة، ولا ينزل فينا شيء يفضحنا، فنزلت هذه الآية، قاله السدي[2].

والثالث: أن جماعة من المنافقين وقفوا للنبي ﷺ في ليلة مظلمة عند مرجعه من تبوك ليفتكوا به، فأخبره جبريل عليه السلام، ونزلت هذه الآية، قاله ابن كيسان[3].

وفي قوله: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ قولان:

أحدهما: أنه إخبار من الله ﷻ عن حالهم، قاله الحسن، وقتادة، واختاره ابن القاسم.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤١)، وابن أبي حاتم (١٠٠٤٤) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به. وعزاه في الدر المنثور (٤/ ٢٢٩) أيضًا لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٥٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٥٢).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٤)، وأبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٥٢).

والثاني: أنه أمر من الله ﷻ لهم بالحذر، فتقديره: ليحذر المنافقون، قاله الزَّجَّاج[١].

قال ابن الأنباري: والعرب ربما أخرجت الأمر على لفظ الخبر، فيقولون: يرحم الله المؤمن، ويعذب الكافر، يريدون: ليرحم وليعذب، فيسقطون اللام ويُجْرُونَه مجرى الخبر في الرفع، وهم لا ينوون إلا الدعاء، والدعاء مضارع للأمر.

قوله: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ هذا وعيد خرج مخرج الأمر تهديدًا.

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ وجهان:

أحدهما: مظهر ما تُسِرُّون.

والثاني: ناصر مَنْ تخذلون، ذكرهما الماوردي[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٥٩).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٨).

قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ﴾.

[٣٣٢/ب] في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: أن جَدَّ بنَ قيس، ووديعة بن خذام، والجُهَير بن خُمَير، كانوا يسيرون بين يدي رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، فجعل رجلان منهم يستهزئان برسول الله ﷺ، والثالث يضحك مما يقولان ولا يتكلم بشيء، فنزل جبريل فأخبره بما يستهزئون به ويضحكون، فقال لعمار بن ياسر: «**اذْهَبْ فَسَلْهُم عَمَّا كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنْهُ، وَقُلْ لَهُمْ: أَحْرَقَكُمُ اللهُ**»، فلما سألهم، وقال: أحرقكم الله علموا أنه قد نزل فيهم قرآن، فأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله ﷺ، وقال الجُهَير: والله ما تكلَّمت بشيء، وإنما ضحكت تعجُّبًا من قولهم، فنزل قوله تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ يعني جَدَّ بن قيس ووديعة، ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ يعني الجهير، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ يعني الجدَّ ووديعة، وهذا قول أبي صالح عن ابن عباس[1].

والثاني: أن رجلًا من المنافقين قال: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، ولا أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ، ولا أجبنَ عند اللقاء، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال له عوف بن مالك: كذبت، لكنك منافق، لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فذهب ليخبره، فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، هذا قول ابن عمر، وزيد بن أسلم، والقرظي[2].

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٤٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٤٦، ١٠٠٤٧)، والكشف والبيان (٥/ ٦٥)، والتفسير الوسيط (٢/ ٥٠٧)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٣٥).

والثالث: أن قومًا من المنافقين كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ، فقالوا: إن كان ما يقول هذا حقًّا، لنحن شرٌّ من الحمير، فأعلم الله نبيه ما قالوا، ونزلت: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾، قاله سعيد بن جبير[١].

والرابع: أن رجلًا من المنافقين قال: يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا، وما يُدريه ما الغيب؟ فنزلت هذه الآية، قاله مجاهد[٢].

والخامس: أن ناسًا من المنافقين قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات فأطلع الله نبيَّه على ذلك، فقال نبي الله ﷺ: «**احْبِسُوا عَلَيَّ الرَّكْبَ**»، فأتاهم، فقال: «**قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا**»، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[٣].

والسادس: أن عبد الله بن أُبيٍّ، ورهطًا معه، كانوا يقولون في رسول الله ﷺ وأصحابه ما لا ينبغي، فإذا بلغ رسول الله ﷺ قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾، قاله الضحاك[٤].

فقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ أي: عما كانوا فيه من الاستهزاء.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠٠) من رواية سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير به.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٤٨) من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١١٠٥)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٤٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٤٩) عن قتادة به.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٥).

﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ أي: نلهو بالحديث.

[٣٣٣/أ] وقوله: ﴿قَدْ كَفَرْتُم﴾ أي: قد ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان، وهذا يدل على أن الجِدَّ واللعب في إظهار كلمة الكفر سواء.

قوله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾.

قرأ الأكثرون: «إن يُعْفَ» بالياء، «تعذَّب» بالتاء[1].

وقرأ عاصم غير أبان: «إن نَعْفُ»، «نُعَذِّبْ»، بالنون فيهما، ونصب «طائفةً»[2].

والمعنى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بالتوفيق للتوبة، ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ بترك التوبة.

وقيل: الطائفتان هاهنا ثلاثة، فاستهزأ اثنان وضحك واحد.

ثم أنكر عليهم بعض ما سمع [وجانبهم][3].

وقد ذكرنا عن ابن عباس أسماء الثلاثة، وأن الضاحك اسمه الجُهَيْر.

وقال غيره: هو مَخْشِيُّ بن حُمَيْر.

---

(١) قوله: («تعذَّب» بالتاء)، ليس في (ف).

(٢) انظر: السبعة (ص:٣١٦)، والحجة (٤/ ٢٠٥)، والمبسوط (ص:٢٢٨)، والتيسير (ص:١١٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٥)، والتحصيل (٣/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٣) زيادة من (ف)، و(ر).

وقال ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]: الطائفة الواحد فما فوقه.

وقال الزَّجَّاج: أصل الطائفة في اللغة الجماعة، ويجوز أن يقال للواحد طائفة، يراد به نفس طائفة[٣].

وقال ابن الأنباري: إذا أريد بالطائفة الواحد كان أصلها طائفًا، على مثال: قائم وقاعد، فتدخل الهاء للمبالغة في الوصف، كما يقال: راوية، علَّامة، نسَّابة[٤].

قال عمر بن الخطَّاب: ما فُرغ من تنزيل براءة حتى ظننا أن لن يبقى منا أحد إلا سينزل فيه شيء[٥].

قوله تعالَى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ

---

(١) رواه الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤٥) من رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس ﷺ به. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٣٩).

(٢) رواه الفراء في معاني القرآن (٢/ ٢٤٥) من رواية ليث، عن مجاهد به.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٤) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٣٩) عن ابن الأنباري.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٢١) لأبي الشيخ عن عكرمة، عن عمر بن الخطاب ﷺ به.

كَالَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [التوبة: ٦٧، ٧٠].

قوله: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾.

قال ابن عباس: بعضهم على دين بعض[١].

وقال مقاتل: بعضهم أولياء بعض[٢].

﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ وهو الكفر.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ وهو الإيمان.

وفي قوله: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ **أربعة أقوال:**

أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله، قاله ابن عباس، والحسن، ومجاهد.

والثاني: عن كل خير، قاله قتادة.

والثالث: عن الجهاد في سبيل الله.

والرابع: عن رفعها في الدعاء إلى الله، ذكرهما الماوردي[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠٨)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٤٠).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٠).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٧٩).

قوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاج: تركوا أمره، فتركهم من رحمته وتوفيقه[١].

قال: وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: هي كفاية ذنوبهم، كما تقول: عذَّبتُك حسبَ فِعلك، وحسبُ فلان ما نزل به، أي: ذلك على قدر فعله[٢].

وموضع الكاف في قوله: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ نصب، أي: وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم[٣].

وقال غيره: رجع عن الخبر عنهم إلى مخاطبتهم، وشبَّههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية[٤].

قوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾.

قال ابن عباس: استمتعوا بنصيبهم من الآخرة في الدنيا[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/ ٥٠٩).

(٥) الوارد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، هو ما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٣) من رواية عكرمة عن ابن عباس قال: «ما أشبه الليلة بالبارحة ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ فهؤلاء بنو إسرائيل أشبهناهم. قال ابن جريج: ولا أعلم إلا أن فيه: والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل رجل جحر ضب لدخلتموه».



وقال الزَّجَّاج: بحظهم من الدنيا[١].

قوله: ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي: في الطعن على الدِّين وتكذيب نبيكم كما خاضوا.

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ لأنها لم تُقبل منهم، وفي الآخرة، لأنهم لا يثابون عليها.

﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب.

قوله: ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

[٣٣٣/ب] قال ابن عباس: يريد نمرود بن كنعان[٢].

﴿وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ﴾ يعني قوم شعيب.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ﴾ قرى لوط.

قال الزَّجَّاج: وهم جمع مؤتفكة، ائتفكت بهم الأرض، أي: انقلبت[٣].

قال: ويقال إنَّهم جميع من أُهلك، كما يقال للهالك: انقلبت عليه الدنيا[٤].

قوله: ﴿أَتَتْهُمْ﴾ يعني هذه الأمم.

﴿رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾ فكذَّبوا بها.

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٠).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٠٩)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٤٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦١).

(٤) انظر: المصدر السابق.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ ﴾.

قال ابن عباس: ليهلكهم حتى يبعث فيهم نبيًّا ينذرهم[١].

والمعنى أنهم أهلكوا باستحقاقهم.

قوله تعالَى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧١، ٧٢].

قوله: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾.

أي: بعضهم يوالي بعضًا، فهم يد واحدة، يأمرون بالإيمان، وينهون عن الكفر.

قوله: ﴿فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖ﴾.

قال أبو عبيدة: في جنات خُلْد، يقال: عَدَن فلان بأرض كذا، أي: أقام، ومنه: المِعدنُ، وهو في مَعْدِن صدق، أي: في أصل ثابت[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٤٧).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٣).

قال الأعشى[١]: [من المتقارب]

وَإِنْ تَسْتَضِيفُوا إِلَى حِلْمِهِ تُضَافُوا إِلَى رَاجِحٍ قَدْ عَدَن

أي: رزين لا يُستخف[٢].

قال ابن عباس: جنات عدن، هي بُطنان الجنة[٣].

وبُطنانها: وسطها، وهي أعلى درجة في الجنة، وهي دار الرحمن ﷻ، وسقفها عرشه، خلقها بيده، وفيها عين التسنيم، والجنان حولها محدقة بها[٤].

قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

قال ابن عباس: أكبر مما يوصف[٥].

وقال الزَّجَّاج: أكبر مما هم فيه من النعيم[٦].

فإن قيل: لم كان الرضوان أكبر من النعيم؟

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه (١٧)، وتفسير الطبري (١١/ ٥٥٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٥٨)، والبحر المحيط (٥/ ٤٤٧)، ومجاز القرآن (١/ ٢٦٤)، والزاهر (١/ ٤٩٨).

(٢) في (ف): (لا يستحق).

(٣) لم نقف عليه عن ابن عباس، وإنما عن ابن مسعود كما رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٣٧٤)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٦١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٠٤) من رواية مسروق عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٤) انظر: التفسير البسيط؛ للواحدي (١٠/ ٥٥٠).

(٥) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١١)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥١).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦١).

فعنه جوابان:

أحدهما: أن سرور القلب برضى الرب نعيم يختص بالقلب، وذاك أكبر من نعيم الأكل والشرب.

وفي حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: أَفَلَا أُعْطِيكُم أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا**»(١).

والثاني: أن الموجِب للنعيم الرضوان، والموجَب ثمرة الموجب، فهو الأصل.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣].

قوله: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

أما جهاد الكفار فبالسيف.

وفي جهاد المنافقين قولان:

أحدهما: أنه باللسان، قاله ابن عباس، والحسن، والضحاك، والربيع بن أنس.

والثاني: جهادهم بإقامة الحدود عليهم، روي عن الحسن، وقتادة.

---

(١) متفق عليه؛ رواه البخاري في صحيحه (٦٥٤٩)، ومسلم في صحيحه (٢٨٢٩).

فإن قيل: إذا كان رسول الله ﷺ قد أُمر بجهادهم وهو يعلم أعيانهم، فكيف تركهم بين أظهر أصحابه فلم يقتلهم ؟.

فالجواب: أنه إنما أُمر بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام عليها، فأما من إذا أُطلع على كفره، أنكر وحلف وقال: إني مسلم، فإنه أمر أن يأخذ بظاهر أمره، ولا يبحث عن سِرِّه. [٣٣٤/أ]

قوله: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾.

قال ابن عباس: يريد شدة الانتهار لهم، والنظر بالبغضة والمقت[١].

وفي الهاء والميم من ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ قولان:

أحدهما: أنه يرجع إلى الفريقين، قاله ابن عباس.

والثاني: إلى المنافقين، قاله مقاتل[٢].

قوله تعالَى: ﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ وَإِن يَتَوَلَّوۡاْ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَا لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٧٤﴾ [التوبة: ٧٤].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٢).

قوله: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ ﴾.

في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسول الله ﷺ ذكر المنافقين فعابهم، فقال الجُلاس بن سويد: إن كان ما يقول على إخواننا حقًّا لنحن شرٌّ من الحمير، فقال عامر بن قيس: والله إنه لصادق، ولأنتم شرٌّ من الحمير، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فأتى الجلاسُ فقال: ما قلت شيئًا، فحلفا عند المنبر، فنزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس[1].

وذهب إلى نحوه الحسن، ومجاهد، وابن سيرين.

والثاني: أن عبد الله بن أُبيٍّ قال: والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليُخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ، فسمعه رجل من المسلمين، فأخبر رسول الله ﷺ، فأرسل إليه، فجعل يحلف بالله ما قال، فنزلت هذه الآية، قاله قتادة[2].

---

(١) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، لكن أخرج الطبري في تفسيره (١١/ ٥٦٩) نحوه عن هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٧٤] قال: نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت، قال: إن كان ما جاء به محمد حقًّا، لنحن أشر من الحمير، فقال له ابن امرأته: والله يا عدو الله، لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فإني إن لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة وأؤاخذ بخطيئتك، فدعا النبي ﷺ الجلاس، فقال: «يا جلاس أقلت كذا وكذا؟» فحلف ما قال، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٢) من رواية سعيد، عن قتادة به.

والثالث: أن المنافقين كانوا إذا خَلَوْا، سبُّوا رسول الله وأصحابه، وطعنوا في الدين، فنقل حذيفة إلى رسول الله ﷺ بعض ذلك، فحلفوا ما قالوا شيئًا، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك[1].

فأما ﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾.

فهي سبُّهم الرسول ﷺ وطعنهم في الدِّين.

وفي سبب قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في ابن أُبيٍّ حين قال: لئن رجعنا إلى المدينة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة[2].

والثاني: أنها نزلت فيهم حين همُّوا بقتل رسول الله ﷺ، رواه مجاهد عن ابن عباس، قال: والذي همَّ رجل يقال له: الأسود[3].

وقال مقاتل: هم خمسة عشر رجلًا، هَمُّوا بقتله ليلة العقبة[4].

والثالث: أنه لما قال بعض المنافقين: إن كان ما يقول محمد حَقًّا، فنحن شرٌّ من الحمير، وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شرٌّ من الحمير[5]،

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٢٥١)، والثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٦٩).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٢) من رواية سعيد، عن قتادة به.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٠٢) من رواية مجاهد عن ابن عباس ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ قال: همَّ رجل يقال له: الأسود بقتل محمد ﷺ.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٣).

(٥) قوله: (وقال له رجل من المؤمنين: لأنتم شرٌّ من الحمير)، تكررت في الأصل.

همَّ المنافق بقتله فذلك قوله: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾، هذا قول مجاهد[١].

والرابع: أنهم قالوا في غزوة تبوك: إذا قدمنا المدينة، عقدنا على رأس عبد الله بن أُبيٍّ تاجًا نباهي به رسول الله ﷺ، فلم ينالوا ما همُّوا به[٢].

قوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: ليس ينقمون شيئًا، ولا يتعرفون من الله إلا الصنع، ومثله قول الشاعر[٣]: [من المنسرح]

مَا نَقَمَ[٤] النَّاسُ مِنْ أُمَيَّة إلاَّ ... أَنَّهُمْ يَحْلُمونَ إِنْ غَضِبُوا [٣٣٤/ب]
وأنَّهم سَادَةُ المُلُوْكِ وَلاَ ... تَصْلُحُ إلَّا عَلَيْهِمُ العَرَبُ

وهذا ليس مما يُنقم، وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئًا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٠٠٣) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥٤) كلاهما للواحدي، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٥/ ٧٠)، ونسبوا هذا الكلام للسدي.

(٣) البيتان لعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ في ديوانه (ص:٤)، وتفسير الطبري (٨/ ٥٣٧)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ١٨٦)، والبحر المحيط (١٠/ ٤٤٥)، ولسان العرب (١٢/ ٥٩١) مادة (نقم)؛ وتهذيب اللغة (٩/ ١٦٢)، والبيان والتبيين (٣/ ٢٣٥)، والشعر والشعراء (١/ ٥٣١)، وتاج العروس (٣٤/ ٧) مادة (نقم).

(٤) في (ف): (ينقم).

وكقول النابغة[1]: [من الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِم غَيْرَ أَنَّ سُيوفَهم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

أي: ليس فيهم عيب.

قال ابن عباس: كانوا قبل قدوم النبي ﷺ المدينة في ضَنْك من معاشهم، فلما قدم عليهم، غنموا، وصارت لهم الأموال[2].

فعلى هذا، يكون الكلام عامًّا.

وقال قتادة: هذا في عبد الله بن أُبيٍّ[3].

وقال عروة: هو الجلاس بن سويد، قُتل له مولى، فأمر له رسول الله ﷺ بديته، فاستغنى فلما نزلت: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، قال الجلاس: أنا أتوب إلى الله[4].

---

(١) البيت للنابغة في ديوانه (ص ٤٤)، والكتاب (٢/ ٣٢٦)، وفقه اللغة (ص:٢٦٤)، والأضداد (١/ ١٧٨)، والعين (٨/ ٣١٦)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٢/ ٤٧٩)، والزاهر (١/ ٢٨٠)، وغريب الحديث؛ للخطابي (٢/ ٥٣٨)، ومقاييس اللغة (٤/ ٤٣٤).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠١) من رواية سعيد، عن قتادة: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٤] قال: كانت لعبد الله بن أبي دية، فأخرجها رسول الله ﷺ له.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠٣) من رواية هشام بن عروة، عن أبيه: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [التوبة: ٧٤] قال: قال الجلاس: «قد استثنى الله لي التوبة، فأنا أتوب، فقبل منه رسول الله ﷺ».

قوله: ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ أي: يعرضوا عن الإيمان.

قال ابن عباس: كما تولَّى عبد الله بن أُبيٍّ[١].

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل، وفي الآخرة بالنار.

قوله تعالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التوبة: ٧٥].

قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾.

في سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يرزقني مالًا، فقال: «**وَيْحَكَ يَا ثَعْلَبَةُ، قَلِيلٌ تُؤَدِّي شُكْرَهُ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ لَا تُطِيقُهُ**»، قال: ثم قال مرة أخرى، فقال: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِثْلَ نَبِيِّ اللهِ؟ فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَو شِئْتُ أَنْ تَسِيرَ مَعِيَ الْجِبَالُ ذَهَبًا وَفِضَّةً، لَسَارَتْ**» فقال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوتَ الله أن يرزقني مالًا، لأوتينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مَالًا**»، فاتخذ غنمًا، فنمت، فضاقت عليه المدينة، فتنحَّى عنها، ونزل واديًا من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما، ثم نَمت، حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم نمت، فترك الجمعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ، فأُخبر خبره، فقال: «**يَا وَيحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ، يَا وَيْحَ ثَعْلَبَةَ**»، وأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة:١٠٣] وأنزل فرائض الصدقة، فبعث رسول الله ﷺ رجلين

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٢)، والتفسير البسيط (١٠/ ٥٥٧).

على الصدقة، وكتب لهما كتابًا يأخذان الصدقة، وقال: «مُرَّا بِثَعْلَبَةَ، وَبِفُلَانٍ» رجل[١] من بني سُليم، فخرجا حتى أتيا ثعلبة، فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا إلا جزية، ما هذه إلا أُخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إليَّ. فانطلقا فأُخبر السُّلَمي، فاستقبلهما بخيار ماله، فقالا: لا يجب هذا عليك، فقال: خذاه، فإن نفسي بذلك طيبة، فأخذا منه. فلما فرغا من صدقتهما، مرَّا بثعلبة، [٣٣٥/أ] فقال: أروني كتابكما، فقال: ما هذه إلا أُخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيي، فانطلقا، فأخبرا رسول الله ﷺ بما كان، فنزلت هذه الآية، إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾، وكان عند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة [فخرج إلى ثعلبة][٢] فأخبره، فأتى رسول الله ﷺ، وسأله[٣] أن يقبل منه صدقته، فقال: «إِنَّ اللهَ قَدْ مَنَعَنِي أَنْ أَقْبَلَ صَدَقَتَكَ»، فجعل يحثو التراب على رأسه. فقال: «هَذَا عَمَلُكَ، قَدْ أَمَرْتُكَ فَلَمْ تُطِعْنِي». فرجع إلى منزله، وقُبض رسول الله ﷺ، ولم يقبل منه شيئًا، فلما ولي أبو بكر، سأله أن يقبل منه، فأبى، فلما ولي عمر، سأله أن يقبل منه، فأبى، فلما ولي عثمان، سأله أن يقبلها فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر، فلم يقبلها، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان ﷺ، روى هذا الحديث القاسم عن أبي أمامة الباهلي[٤].

---

(١) ليست في (ف).

(٢) ما بين المعكوفين زيادة من (ف)، و(ر).

(٣) في (ف): (وأخبره).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٤٠٦)، والواحدي=

وقال ابن عباس: مرَّ ثعلبة على مجلس، فأشهدهم على نفسه: لئن آتاني الله من فضله، آتيت كل ذي حق حقه، وفعلت كذا وكذا، فآتاه الله من فضله، فأخلف ما وعد، فقصَّ الله علينا شأنه[١].

والثاني: أن رجلًا من بني عمرو بن عوف، كان له مال بالشام، فأبطأ عنه، فجُهد له جُهدًا شديدًا، فحلف بالله لئن آتانا من فضله، أي: من ذلك المال، لأصَّدقَّن منه، ولأصِلَنَّ، فأتاه ذلك المال، فلم يفعل، فنزلت هذه الآية، قاله ابن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس[٢].

قال ابن السائب: والرجل حاطب بن أبي بلتعة.

والثالث: أن ثعلبة ومُعتِّب بن قُشير، خرجا على ملإٍ، فقالا: والله لئن رزقنا الله لنصَّدَّقنَّ، فلما رزقهما، بخلا به، فنزلت هذه الآية، قاله الحسن[٣]، ومجاهد[٤].

=في أسباب النزول (ص:٢٥٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٠٤٨) وغيرهم من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ.

قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١١٧٩): «أخرجه الطَّبَرَانِي بِسَنَد ضَعِيف». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وهو متروك».

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٧٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٠).

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٦٦) عن ابن السائب.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٢) من رواية عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ به.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٢) من رواية ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٥] قَالَ: رَجُلَانِ خَرَجَا عَلَى مَلَإٍ قُعُودٍ، فَقَالَا: وَاللهِ لَئِنْ رَزَقَنَا اللهُ لَنَصَّدَّقَنَّ، فَلَمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ بَخِلُوا بِهِ.

والرابع: أن نبتل بن الحارث، وجَدَّ بن قيس، وثعلبة بن حاطب، ومعتِّب بن قشير، قالوا: لئن آتانا الله من فضله لنصدقن، فلما آتاهم من فضله بخلوا به، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك(١).

فأما التفسير:

فقوله: ﴿وَمِنْهُم﴾ يعني المنافقين.

﴿مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ أي: قال: عليَّ عهدُ الله.

﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ الأصل: لنتصدقن، فأدغمت التاء في الصاد لقربها منها.

﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: لنعملنَّ ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم من صلة الرحم والإنفاق في الخير.

وقد روى كَهْمَس عن معبد بن ثابت(٢) أنه قال: إنما هو شيء نَوَوْه في أنفسهم، ولم يتكلموا به، ألم تسمع إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾(٣) [التوبة:٧٨].

قوله تعالَى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٧٦﴾ [التوبة: ٧٦].

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر المحيط (٥/ ٤٦٦).

(٢) هكذا في الأصل، وجميع النسخ: (معبد بن ثابت)، وفي تفسير الطبري: (سعيد بن ثابت).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٧) من رواية كهمس، عن سعيد بن ثابت به.

قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: ما طلبوا من المال.

﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ ولم يفوا بما عاهدوا. [٣٣٥/ ب]

﴿وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن عهدهم.

قوله تعالَى: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ٧٨﴾ [التوبة: ٧٧، ٧٨].

قوله: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ﴾ أي: صيَّر عاقبة أمرهم النفاق.

وفي الضمير في «أعقبهم» قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم بخلُهم بما نذروا نفاقًا، قاله الحسن.

قوله: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ﴾ يعني المنافقين.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ﴾ وهو ما في نفوسهم.

﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ حديثهم بينهم.

قوله تعالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبة: ٧٩].

قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾.

في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أنه لما نزلت آية الصدقة، جاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لَغَنِيٌّ عن صاع هذا، فنزلت هذه الآية، قاله أبو مسعود[١][٢].

والثاني: أن عبد الرحمن بن عوف جاء بأربعين أوقية من ذهب، وجاء رجل من الأنصار بصاع من طعام، فقال بعض المنافقين: والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به إلا رياءً، وإنْ كان اللهُ ورسولُهُ لَغنيَّين عن هذا الصاع، قاله ابن عباس[٣].

وفي هذا الأنصاري قولان:

أحدهما: أنه أبو خيثمة، قاله كعب بن مالك.

والثاني: أنه أبو عقيل.

وفي اسم أبي عقيل ثلاثة أقوال:

أحدها: عبد الرحمن بن بِيْجَان[٤]، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

---

(١) في الأصل، وبقية النسخ: (ابن مسعود)، والصواب ما أثبتناه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٤١٥)، ومسلم في صحيحه (١٠١٨)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٥) عن أبي مسعود ﷺ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٥٨٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠٦) من رواية عي بن أبي طلحة، عن ابن عباس به.

(٤) في الأصل: (بنجان)، والمثبت من بقية النسخ.

ويقال: ابن بِيْحان، ويقال: سِيْحَان.

وقال مقاتل: هو أبو عقيل بنُ قيس(١).

والثاني: أن اسمه الحَبْحَاب، قاله قتادة.

والثالث: الحُبَاب.

قال قتادة: جاء عبد الرحمن بأربعة آلاف، وجاء عاصم بن عدي بن العَجلان بمائة وَسق من تمر(٢).

و﴿يَلْمِزُونَ﴾ بمعنى يعيبون.

و﴿ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ أي: المتطوعين.

قال الفراء: أدغمت التاء في الطاء، فصارت طاءً مشددة(٣).

والجُهد لغة أهل الحجاز، ولغة غيرهم الجَهد.

قال أبو عبيدة: الجهد، بالفتح والضم سواء، ومجازه: طاقتهم(٤).

وقال ابن قتيبة: الجُهد: الطاقة، والجَهد: المشقة(٥).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١١١٢)، والطبري في تفسيره (١١/ ٥٩١) من رواية مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ به.

(٣) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٦٤).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ١٩٠).

قال المفسرون: عُني بالمطوِّعين: عبدُ الرحمن، وعاصم، وبالذين لا يجدون إلا جهدهم: أبو عقيل[1].

وقوله: ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ أي: جازاهم على فعلهم، وقد سبق هذا المعنى.

قوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾ [التوبة: ٨٠].

قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾.

سبب نزولها:

أنه لما نزل وعيد اللامزين قالوا: يا رسول الله استغفر لنا، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَكْثَرَ مِنَ السَّبْعِينَ مَرَّةً، لَعَلَّ اللهَ يَغْفِرُ لَهُمْ**» فنزل قوله: ﴿**سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ**﴾ [المنافقون:٦]، قاله أبو صالح عن ابن عباس[2].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٥٨٨)، والتفسير الوسيط (٢/ ٥١٤).

(٢) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وإنما رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٠١) من رواية عطية العوفي، عن ابن عباس قَوْلُهُ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٨٠] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: «أَسْمَعُ رَبِّي قَدْ رَخَّصَ لِي فِيهِمْ، فَوَاللهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً، فَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ». فَقَالَ اللهُ مِنْ شِدَّةِ غَضَبِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿**سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ** أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦].

وظاهر قوله: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ الأمر، وليس كذلك، إنما المعنى: إن استغفرت، وإن لم تستغفر، لا يغفر لهم، فهو كقوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهًا﴾ [التوبة:٥٣]، وقد سبق شرح هذا المعنى هناك، هذا قول المحققين.

وذهب قوم إلى أن ظاهر اللفظ يعطي أنه إن زاد على السبعين، رجي لهم الغفران، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾. [٣٣٦/أ]

فإن قيل: كيف جاز أن يستغفر لهم، وقد أُخبر بأنهم كفروا؟

فالجواب: أنه إنما استغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير أن يتحقق خروجهم عن الإسلام، ولا يجوز أن يقال: علم كفرهم ثم استغفر.

فإن قيل: ما معنى حصر العدد بسبعين؟

فالجواب: أن العرب تستكثر في الآحاد من سبعة، وفي العشرات من سبعين.

قوله تعالَى: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾ [التوبة: ٨١].

قوله: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ﴾ يعني المنافقين الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

والمخلَّف: المتروك خلفَ من مضى.

﴿بِمَقۡعَدِهِمۡ﴾ أي: بقعودهم.

وفي قوله: ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أن معناه: بعد رسول الله ﷺ، قاله أبو عبيدة[١].

والثاني: أن معناه: مخالَفَةُ رسول الله ﷺ، وهو منصوب، لأنه مفعول له، فالمعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ، قاله الزَّجَّاج[٢].

وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، والأعمش، وابن أبي عبلة: «خَلْفَ رسولِ اللهِ»[٣].

ومعناها: أنهم تأخَّروا عن الجهاد.

وفي قوله: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قولان:

أحدهما: أنه قول بعضهم لبعض، قاله ابن إسحاق، ومقاتل[٤].

والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين، ذكره الماوردي[٥].

وإنما قالوا هذا، لأن الزمان كان حينئذ شديد الحر.

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لأبي حيوة، وفي التحصيل (٣/ ٢٨٤) نسبها لعمرو بن ميمون، وعمرو بن عبيد، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٧) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٦٦) نسبها لابن عباس، وأبي حيوة، وفي الكامل (ص:٥٦٣) نسبها لحمصي، وابن أبي عبلة، والزَّعْفَرَانِي.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٧).

(٥) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٨٧).

﴿قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗا﴾ لمن خالف أمر الله.

وقوله: ﴿يَفۡقَهُونَ﴾ معناه: يعلمون.

قال ابن فارس: الفقه: العلم بالشيء. تقول: فَقِهْتُ الحديث أَفْقَهُهُ، وكل علم بشيء: فقه، ثم اختص به علم الشريعة، فقيل لكل عالم بها: فقيه[١].

قال الشيخ[٢]: وقال شيخنا علي بن عبيد الله: الفقه في إطلاق اللغة: الفهم، وفي عرف الشريعة: عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بأفعال المكلَّفين، بنحو التحليل، والتحريم، والإيجاب، والإجزاء، والصحة، والفساد، والغرم، والضمان، وغير ذلك. وبعضهم يختار أن يقال: الفِقْه: فَهْمُ الشيء، وبعضهم يختار أن يقال: علم الشيء.

قوله تعالَى: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢﴾ [التوبة: ٨٢].

قوله: ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا﴾ لفظه لفظ الأمر، ومعناه التهديد.

وفي قلَّة ضحكهم وجهان:

أحدهما: أن الضحك في الدنيا، لكثرة حزنها وهمومها، قليل، وضحكهم فيها أقل، لِما يتوجه إليهم من الوعيد.

والثاني: أنهم إنما يضحكون في الدنيا، وبقاؤها قليل.

﴿وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾ في الآخرة.

---

(١) انظر: مجمل اللغة (ص:٧٠٣).

(٢) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (ر)، وفي (ف): (قال المصنف).

قال أبو موسى الأشعري: إن أهل النار ليبكون الدموع في النار، حتى لو أُجريت السفن في دموعهم لجرت، ثم إنهم ليبكون الدم بعد الدموع، فلمثل ما هم فيه فليُبكَ[1].

قوله: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ أي: من النفاق والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣﴾ [التوبة: ٨٣].

قوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: ردَّك[2] من غزوة تبوك إلى المدينة إلى [٣٣٦/ب] طائفة من المنافقين الذين تخلَّفوا بغير عذر.

وإنَّما قال: ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٖ﴾ لأنه ليس كل من تخلَّف عن تبوك كان منافقًا.

﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ﴾ معك إلى الغزو.

﴿فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا﴾ إلى غزاة.

﴿إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ﴾ عني ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك.

وذكر الماوردي في قوله: ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ قولين:

أحدهما: أول مرة دُعيتم.

والثاني: قبل استئذانكم.

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٧٨).

(٢) في الأصل: (إلى ربك)! بدلاً من: (أي: ردَّك)، والمثبت من بقية النسخ.

وأما الخالفون، فقال أبو عبيدة: الخالف: الذي خلف بعد شاخص، فقعد في رحله، وهو الذي يتخلَّف عن القوم[(١)].

وفي المراد بالخالفين قولان:

أحدهما: أنهم الرجال الذين تخلَّفوا لأعذار، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم النساء، قاله الحسن، وقتادة.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة: ٨٤].

قوله: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾.

سبب نزولها:

أنه لما توفي عبد الله بن أبيٍّ، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصلِّ عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه، وقال: «آذِنِّي أُصَلِّي عَلَيْهِ»، فآذنه، فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر بن الخطاب، وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال: «أَنَا بَيْنَ خِيَرَتَيْنِ»: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فصلى عليه، فنزلت هذه الآية، رواه نافع عن ابن عمر[(٢)].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١٢٦٩)، وأحمد في مسنده (٤٦٨٠)، وابن ماجه في سننه (١٥٢٣)، والترمذي في سننه (٣٠٩٨)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٢٠٦) وغيرهم من رواية نافع عن ابن عمر رضي الله عنه به.



قال قتادة: ذُكر لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يقول: **«مَا يُغْنِي عَنْهُ قَمِيصِي مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَى، وَاللهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ بِهِ أَلْفٌ مِنْ قَومِهِ»**(١).

قال الزَّجَّاج: فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لَمَّا رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ، وأراد الصلاة عليه(٢).

فأما قوله: ﴿مِّنْهُم﴾ فإنه يعني المنافقين.

وقوله: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾.

قال المفسرون: كان رسول الله ﷺ إذا دُفن الميت، وقف على قبره ودعا له، فنُهي عن ذلك في حق المنافقين.

وقال ابن جرير: معناه: لا تتولَّ دفنه، وهو من قولك: قام فلان بأمر فلان(٣).

وقد تقدَّم تفسيره.

قوله تعالَى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦١٤).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٦١٠).

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة: ٨٥، ٨٩].

قوله: ﴿ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ ﴾ سبق تفسيره[١].

قوله: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ هذا عامٌّ في كل سورة.

وقال مقاتل: المراد بها «سورة براءة»[٢].

قوله: ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ ﴾ أي: بأن آمنوا.

وفيه ثلاثة أوجه:

أحدها: استديموا الإيمان.

والثاني: افعلوا فعل من آمن.

والثالث: آمنوا بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم، فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين.

قوله: ﴿ٱسْتَـْٔذَنَكَ ﴾ أي: في التَّخلُّف.

﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ ﴾ يعني الغنى، وهم الذين لا عذر لهم في التخلُّف.

---

(١) انظر: تفسير سورة التوبة الآية رقم (٥٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٨).

وفي ﴿ٱلۡخَوَالِفِ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم النساء، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وشمر بن عطية، وابن زيد، والفراء(١).

وقال أبو عبيدة: يجوز أن تكون الخوالف هاهنا النساء، ولا يكادون يجمعون الرجال على تقدير فواعل، غير أنهم قد قالوا: فارس، والجميع: فوارس، وهالك وهوالك(٢). [٣٣٧/أ]

قال ابن الأنباري: الخوالف لا يقع إلا على النساء، إذ العرب تجمع فاعلة: فواعل فيقولون: ضاربة، وضوارب، وشاتمة، وشواتم، ولا يجمعون فاعلًا: فواعل، إلا في حرفين: فوارس، وهوالك، فيجوز أن يكون مع الخوالف: المتخلفات في المنازل، ويجوز أن يكون: مع المخالفات العاصيات، ويجوز أن يكون: مع النساء العجزة اللاتي لا مدافعة عندهن.

والقول الثاني: أن الخوالف: خساس الناس وأدنياؤهم، يقال: فلان خالفة أهله: إذا كان دونهم، ذكره ابن قتيبة(٣).

فأما «طَبَع»، فقال أبو عبيدة: معناه: ختم(٤).

و﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُ﴾ جمع خَيْرة.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٧٧).

(٢) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٦٥).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ١٩١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٢٦٦).

وللمفسرين في المراد بالخيرات ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الفاضلات من كل شيء، قاله أبو عبيدة[١].

والثاني: الجواري الفاضلات، قاله المبرِّد.

والثالث: غنائم الدنيا ومنافع الجهاد، ذكره الماوردي[٢].

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التوبة: ٩٠].

قوله: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾.

وقرأ ابن مسعود: «المعتذرون»[٣].

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن يعمر، ويعقوب: «المُعْذِرون» بسكون العين وتخفيف الذال[٤].

---

(١) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٧).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٩٠).

(٣) في المحرر الوجيز (٣/ ٧٠)، والبحر المحيط (٥/ ٤٨١) كلاهما نسبها لسعيد بن جبير.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لابن عباس، وفي التحصيل (٣/ ٢٩٩) قال: «قتيبة عن الكسائي، وابن عباس، والضحاك، وغيرهم، ورواها أبو كريب، عن أبي بكر، عن عاصم»، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٨) بلا نسبة، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٦٩) نسبها للضحاك وحميد الأعرج وأبي صالح وعيسى بن هلال، وفي البحر المحيط (٥/ ٤٨١) قال: «قرأ ابن عباس، وزيد بن علي، والضحاك، والأعرج، وأبو صالح، وعيسى بن هلال، ويعقوب، والكسائي، في رواية (المُعْذِرون) من أعذر».

وقرأ ابن السميفع: «المعاذرون»[١] بألف[٢].

قال أبو عبيدة: ﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ من معذِّر، وليس بجادٍّ وإنما يعرِّض بما لا يفعله أو يُظهر غير ما في نفسه[٣].

وقال ابن قتيبة: يقال: عذَّرتُ في الأمر: إذا قصَّرتَ، وأعذرتُ: جَدَدْتَ[٤].

وقال الزَّجَّاج: من قرأ ﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ بتشديد الذال، فتأويله: المعتذرون الذين يعتذرون، كان لهم عذر، أو لم يكن، وهو هاهنا أشبه بأن يكون لهم عذر[٥].

وأنشدوا[٦]: [من الطويل]

إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلاَمِ عَلَيْكُما   وَمَنْ يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعْتَذَرْ

(١) في (ف): (العاذرون)!.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص:٥٩) نسبها لابن أبي ليلى، وفي إعراب القراءات الشواذ (١/ ٦٢٩) بلا نسبة.

(٣) انظر: مجاز القرآن (ص:٢٦٧).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص:١٩١).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٤).

(٦) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه (ص:٢١٤)، والأضداد (ص:٣٢١)، والزاهر (١/ ٤٣٩)، ومعجم ديوان الأدب (٢/ ٤٠٣)، وتهذيب اللغة (٢/ ١٨٤)، والصحاح (٢/ ٧٣٨)، ولسان العرب (٤/ ٥٤٥) مادة (عذر)، والخصائص (٣/ ٣١)، وبدون نسبة في معاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٦٤)، وغريب الحديث؛ لإبراهيم الحربي (١/ ٢٧٤).

أي: فقد جاء بعذر.

ويجوز أن يكون ﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ الذين يعذِّرون، يوهمون أنَّ لهم عذرًا، ولا عذر لهم، ويجوز في النحو: المِعِذِّرون بكسر العين، والمُعُذِّرون بضم العين، غير أنه لم يُقرأ بهما، لأن اللفظ بهما يثقل.

ومن قرأ: «المعْذرون» بتسكين العين، فتأويله: الذين أُعذروا وجاءوا بعذر.

وقال ابن الأنباري: المعذِّرون هاهنا: المعتذرون بالعذر الصحيح.

وأصل الكلمة عند أهل النحو: المعتذرون، فحوِّلت فتحة التاء إلى العين، وأبدلت الذال من التاء وأدغمت في الذال التي بعدها فصارتا ذالًا مشددة، ويقال في كلام العرب: اعتذر، إذا جاء بعذر صحيح، وإن لم يأت بعذر.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ﴾ فدل على فساد العذر.

وقال لبيد[1]: [من الطويل]

.... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدِ اعْتَذَر

أي: فقد جاء بعذر صحيح.

وكان ابن عباس يقرأ ﴿ٱلۡمُعَذِّرُونَ﴾ ويقول: لعن الله المعذِّرين[2].

---

(١) سبق عزوه قريبًا.

(٢) رواه الفراء في معاني القرآن (١/ ٤٤٨)، وعن ابن الأنباري في كتاب الأضداد (ص: ٣٢١) من رواية الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، ومن رواية جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس. وذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٨٨).



يريد: لعن الله المقصِّرين من المنافقين وغيرهم.

[٣٣٧/ ب] والمعْذرون: الذين يأتون بالعذر الصحيح، فبان من هذا الكلام أن لهم عذرًا على قراءة من خفَّف.

وهل يثبت لهم عذر على قراءة من شدَّد؟ فيه قولان.

قال المفسرون: جاء هؤلاء ليؤذَن لهم في التخلُّف عن تبوك، فأذن لهم رسول الله ﷺ، وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر وإظهار علَّة، جرأة على الله تعالى.

قوله تعالَى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة: ٩١، ٩٣].

قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾.

اختلفوا فيمن نزلت على قولين:

أحدهما: أنها نزلت في عائذ بن عمرو وغيره من أهل العذر، قاله قتادة(١).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٢٣) من رواية سعيد، عن قتادة به، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٦١) لابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

والثاني: في ابن أم مكتوم، قاله الضحاك[١].

وفي المراد بالضعفاء ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الزَّمنى والمشايخ الكبار، قاله ابن عباس، ومقاتل[٢].

والثاني: أنهم الصغار.

والثالث: المجانين، سُمُّوا ضعافًا لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوردي[٣].

والصحيح أنهم الذين يضعفون لزَمانةٍ، أو عَمىً، أو سِنٍّ أو ضَعف في الجسم.

و﴿ٱلۡمَرۡضَىٰ﴾: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ﴾ هم المُقِلُّون.

والحرج: الضيق في القعود عن الغزو بشرط النصح لله ولرسوله ﷺ.

وفيه وجهان:

أحدهما: أن المعنى: إذا برئوا من النفاق.

والثاني: إذا قاموا بحفظ الذراري والمنازل.

فإن قيل بالوجه الأول، فهو يعم جميع المذكورين، وإن قيل بالثاني، فهو يخص المقلِّين، وإنما شُرط النصح، لأن من تخلف بقصد السعي

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٨١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٨٩).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٩١).



بالفساد، فهو مذموم، ومن النصح لله: حث المسلمين على الجهاد، والسعي في إصلاح ذات بينهم، وسائر ما يعود باستقامة الدين.

قوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ أي من طريق بالعقوبة، لأن المحسن قد سَدَّ بإحسانه باب العقاب.

قوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ نزلت في البكَّائين.

واختُلف في عددهم وأسمائهم:

فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هم ستة: عبد الله بن مغفَّل، وصخر بن سلمان، وعبد الله بن كعب الأنصاري، وعُلَيَّة بن زيد الأنصاري، وسالم بن عُمير، وثعلبة بن عنمة، أتوا رسول الله ﷺ ليحملهم، فقال: «**لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**» فانصرفوا باكين[1].

---

(١) لم نقف عليه من رواية أبي صالح عن ابن عباس، وقد أخرج نحوه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٢٣) من رواية العوفي، عن ابن عباس، قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ [التوبة: ٩١] إلى قوله: ﴿حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني، فقالوا: يا رسول الله احملنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**والله ما أجد ما أحملكم عليه**» فتولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا. فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله، أنزل عذرهم في كتابه، فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١] إلى قوله: ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣].

وقد ذكر محمد بن سعد كاتب الواقدي مكان صخر بن سلمان: سلمة بن صخر، ومكان ثعلبة بن عنمة: عمرو بن عنمة(١).

قال: وقيل: منهم معقل بن يسار(٢).

وروى ابن إسحاق عن أشياخ له أن البكَّائين سبعة من الأنصار: سالم بن عُمير، وعُلَيَة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعمرو بن الحُمام بن الجموح، وعبد الله بن مغفَّل(٣).

وبعض الناس يقول: بل عبد الله بن عمرو المزني، وعِرباض بن سارية، وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف.

وقال مجاهد: نزلت في بني مقرِّن(٤).

وهم سبعة وقد ذكرهم محمد بن سعد، فقال: النعمان بن عمرو بن مقرن(٥). [٣٣٨/أ]

وقال أبو خيثمة: هو النعمان بن مقرِّن، وسويد بن مقرِّن، ومعقل بن مقرِّن، وسنان بن مقرِّن، وعقيل بن مقرِّن، وعبد الرحمن بن مقرِّن، وعبد الرحمن بن عقيل بن مقرِّن.

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٢/ ١٦٥).

(٢) انظر: السيرة النبوية (٤/ ١٧٢).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٣/ ٤٨٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٢٠٣) من رواية ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

(٥) الطبقات الكبرى (٦/ ١٨-٢٠).

وقال الحسن البصري: نزلت في أبي موسى وأصحابه[١].

وفي الذي طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحملهم عليه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الدواب، قاله ابن عباس.

والثاني: الزاد، قاله أنس بن مالك.

والثالث: النعال، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٤)﴾ [التوبة: ٩٤].

قوله: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾.

قال ابن عباس: نزلت في المنافقين، ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ من غزوة تبوك، فلا تعذروهم فليس لهم عذر. فلما رجع رسول الله ﷺ أتوه يعتذرون، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ لن نصدقكم، قد أخبرنا الله أنه ليس لكم عذر ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ إن عملتم خيرًا وتبتم من تخلفكم ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بعد الموت إلى ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ فيخبركم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في السر والعلانية[٢].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١٠/ ٥٩٥).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير البسيط (١١/ ٧).

قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [التوبة: ٩٥].

قوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾.

قال مقاتل: حلف منهم بضعة وثمانون رجلًا، منهم جَدُّ بن قيس، ومُعتِّب بن قشير[(١)].

قوله: ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: لتصفحوا عن ذنبهم.

والثاني: لأجل إعراضكم.

وقد شرحنا في «المائدة» معنى الرِّجس[(٢)].

قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٦].

قوله: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾.

قال مقاتل: حلف عبد الله بن أُبيٍّ للنبي ﷺ لا أتخلف عنك، ولأكونَنَّ معك على عدوِّك، وطلب منه أن يرضى عنه، وحلف عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعمر بن الخطَّاب، وجعلوا يترضَّون النبي ﷺ وأصحابه، وكان رسول الله ﷺ قال لما قدم المدينة: «**لَا تُجَالِسُوهُمْ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ**»[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩١).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٩٠).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ١٩١)، والكشف والبيان (٥/ ٨٢)، والتفسير البسيط (١١/ ٨).

قوله تعالى: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧﴾ [التوبة: ٩٧].

قوله: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا﴾.

قال ابن عباس: نزلت في أعاريب أسد وغطفان وأعراب من حول المدينة، أخبر الله ﷻ أن كفرهم ونفاقهم أشد من كفر أهل المدينة، لأنهم أقسى وأجفى من أهل الحضر[(١)].

قوله: ﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ﴾.

قال الزَّجَّاج: «أن» في موضع نصب، لأن الباء محذوفة من «أن»، المعنى: أجدر بترك العلم. تقول[(٢)]: جدير أن تفعل، وجدير بأن تفعل، كما تقول: أنت خليق بأن تفعل، أي: هذا الفعل ميسَّر فيك، فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـ «أن»، وإن أتيت بالباء، صلح بـ «أن» وغيرها، فتقول: أنت جدير بأن تقوم وجدير بالقيام. فإذا قلت: أنت جديرٌ القيامَ، كان خطأً، وإنما صلح مع «أن» لأن «أن» تدل على الاستقبال، فكأنها عوض من المحذوف[(٣)].

فأما قوله: ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ فيعني به الحلال والحرام والفرائض.

[٣٣٨/ب] وقيل: المراد بالآية أن الأعمَّ في العرب هذا.

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥١٩)، والتفسير البسيط (١١/ ١٠).

(٢) في (ج): (يُقال).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٥).

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [التوبة: ٩٨].

قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ﴾.

إذا خرج في الغزو، وقيل: ما يدفعه من الصدقة.

﴿مَغْرَمًا ﴾ لأنه لا يرجو له ثوابًا.

قال ابن قتيبة: المَغْرَم: هو الغُرم والخُسر(١).

وقال ابن فارس: الغُرم: ما يلزم أداؤه، والغرام: اللازم، وسمي الغريم لإلحاحه(٢).

وقال غيره: وفي الالتزام ما لا يلزم.

قوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ أي: وينتظر بِكم.

﴿ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي: دوائر الزمان بالمكروه، بالموت، أو القتل، أو الهزيمة.

وقيل: ينتظر موت الرسول ﷺ وظهور المشركين.

قوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو بضم السين.

وقرأ نافع، وعاصم وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «السَّوء» بفتح السين.

---

(١) انظر: غريب القرآن (ص:١٩١).

(٢) انظر: مجمل اللغة (ص:٦٩٤).



وكذلك قرءوا في «سورة الفتح»[(١)].

والمعنى: عليهم يعود ما ينتظرونه لك من البلاء.

قال الفراء: وفتح السين من السَّوء هو وجه الكلام، فمن فتح أراد المصدر من: سُؤْتُه سَوْءًا ومَساءَةً، ومن رفع السين، جعله اسمًا، كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب، ولا يجوز ضمُّ السين في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم:٢٨] ولا في قوله تعالى: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح:١٢]؛ لأنه ضدٌّ لقولك: رجُلُ صِدْق، وليس للسوء هاهنا معنى في عذاب ولا بلاء، فيُضم[(٢)].

قوله تعَالَى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة: ٩٩].

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾.

قال ابن عباس: وهم من أسلم من الأعراب، مثل جُهينة، وأسلم، وغِفار[(٣)].

وفي قوله: ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ قولان:

أحدهما: في الجهاد.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٦، ٦٠٣)، والحجة (٤/ ٢٠٦)، و(٦/ ٢٠٠)، والمبسوط (ص:٢٢٨)، والتحصيل (٣/ ٢٩٩)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٤)، و(٥/ ١٢٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (١/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ٨٣) عن الكلبي.

والثاني: في الصدقة.

فأما القربات، فجمع قُربة، وهي: ما يقرِّب العبدَ من رضى الله ومحبته.

قال الزَّجَّاج: وفي القربات ثلاثة أوجه: ضم الراء، وفتحها، وإسكانها[١].

وفي المراد بصلوات الرسول قولان:

أحدهما: استغفاره، قاله ابن عباس.

والثاني: دعاؤه، قاله قتادة، وابن قتيبة[٢]، والزَّجَّاج[٣].

وأنشد الزَّجَّاج[٤]: [من البسيط]

عَلَيكِ مِثْلُ الَّذي صَلَّيتِ فَاغْتَمِضِي   نَوْمًا فإنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مضطَجَعا

قال: إن شئتَ قلتَ: مثلَ الذي، ومثلُ الذي، فالأول أمْرٌ لها بالدعاء، كأنه قال: ادعي لي مثل الذي دعوتِ، والثاني بمعنى: عليكِ مثلُ هذا الدعاء[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص:١٩١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٦).

(٤) البيت للأعشى في ديوانه (ص:١٥١)، ومعاني القرآن وإعرابه؛ للزجاج (٢/ ٤٦٦)، والزاهر (١/ ٤٥)، وتهذيب اللغة (١٢/ ١٦٥)، ومقاييس اللغة (٣/ ٣٠٠)، والمحكم والمحيط الأعظم (٨/ ٣٧٢)، والفائق في غريب الحديث (٢/ ٣٠٩)، ولسان العرب (١٤/ ٤٦٥)، وتاج العروس (١٢/ ٣٩٩)، وجمهرة أشعار العرب (ص:١٨).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٦).



قوله: ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «قُرْبَةٌ لهم» خفيفة.

وروى ورش، وإسماعيل بن جعفر عن نافع، وأبان، والمفضل عن عاصم: «قُرُبَةٌ لهم» بضم الراء(١).

وفي المشار إليها وجهان:

أحدهما: أن الهاء ترجع إلى نفقتهم وإيمانهم.

والثاني: إلى صلوات الرسول.

قوله: ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾.

قال ابن عباس: في جنَّته(٢).

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

قوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

---

(١) انظر: السبعة (ص:٣١٦)، والحجة (٤/ ٢٠٩)، والمبسوط (ص: ٢٢٨)، والتيسير (ص:١١٩)، والتحصيل (٣/ ٢٩٩).

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٢/ ٥١٩)، والبسيط (١١/ ٢٣).

فيهم ستة أقوال:

أحدها: أنهم الذين صلوا إلى القبلتين مع رسول الله ﷺ، قاله أبو موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وابن سيرين، وقتادة.

والثاني: أنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، وهي [٣٣٩/ أ] الحديبية، قاله الشعبي.

والثالث: أنهم أهل بدر، قاله عطاء بن أبي رباح.

والرابع: أنهم جميع أصحاب رسول الله ﷺ، حصل لهم السبق بصحبته.

قال محمد بن كعب القرظي: إن الله قد غفر لجميع أصحاب النبي ﷺ وأوجب لهم الجنة محسنهم ومسيئهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾[١].

والخامس: أنهم السابقون بالموت والشهادة، سبقوا إلى ثواب الله تعالى، ذكره الماوردي[٢].

والسادس: أنهم الذين أسلموا قبل الهجرة، ذكره القاضي أبو يعلى.

قوله: ﴿مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾.

قرأ يعقوب: «والأنصارُ» برفع الراء[٣].

---

(١) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢٠)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٧٢) لأبي الشيخ وابن عساكر عن أبي صخر حميد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي به.

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/ ٣٩٥).

(٣) انظر: المبسوط (ص:٢٢٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٥).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾.

من قال: إن السابقين جميع الصحابة، جعل هؤلاء تابعي الصحابة، وهم الذين لم يصحبوا رسول الله ﷺ.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: والذين اتَّبعوهم بإحسان إلى أن تقوم الساعة(١)(٢).

ومن قال: هم المتقدمون من الصحابة، قال: هؤلاء تبعوهم في طريقهم، واقتدَوْا بهم في أفعالهم، ففضَّل أولئك بالسبق، وإن كانت الصحبة حاصلة للكلّ.

وقال عطاء: اتباعهم إياهم بإحسان: أنهم يذكرون محاسنهم ويترحَّمون عليهم(٣).

قوله: ﴿تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾.

قرأ ابن كثير: «من تحتها»، فزاد «من»، وكسر التاء الثانية(٤).

وقوله: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ يعمُّ الكُلَّ.

قال الزَّجَّاج: رضي الله أفعالهم، ورضوا ما جازاهم به(٥).

---

(١) في (ر): (إلى يوم الساعة).

(٢) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢١)، والتفسير البسيط (١١/ ٢٤).

(٣) ذكره الواحدي في التفسير الوسيط (٢/ ٥٢١) عن عطاء، وفي التفسير البسيط (١١/ ٢٤) عن عطاء عن ابن عباس.

(٤) انظر: السبعة (ص:٣١٧)، والمبسوط (ص:٢٢٨)، والمحرر الوجيز (٣/ ٧٥)، والتحصيل (٣/ ٣٠٠).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ٤٦٦).

فهرس الآيات

رقم الآية	الصفحة
سورة الأعراف	

رقم الآية	الصفحة
سورة الأنفال	




زاد المسير في علم التفسير